تأليف
هـ. ا. دييل ميديكو

التوراة الكنعانية

من خلال النصوص المكتشفة في رأس شمرة

ترجمة
جهاد هواش   عبد الهادي عباس



التوراة الكنعانية

من خلال النصوص المكتشفة في رأس شمرة

مع مقدمة بقلم ـ د ـ جوليلانه ـ الأستاذ في جامعة السوربونه

الكتاب: التوراة الكنعانية
تأليف: هـ . ا . ديل ميديكو
ترجمة: عبد الهادي عباس ـ جهاد هواش
الناشر: دار دمشق ـ دمشق ـ سوريا
شارع بور سعيد هاتف ٢١١٠٢٢
ص. ب: ٥٣٧٢
تلكس: ٤١٢٥٣٨ زينه
طبع في مطبعة الشام
الطبعة الاولى ٢٠٠٠ / ١٩٨٨

التوراة الكنعانية

من خلال النصوص المكتشفة في رأس شمرة

مع مقدمة بقلم ر. ر. جوبيلايه - الأستاذ في جامعة السوربون

تأليف

ه. ا. ديل ميديكو

ترجمة

جهاد هوّاش   عبد الهادي عبّاس



مقدمة الترجمة إلى العربية

تدور اكثر أساطير العالم القديم حول قصص الآلهة والأبطال، وهي في غالبيتها تتناول ولادتهم وموتهم وحياتهم من حب وكراهية ومؤامرات وحروب، كما أنها تشير إلى خلق الكون ونظامه وخلق الانسان وعلاقاته مع جنسه ومع الآلهة. ومع الوحوش والغيلان الخرافية.

وقد أولى العلماء ـ وبخاصة في العصر الحديث كل اهتمامهم لدراسة اساطير الشعوب وتصنيفها وتفسيرها وتحليلها فرأى بعضهم فيها انها مجرد روايات خرافية وهمية مهوشة بينما رأى غيرهم انها انجازات ضخمة لكتاب موهوبين ذوي فكر عميق، كما رأى غيرهم ان الاساطير ليست سوى قصص ترتبط بالدين ارتباطاً وثيقاً وانها قد تطورت مع الزمن لتفسير طبيعة الكون ومصير الانسان وعقائده. ورأى علماء النفس في الأساطير ذخيرة بدائية تكشف مكنون العقل الباطن الجماعي للانسان. أما علماء أصل الانسان فقد رأى العديد منهم أن الاسطورة ظاهرة بسيطة للغاية لانحتاج في شأنها إلى أي تفسير فسفي أو نفسي معقد لانها لاتخرج عن كونها مظهراً من مظاهر بساطة الجنس البشري وهي ليست نتاج أي تأمل أو تفكير

كما أن وصفها بأنها من نتاج الخيال الانساني ليس أمراً كافياً.

وعلى كثرة النظريات المختلفة التي بزغت في القرن التاسع عشر واخذت تتنامى وتتنافس في دراسة الاسطورة فإن الخلاف مازال قائما في شأنها وفي شأن تفسيرها وتعليلها وعلاقاتها في حياة الانسان وواقعه وحضارته وثقافته ولايمكن هنا عرض آراء المذاهب ومدارسها التي لم يتيسر حسم النزاع القائم بينها اعتماداً على المعايير المنطقية. وبقي كل منهما ينظر للأمور من زاويته ومن الناحية التي يوليها عنايته واهتمامه.

ولكننا مع تجنب الخوض في النظريات والمذاهب نلاحظ للوهلة الأولى أن الاسطورة في علاقتها بفلسفة ماوراء الطبيعة وبفلسفة الحياة المعاشة تبدو على اتصال وثيق مستمر ومباشر ببنية المجتمع وتطوره كما نرى انها تتداخل مع غيرها من رؤى الانسان وتطلعاته ونجاحه في أمور السحر والفلسفة والدين لتشكل نمطا متميزاً من ذهنية شعب ما وتبرز عنه نموذجا لطراز حياته وأفكاره ومعتقداته.

وبهذا فإن الاساطير قد تصبح معتقدات تقييمية يؤمن بها الانسان فيحيا بها، أو يحيا من أجلها، وقد تشكل له نظاما مترابطاً ومعقداً يصون وحدة المجتمع ويعطيه اشكالاً تتحكم بالنشاطات والفاعليات الاجتماعية وتمدها بالطاقة، بل لو اننا تعمقنا في درس العلاقات الاجتماعية، لوجدناها كلها وليدة الاساطير وان بنية المجتمع بما هو عليه من حضارة وتماسك ومقدسات ومعتقدات هو من صنعها.

واذا كانت الحضارة بمعناها الواسع كما يقول أحد العلماء: هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الانسان من حيث هو عضو في مجتمع.
واذا كانت حالة الثقافة أو الحضارة في مختلف المجتمعات الانسانية تعتبر ـ من حيث امكان بحثها في ضوء مبادىء عامة معينة ـ موضوعاً خليقاً بعلم قوانين الفكر وسلوك الانسان، اذ يمكن إلى حد كبير رد التجانس الهائل البادي في الحضارة إلى تشابه الاعمال الناتج عن العلل المتشابهة، بينما يمكن من الناحية الأخرى اعتبار مراتب الحضارة المختلفة مراحل للنمو أو التطور، ظهر كل منها نتيجة للتاريخ

السابق، ويوشك أن يؤدي مهمته الصحيحة في تشكيل تاريخ المستقبل[1]، اذا كان ذلك كذلك، فإنه يفسر مدى اهتمام العلماء في العصر الحديث في التنقيب والبحث وفي استعمال وسائل واساليب عملية أتاحت لعلماء الاركيولوجيا الفرصة لأن يتعرفوا قصة التطور الانساني من البدايات الأولى حتى العصور التاريخية، وأن يصلوا إلى سجل كامل عن الفترات التي اصطلح على تسميتها بعصور /ماقبل التاريخ/ دون ان يضطروا الى الالتجاء إلى اسلوب الظن والتخمين الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر. وقد أوصلهم البحث العميق إلى أن المراكز الحضارية الأولى كانت في الشرق الأوسط وان الحضارة منها قد امتدت وانتشرت مثلما تنتشر التموجات فوق سطح الماء.

لقد توالت الحفريات (الأركيولوجية) في القرن العشرين في مناطق عديدة من الشرق الأوسط وظهرت مكتشفات هامة في بقاع كثيرة من هذا الشرق باضافتها إلى ما سبق وتم اكتشافه في مصر ومابين الرافدين تكونت ثروة هائلة من المعلومات حول كثير من الأمور التي كانت مجهولة وبدأ علماء الآثار من معطيات هذه الحفريات يعطون المزيد من العناية والاهتام لدراسة النظم والعلاقات والأفكار والقيم التي تكمن وراء المخلفات المادية والنصوص المجهولة التي تم اكتشافها. وبذلك تكون علم حديث أصبح يطلق عليه اسم الأركيولوجيا البشرية وهي تسمية تدل على نوع التغير الذي كان يهدف الى جمع المخلفات المادية من الحضارات القديمة واعادة تركيب الثقافات التي اندثرت أو اعادة تركيب اساليب الحياة التي كانت سائدة لدى تلك الشعوب وتفسير التاريخ الثقافي بتغيراته وتطوراته مع أهداف اكتشاف دوافع واسباب هذا التغيير. ولكن البحوث الجديدة لم تعد تكتف بهذا لوحده فأخذت تلجأ إلى طرق ومناهج عالية من التقدم والتطور واستعمال فروض ثم البرهنة على صحتها واختبارها عن طريق الاستدلال والاستنباط واخضاع كل

---

(١) F.B.Taylur - انظر. كتاب (تايلور) مجموعة نوابغ الفكر العربي - تأليف احمد ابو زيد - دار المعارف - القاهرة ص. ١٥٥.

ذلك للاختبار بوسائل واساليب ملائمة بغية التوصل إلى معرفة شبه يقينية ان لم تكن يقينية عن تلك الحضارات البائدة وعلاقاتها فيما بينها.

لقد كان هذا الشرق مهداً للحضارات كلها ومن بينها اللغات، ومازالت الجمهرة الكبرى من علماء التاريخ القديم والآثار في العالم تنظر إلى منطقة الشرق الأوسط نظرة اعجاب واكبار واذا كانت المنشآت الضخمة في الشرق الأدنى القديم قد بهرت أعين الكتاب اليونان فجعلوا منها عجائب الدنيا السبع وهي قبر موسى tombeau de Mausale في هاليكرناس Halicarnasse بآسيا الصغرى وهرم خوفو بالجيزة في مصر وفنارات الاسكندرية وتمثال ضخم بجزيرة رودس والحدائق المعلقة لسمارميس ببابل وتمثال جوبيتر في اولومبيا ومعبد الآلهة ديانا في ايفس على شاطىء بحر ايجة في ايونيا، وان جميع هذه المنشآت قد هدمت ماعدا هرم خوفو. فإن العصر الحديث بما كشفه من آثار حضارات قديمة وكتابات تميط اللثام عن اسرار كثيرة لم تكن معروفة قد أثار من الانبهار ومن تغيير الكثير الكثير من المسلمات القديمة وبخاصة فيما تكون عبر العصور من قصص التوراة والأساطير التي زخرت بها اسفاره. وتأتي مكتشفات اوغاريت في سورية في مقدمة الآثار العالمية التي كان لها شأنها في تغيير مفاهيم راسخة عاشت عليها البشرية قروناً وأجيالاً.

لقد كان لاكتشاف اوغاريت على الساحل السوري في هذا القرن شأن بارز الأهمية في علوم الانسان حول الحضارات والثقافات القديمة وقد دلت مكتشفات اوغاريت هذه في ميدان بحوث اللغات ان حضارتها عرفت خمسة نماذج كتابية كانت تستخدم للتعبير عن ثماني لغات مختلفة هي: السومرية الاكادية، البابلية، الحورية، الحيثية، الاوغارتية والمصرية الحيثية الهيروغليفية.. كما عثر في اوغاريت على اول ابجدية عرفت في العالم مكتوبة بالخط المسماري على رقم فخاري محفوظ حاليا بالمتحف الوطني بدمشق. واشتق العبري القديم من الفينيقي وكذلك العبري الحديث المسمى بالعبري المربع وتحدث الفينيقيون في المستعمرات الفينيقية حتى شمال افريقية بالفينيقية.

وفي ميدان الأساطير والافكار الدينية والتي كان في ذهن الناس ان التوراة العبرية المحررة من قبل مؤلفين عبريين هي اول كتاب شامل في هذا الموضوع وانها وقف عليهم، جاءت مكتشفات مكتبة اوغاريت لتوضح ان هذه القصص والاساطير والافكار والحكم التوراتية هي من انشاء شعراء وكتاب كنعانيين ولم يفعل قدامى اليهود والمحدثين منهم سوى اقتباس هذه القصص والاساطير والحكم والامثال الخ . .

ومنذ اكتشافات رأس شمرا في ربيع ١٩٢٨ وترجمة النصوص المكتشفة تباعا أخذ العلماء البارزون في مختلف انحاء العالم والذين يهتمون بتاريخ الشرق القديم يولون عنايتهم وجل اهتمامهم في هذه المكتشفات ويكتبون عنها ويقيمونها من منظورات مختلفة بحيث كتب حولها العشرات من الابحاث والمؤلفات الجادة . . . وعلى كثرة ما كتب حول هذه الحضارة ومكتشفاتها الأثرية في اللغات الاجنبية فإنه لم يترجم أو ينشر في اللغة العربية وريثة هذه الحضارة سوى النذر اليسير الذي لايصح في منطق الأشياء ان تكون المعلومات الغنية التي تقدمها مكتشفات هذه الحضارة غريبة عن أهلها وورثتها .

وقد كان من الكتب الهامة جداً التي كتبت في هذا الموضوع في منتصف هذا القرن، هذا الكتاب الذي نقوم بترجمته الذي اسماه مؤلفه التوراة الكنعانية La Bible Cananeénne . وعلى حد علمنا فإنه لم يسبق ان ترجم هذا الكتاب الهام إلى اللغة العربية ترجمة كاملة وان كان بعض المهتمين في هذا الشأن قد ترجم اجزاء منه . وعلى هذا وبأمل ان يسد هذا السفر النفيس ـ في رأينا ـ فراغاً موحشاً في المكتبة العربية بادرنا إلى ترجمته ترجمة كاملة وكلنا أمل أن يرى فيه القارىء العربي ماينير فكره ويشحذ عزيمته للاهتمام بتالد حضارته وما قدمته بلاده للانسانية في تاريخها الطويل .

المترجمان

المقدمة

ولد السيد دل ميديكو في اسطمبول من عائلة فينسية الأصل (نسبة إلى مدينة فينسيا الايطالية) اشتهر منها علماء مثل ايلي ديل مديكو (١٤٦٠ - ١٤٩٧) الذي كان استاذ بيك دي لاميراندول كما اشتهر منها جوزيف ديل مديكو (١٦٩١ - ١٧٥٥) الملقب بالكريتي والذي تتلمذ على جاليلي.

تميّز السيد ديل مديكو، منذ صباه، بموهبة خاصة بسهولة تعلمه للغات فهو يعرف ويتكلم العديد منها. ما أن انتهت فترة دراسته في باريس حتى عاد إلى اسطمبول وأخذ يهتم بآثار هذه المدينة. فعكف باديء ذي بدء على دراسة اوضاع اسطمبول في القرون الوسطى مركزاً اهتمامه بعد ذلك على اسطمبول البيزنطية. وقد نشر عام ١٩٣٢ أول بحث له حول الحضارة البيزنطية بعنوان «دراسة حول قهرية - جامع في مطلع القرن الثاني عشر»[1] حيث قرر ان هذا الجامع هو نفس كنيسة دير المسيح الانساني والعذراء سيدة الرعاية الذي تم تأسيسه في القرن الثاني عشر من قبل عائلة (كوفين) وكتب السيد ديل ميديكو تاريخ هذا الدير. وقد كان من شأن

(1) ESSAI SUR KAHRIE DJAMI EN début du XII siécle clc...

هذه الدراسة أن تؤدي إلى تعديل النظرية السائدة آنذاك بالنسبة لموقع هذا الدير كما أدت إلى اعادة النظر بنتائج الحفريات (التنقيبات) الجارية في حي (المنغان) بغية تحديد موقع مباني عائلة كوفين (الامبراطورية).

وعاد السيد ديل مديكو فكرس دراسة هامة للفسيفساء الرائعة التي تم اكتشافها داخل «قهرية ـ جامع» وقام بوصف مفصل لهذه الفسيفساء تحت عنوان «فسيفساء الكوميزيس في جامع قهرية» كما وأنه ارفق هذه الدراسة بعشر لوحات جميلة تبرز منها روحه الابتكار لهذا العمل الفني الذي وجد فيه السيد ديل ميديكو نموذجاً فريداً لتقنية من الفسيفساء البيزنطية.

ولاحظ السيد ديل ميديكو ان هذه الفسيفساء من النوع الذي يمكن نقله، أي أنه تم وضعها في المكان الذي وجدت فيه بعد تنفيذها بزمن غير قصير. وفي مقال آخر حاول معرفة تاريخ صنع هذه الفسيفساء فقرر أنها صنعت في أواخر القرن الثامن أو مطلع القرن التاسع وهي (فترة محاربة تقليد عبادة الايقونات والصور).

وفي هذه الفترة ايضاً قام السيد ديل ميديكو بنشر دراسة حول كاتب بيزنطي كبير: ميخائيل بسيللوس الذي ظهر من خلال هذه الدراسة بوجه جديد كمؤلف موهوب وكرجل دولة.

وعاد السيد ديل مديكو إلى تركيا من جديد فزار منطقة كهوف قبادوسيا حيث اكتشف عالم الحثيين بمعونة صهره المهندس ج. أجيمان. وجمع السيد ديل مديكو، خلال إقامته في تلك المنطقة العديد من الأواني القديمة ومخلفات الآجر وقام باهداء المجموعة إلى متحف اللوفر. هذا ويعتقد بأن هذه المجموعة يمكن لها ان تساعد على معرفة التوزيع الطبقي والاقليمي لمختلف انواع النماذج الفخارية الحثية.

في هذه الفترة التقى السيد ديل مديكو «لوي دلابورت» وأصبح تلميذه فيما بعد في باريس، حيث تعلم لغة جديدة بالاضافة إلى اللغات التي كان يعرفها. وعاد السيد ديل مديكو فاكتشف قرب «قره بونار» صخرة «قره هويوك» الشهيرة (المسماة أيضاً ثوب آضا) وكتب عنها مقالاً ارفقه بعدد من الصور وبمخطط

للمنطقة؛ وكان هذا المقال بعنوان: «صخرة قره هيوك ذات النقوش، قرب قره بونار».

غير ان اهتمام المؤلف بالحثيين لم ينسه عالم البيزنطيين. ذلك ان الفسيفساء الرائعة المتواجدة في المجاز المؤدي إلى صحن كنيسة أيا صوفيا في اسطمبول كانت قد ظهرت من جديد بعدما ازيلت عنها الطبقة الكلسية التي غطتها خلال عدة قرون ـ هذه الطبقة الكلسية التي ازيلت باشراف العالم ب. جويتمور. وقد أثار هذا الاكتشاف اهتمام السيد ديل مديكو الذي قام باعداد تقرير أولي نشره له ب. هويتمور نفسه كما قام بنشر مقال مطول بعنوان: «فسيفساء مجاز صحن كنيسة أيا صوفيا» بحيث تبين له أن الفسيفساء المتواجدة على الباب الامبراطوري تمثل الامبراطور ساجداً على قدمي القديسة صوفيا. كما وان السيد ديل مديكو أثبت أن الحروف X M T بالنسبة للمسيحيين تمثل سيدة الحكمة، وان العذراء التي تحمل الطفل يسوع فوق الباب الجانبي للمجاز، تمثل الحكمة الالهية.

استمر السيد ديل مديكو على اهتمامه ببيزنطا فقدم في مقال قصير نتائج الحفريات والاكتشافات الأثرية التي تمت في اسطمبول في تلك السنة. ولكن ما كان يشده اكثر فأكثر هو دراسة الفن الديني المسيحي وخاصة ما يتعلق منه بموت العذراء. وقام باجراء بحوث تطلبت الكثير من الجهد حتى عثر على أعمال فنية قيمة لم تكن معروفة تماماً مثل: موت العذراء على رافدة مذبح من الخشب المنقوش في مطلع القرن الخامس عشر ومسدىً TAPISSERIE نرويجي من مطلع القرن السابع عشر. هذا وان دراسته حول تقنية هذا المسدى لفتت إليه انظار ادارة متحف الجوبلان حيث يتواجد المسدى فيه الآن.

وقام السيد ديل مديكو أخيراً، بنقل الدراسة الهامة التي اجراها الاستاذ ب. هروزني عن اللغة التشيكية وعنوانها «أقدم هجرات الشعوب ومشكلة الحضارة الماقبل الهندية».

غير ان بيزنطا، ظلت، رغم كل شيء، تشد السيد ديل مديكو إليها. وتوقف مرة عندما كان يزور وادي نهر اللوار في فرنسا، امام فسيفساء الصدر الشرقي لكنيسة

جرميني ـ دي ـ برى فأخذ لها صوراً فوتوغرافية جميلة ودقيقة للغاية . هذا وقد توصل السيد ديل مديكـو، عن طريق الـدراسة المعمقة للنصوص وتفحص المخلفات الاثـرية للقـطع المعـدنية ، لمعرفة أصول المواد التي استخدمها تيودولف لصنع الفسيفساء التي تتبعها من رافينا إلى «ايكس لاشابيل» حتى انه قام بمقارنة تاريخية لبقة مع اسطورة طريفة (اسطورة سان جال) .

ثم جاءت الحرب فتقلص نشاط السيد ديل مديكو العلمي . وقد كان بدأ دراسة شاملة حول الحركات الدينية في بيزنطيا في القرن الثاني عشر، عندما نشر لوي ديلابـورت دراستـه عن ملاطيا واطلعـه عليهـا . وكـانت هناك كتابات حثية هيروغليفية ، عثـر عليهـا في تلك المنـطقـة ولكنهم اختلفـوا في تفسيرها ، فقام ديلابورت بتكليف ديل مديكو بدراسة الموضوع وأعطاه مؤلف هروزني الذي تضمن النصوص الحثية الهيروغليفية . واستطاع ديل مديكو بعد مضي بضعة أشهر أن يعلن بأنه قام بفك رموز هذه الكتابة لأنه اكتشف أن مفتاح هذه الرموز كان يكمن في نقول «توب آضا» . غير انه جرى توقيف ونفي لوي ديلابورت عام ١٩٤٢ . وقد استمر ديل مديكو في عمله رغم حرمانه من اشراف وتوجيه استاذه ، ناهيك عن الصعوبات الجمة التي كانت تواجهه . وكنا ، أنا وصديقه شارل دييهل نتابع عمله باهتمام بالغ .

وشاءت الصدف أن يعثر السيد ديل مديكو في مكتبة شارل دييهل على كتاب عن رأس شمرا ، فقرأ الكتاب على مسامع الاستاذ الكفيف مشيراً إلى الأخطاء التي تضمنهـا . وقد استطاع السيد ديل مديكو بفضل معرفته للغات السامية ، ان يقوم بمقـارنـات جديدة ، فشدته هذه النصوص التي شعر بأهميتها البالغة فتخلى مرة أخرى عن الدراسات البيزنطية وكرس وقته لحل الخطوط الاوغاريتية . ثـم عـرض النتائج التي توصل إليها في هاتين اللغتين : الحثية الجديدة المكتوبة بالهيروغليفية والأوغاريتية المكتوبة بالخط المسماري ، عرضها على مستشرقين معروفين . وهكذا تمكن «شارل دييهل» ايداع مخطوطات السيد ديل مديكو ضمن مظروف مختوم ، في اكاديمية التسجيلات والآداب ، التي وافقت على ذلك في جلستها المنعقدة في ٢٣ شباط ١٩٤٣ . واستمر السيد ديل ديكو في روما بدراسة نصوص رأس شمرا

حتى نشر، بناء على نصيحة المستشرق الكبير «جيدي» ملاحظاته حول نقطة من قواعد اللغة الأوغاريتية: أشكال التعبير التفخيمي في اللغة الاوغاريتية.

في ذلك الحين اكتشفت في كيليكيا نصوصاً مزدوجة اللغة مما يساعد على حل الخطوط الحثية الهُيروغليفية. وخلال المؤتمر السادس الدولي للغويين في باريس عام ١٩٤٨، غرض السيد ديل مديكو طريقته في حل الخطوط كما عرض ترجمة لنص قصير وسهل، يمكن التثبت من صحة ترجمته بوجود نصوص أكادية مشابهة له. وقد لفتت هذه المداخلة نظر العلماء الأجانب، فتلقى السيد «ديل مديكو» دعوة للمشاركة في الاحتفالات التي أقيمت في «براغ» لمناسبة بلوغ الاستاذ «هرزوني» سن السبعين. والاستاذ هرزوني كان السباق في مجال حل الخطوط الحثية القديمة. شارك السيد ديل مديكو في الاحتفالات وقدم للعالم التشيكي الفصل الأول من أعماله بعنوان «الخطوط الهيروغليفية في ثوب آضا».' وفي «براغ» قدم السيد ديل مديكو، اثناء اجتماعات علمية للمستشرقين (١٩٤٩) مداخلتين: الأولى حول فك الخطوط الهيروغليفية الحثية والثانية حول قراءة نصوص رأس شمرا. وكانت المناسبة الأولى التي لفظ فيها السيد ديل مديكو، أمام مجموعة من علماء ينتمون إلى اكثر من ١٥ بلداً، لفظ لأول مرة اسم هذه اللغة الهيروغلليفية المكتوبة التي استعملها الحثيون الجدد «NEÓ - HITTITE» وهي اللغة الهيغية le Hivite ou Hevien .

ولكن الابحاث التي قام بها السيد ديل مديكو في المجالين المذكورين ـ على بعدهما من بيزنطيا ـ لم ينسياه اهتماماته الأولى، ذلك أنه شارك في المؤتمر الدولي السادس للدراسات البيزنطية، المنعقد في باريس في شهر تموز ١٩٤٨، وقدم دراسة بعنوان «بيزنطيا قبل بيزنطيا» أو «النبيلة ذات النطاق» بيّن فيها حقيقة يمكن ان تعدل المعلومات المعروفة عن المراسم البيزنطية، ذلك ان السيد دل مديكو اثبت ان هذه المراسم تعكس طقوساً محلية قديمة، ظلت قائمة رغم اعتناق الامبراطورية الديانة المسيحية رسميا. فلباس النبيلة ذات النطاق هو بالحقيقة، في بعض جوانبه، نفس لباس كبيرة كاهنات آسيا الوسطى . واستند السيد ديل مديكو

دعماً لنظريته، علي صور لنقوش «يازلى كايا» و «قرقميش».

وانعقد المؤتمر السابع للدراسات البيزنطية في نفس العام في بروكسل فشارك فيه السيد ديل مديكو بمداخلة حول «سباق العربات في بيزنطيا» (الفصل الثاني من مؤلفه «بيزنطيا قبل بيزنطيا»). وفي هذه المداخلة يشرح المؤلف مراسم السبق والهتافات المستعملة فيرى فيها بقايا عادات وتقاليد وثنية ذابت واندمجت واستمرت في هذه الاحتفالات.

وكان مما ساعد السيد ديل مديكو في عمله هذا، معرفته بالأوغاريتية فاستطاع ترجمة إحدى أهم الهتافات التي كان يهتف بها شعب بيزنطيا خلال تجمهره في ميدان سباق الخيل «المختار من عناة Elu dÁNAT »، هذا بالاضافة إلى انه بفضل حل رموز الخطوط الهيروغليفية الحثية تمكن من الاشارة لدور المقاتلين على ظهر العجلات في قديم الزمان والامتياز الذي كانوا يتمتعون به لانتخاب الحاكم في بعض البلدان التي كانوا يمارسون عليها حق الحماية.

واكثر من ذلك، قام السيد ديل مديكو بزيارة لمتحف «كلوني» حيث لفت نظره تمثال منحوت على ظهر قطعة عاج من القرون الوسيطة فأجرى دراسة حولها من الناحية التاريخية وعنونها «ظهر قطعة عاج في كلوني».

تعرف السيد ديل مديكو على عالمين جديدين: العالم الحثي الجديد، والعالم الكنعاني فشده ذلك اكثر فأكثر إلى الشرق القديم ونشر عنه دراستين، الأولى بعنوان: «الجيوش والمالية في العهد القديم» ألقى فيها ضوءاً جديداً على فصول عدة من التاريخ القديم مستنداً فيها دوما إلى نصوص من التوراة. والثانية بعنوان: «شافان» حيث قام فيها بدارسة تاريخية للسنوات الأخيرة لمملكة يهودا (yuda)، على ضوء نصوص هيروغليفية من العهد الحثي الجديد.

من جهة اخرى، تم اكتشاف نصوص جديدة عبرية في صحراء يهودا، فقام السيد ديل مديكو بدارسة تحمل عنوان: «المعتقدات اليهودية في عهد المسيح»، تمكن من خلالها من تحديد تاريخ تأليف واخفاء بعض الكتب المزيفة التي تم

العثور عليها في وقت لاحق. كما وانه اعطى لمحة عن هذه الكتب في مقاله: «اكتشاف نسخ مزيفة عن العهد القديم في صحراء يهودا».

وقام السيد ديل مديكو، اخيراً، بدراسة نص «آرامي» هام، جرى نشره عام ١٩٤٦. وبين في مقاله حول هذا الموضوع «رقاقة فيرولو La Lamelle Virolleaud» أهمية هذه الوثيقة الكبرى بالنسبة للدراسات البيزنطية. علما بأنهم كانوا قبله يربطونها بالغنوصية وبالتراتيل الدينية الشرقية.

إن ما تقدم يكفي لتبيان صفات الأصالة والتنوع والقيمة الفعلية التي تتصف بهـا أعال السيد مديكو. ان السيد ديل مديكو يهتم بالمسائل الغير معروفة تماماً والتي لها أهمية شاملة. انه يتطرق لهذه المسائل دون افكار مسبقة، لأنه لاينتمي لمدرسة ما، الأمر الذي يجعل موقفه أقوى من غيره في بعض الحالات. وهذا ما جعله أيضاً يستعمل اسلوباً جديداً بالنسبة لكل مسألة. بالطبع أنه يتوصل أحياناً إلى نتائج مدهشة. ولكنه يعبر عنها بوضوح مما يسهل تصحيح الاخطاء في التفسير في حال حصولها. هذا وان السيد ديل مديكو، وهو المطلع على نظم مختلفة للمعرفة يرى بحق ان التمادي في فصل هذه النظم العلمية عن بعضها البعض قد يعرقل تقدم العلم؛ فلابد لعلم الآثار من اللجوء إلى علم اللغات كما وانه لابد للتاريخ من الاستعانة بعـلم خصائص الشعوب (Othmographie).

إن المؤلف الذي بين أيدينا يعطي فكرة واضحة عن اسلوب السيد ديل مديكو في العمل. وان الموضوع الذي يعالجه يتطلب معلومات لغوية واسعة صعبة المنال بالنسبة لقارىء يجهل اللغات السامية. والذين يعرفون السيد «ديل مديكو» يعرفون ايضاً أنه يمكن تبرير استعمال كل تعبير، بالعديد من الأمثلة. ان التفسير الذي يقدمه هو الذي يعتقد أنه الأقرب إلى المنطق وإلى الحقيقة التاريخية. هذا مع العلم أن السيد «ديل مديكو» في سبيل تمكين القارىء من الحكم على تفسيره للنصوص يجمع بعد النصوص المعلومات التي تلقي ضوءاً على هذه النصوص. وهذا ما يتطلب الكثير من العناء، مما قد لايقدره القارىء العادي.

بالطبع، انه يمكن مناقشة ترجمة بعض النصوص. ولكن اين هي الترجمة

الكاملة، التي لايمكن مناقشتها؟ على أي حال، ومهما كان الانسان بعيداً عن هذا العالم الكنعاني، فإن المرء لايستطيع الا ان يتأثر بالجمال المنبعث من هذه النصوص في ترجمتها الجديدة، وان يتأثر بعظمة الوقائع وبراعة التعبير.

ر. جويبللان
استاذ تاريخ الحضارة البيزنطية
في السوربون

مدخل

كان موقع رأس شمرا، وهو عبارة عن تل يقع على الشاطىء السوري، على بعد ١٢ كيلو متراً شمالي اللاذقية، الموقع الذي تمت فيه حفريات متعددة بادارة السيدين «كلود شيفر» و«جورج شيني» عالمي الآثار اللذين كانا قاما بالتنقيب في منطقتي «الالزاس» و«فردون». ومنذ الحفريات الأولى، على وجه التحديد في ١٤ أيار ١٩٢٤ تم العثور على لوحات تحمل كتابة مسمارية لم تكن معروفة قبل ذلك الحين. لقد كان عدد الشارات قليلا (٢٧ ـ ٢٨) وتبين انها عبارة عن كتابة آلفبائية؛ ولـوحظ أن مسمـاراً عمـودياً كان يفصـل بين الكلمات.. وعكف السادة «بوير» و«دهورم» و«فيرولو» على حل رموز هذه الكتابة. وفي تشرين الأول عام ١٩٣٠ ـ بعدما تم العثور على نصوص جديدة، تمكن السيد «فيرولو» من تقديم الابجدية التي توصل اليها إلى أكاديمية التسجيلات ACADEMIE DU INSCRIPTION بينما قام السيد «دهورم» بنشر ما توصل إليه حول نفس الموضوع في مجلة «المعلومات التوراتية».

وقام السيد «ش. فيرولو» بنشر النصوص ذاتها مرفقة بترجمة وتعليق. وقد تبين أن مدينة هامة تحمل اسم «اوغاريت» كانت تقع في ذلك المكان، كما وانه

امكن قراءة اسم حاكم كان يحكم ا لمنطقة.

وقـام السيد س. فيرولو ايضاً بتصنيف هذه اللوحات (النصوص المتعلقة بالمحاسبة، قائمة باسماء العلم، النصوص الميثولوجية.. الخ) وكان بعضها بالغ الاهمية ويستحق دراسة معمقة.

وفي وقت لاحق، عكف العديد من العلماء على دراسة هذه النصوص واعادة ترجمتها[1] كما وانه تم نشر العديد من الدراسات والكتب حول «اوغاريت» بينها بعض الكتب التي تتعلق بقواعد اللغة الاوغاريتية. الا انه لم يتم استخلاص دراسة متكاملة من كل هذه المنشورات لأن النهج المتبع من قبل هؤلاء المستشرقين على اختلاف مذاهبهم الفكرية لم يكن يؤدي إلى نتيجة مرضية.

إن ابجـدية رأس شمـرا تكاد تكون بكاملها من الصوامت. اما الحركات فتستعمل فقط لتحديد اللفظ فيكون اما مفتوحاً أو مسفوطاً أو صادراً عن الحنجرة أو حلقيا. وعلى ذلك فإن كل مجموعة من الشارات يمكن أن تقرأ بأشكال مختلفة كما يمكن تفسيرها بأوجه مختلفة. هذا بالاضافة إلى وجود أدوات التصدير Suffixe كما وان جذور الكلمة المعني قد لايتطلب سوى بضع من الشارات العائدة لمجموعة ما.. وتبعـاً لذلـك، يمكن، في بعض الحالات، ترجمة مجموعة من الشارات بثمان وحتى عشر حالات مختلفة. لذا، يترتب على المترجم أن يبدأ باستخلاص المعنى العام للكتابة، بالتمسك بالجذور التي لاتتحمل اكثر من معنى. وعليه بعد ذلك أن يستعين بتعابير اللغات السامية للوصول إلى التعـابير المألوفة. وعليه كذلك ان يحاول معرفة القراءات المختلفة الممكنة لنفس الجملة إلى أن يتوصل إلى قراءة يرضى عنها المنطق السليم وتتناسب مع بقية النص.

عنـدمـا يصبح النص معروفاً بشكل تقريبي يعاد النظر بالمعطيات وتجرى مقارنتها مع معطيات وردت في نصوص أخرى وفي مجالات أخرى، واذا ما ظهر أي تناقض، يعاد النظر في الترجمة ويجري البحث عن امكانات جديدة وذلك إلى أن يثبت انـه لم يعـد هنـالك ما يعارض القراءة المعتمدة. ان فك الخطوط هو

---

(١) قام الأب مارياني في عام ١٩٤٥ بمقارنة ٢٣ ترجمة لنص واحد من هذه النصوص وقد أشار إلى عدة ترجمات أخرى أهملها.

بالحقيقة مسألة رياضية قليلة المعطيات وكثيرة المجاهيل، لذلك فإنه من الافضل استبعاد النتائج المستحيلة وكل ما يتعارض مع المنطق إلى أن يتم التوصل إلى حل.

هذا وانه لمن الخطأ محاولة فرض قواعد لغوية ثابتة على لغة نحاول فك خطوطها، وذلك هو بالضبط ما وقع فيه نقاد نصوص التوراة بالنسبة للغة العبرية. لقد حاولوا فرض قواعد ومصطلحات مأخوذة عن قواعد اللغة اليونانية أو اللغة العربية - حاولوا فرضها على لغة لم تعد مستعملة منذ عدة قرون، وغالبا ما تأثرت ترجمتهم للتوراة بالرواية اليونانية مما أفسد العديد من المقاطع. إن نسّاخ العصور القديمة كانوا يعتبرون الكتابة بمثابة مساعد للذاكرة، فكان الناسخ، احيانا، هو الوحيد الذي يستطيع قراءة ما كتبه. وفي أغلب الأحيان كان الكاتب يكلف بايصال الرسالة إلى المخاطب لكي يقوم بقراءتها عليه، لذا فإن مترجم نص سامي قديم يترتب عليه ان يتجاهل ما يسمح به لنفسه الكاتب بالنسبة للغة، ومن الأفضل له عدم التمسك المطلق بقواعد لغوية مستحدثة لتبرير قراءة قد تصبح بلا معنى.

لقد حاولنا في هذه الترجمة لنصوص رأس شمرا، اعادة كل تعبير إلى جذر سامي معروف (إن نسبة التعابير المأخوذة عن لغات اجنبية قليلة): وبالعكس، لم نأخذ بعين الاعتبار، بقدر الامكان، القواعد والاملاء العبريين. اما المعطيات الواقعية الناتجة عن علم الآثار وعلم خصائص الشعوب أو أصول تركيب الجمل فإنها أخذت أهمية أكبر. وعلى ذلك لم نستطع الحصول على بعض القواعد اللغوية الا بعد ترجمة كل النصوص علما بأن هذه القواعد قد تكون قابلة للتغيير في المستقبل.

بدأت ترجمة المجموعة الأولى من النصوص الاوغاريتية (IK. 10' IIO' IIIO et V AB) في ١٥ كانون أول ١٩٤٢ وانتهت بتاريخ ١٧ شباط ١٩٤٣. وتم تسليم نسخة من هذا العمل ضمن مظروف مختوم إلى أكاديمية التسجيلات والآداب التي قبلته في جلستها المنعقدة بتاريخ ٢٦ شباط ١٩٤٣، واستؤنف العمل في روما حيث تمت ترجمة نصوص أخرى.

(IAB' II AB' 1ÁB' III AB' IV AB' IIIRP' NK' SS' PS) وانتهت هذه الترجمة بتاريخ ٢٠ تموز ١٩٤٣. وفي تموز ١٩٤٧ تم الاطلاع على النصين الاخيرين (IIK'IIIK) وانتهت ترجمتهما في ٣١ تموز ١٩٤٧ في باريس.

ولابـد من ايضاح هنا ان هذا العمل لم يتأثر بالترجمات التي صدرت في السابق لهذه النصوص علما بأنه كان لابد من اجراء العديد من التصحيحات. لكن هذا العمـل تم بمعزل عن الترجمات السابقة. ولايعني تطابق بعض النقاط مع ترجمات أخرى انها اخذت عنها، كما وان الاختلاف في الترجمة (وهي اكثر بكثير) لايعني ان هنالك نزعة تميل إلى الغرابة. هذا وانه، رغم ما لقيه المؤلف من التفهم لدى بعض كبار محللي الخطوط، لم يكن بالامكان تحقيق نشر الطبعة الكاملة لهـذه التـرجمـة الجـديدة مع ما يتـطلبه ذلك من ملاحظات لغوية ومن مقارنات واستـطرادات. إن هذا العمـل لم ينشـر بعد باستثناء لمحة تتعلق بفصل منه تم تقديمها خلال مؤتمر العلوم الشرقية (Oriantalisme) المنعقد في براغ في ٢٠ ـ ٢٥ حزيران ١٩٢٩. وتهدف الطبعة الحالية إلى التعريف بالنتائج التي تم التوصل إليها دون تعـريف النهـج الـذي أدى إلى ذلـك. هنـالـك بعض المقـاطع المتوازية والمتواجدة في نصوص رأس شمرا والتوراة العبرانية على السواء تمت الاشارة اليها في مجال التعليق والملاحظات.

II

إن النصوص الاوغاريتية التي تمت ترجمتها هنا مجدداً، تختلف بطبيعتها عن بعضها البعض. وهي تعود إلى ازمنة مختلفة ايضاً. لكن يبدو انه كان قد تم جمعها في وقت ما في مكتبة، وتم الآن العثور على جزء منها. ولايشكل ما تم اكتشافه بالحقيقة، حتى الآن، إلا جزءاً يسيراً من مجموعة كبيرة، هذا بالاضافة إلى أن العديد من اللوحات وجد محطماً وناقصاً وبعضه لايكاد أن يكون مقروءاً. إلا أنه بعـد ترجمتهـا، أصبـح بالامكان معرفة طبيعة هذه النصوص وتوزيعها إلى اربع مجموعات رئيسية:

١ ـ الأساطير: وهي:

أ ـ زواج القمر (NK) ـ عبارة عن لوحة واحدة

ب ـ اسطورة كيريت ـ وهي ملحمة تم العثور منها على ثلاث لوحات

ـ اسطورة كيريت في شبابه (IK)

ـ اسطورة ملحمة كيريت (IIIK)

ـ اسطورة موت كيريت (IIK)

ح ـ أقاهات ـ مجموعة تراتيل لمن كانوا في حالة حزن.

هناك ثلاث لوحات من هذه المجموعة (ID' IID' IIID)

٢ ـ القرارات والأوامر:

يوجد منها حتى الآن لوحة واحدة (SS) وبعض القطع غير المفيدة

٣ ـ الوقائع التاريخية: ويمكن تقسيمها على الشكل التالي:

أ ـ الوقائع الجارية في عهد الملك الكبير (عليان Aleyn). ولدينا منها:

ـ رواية ايلي ملكو ـ وهي عبارة عن خمس لوحات (مجزأة) (V AB' IV AB' II AB' I AB)

ـ هبوط الملك الكبير (عليان) إلى الجحيم.

جزء من رواية اخرى لمؤلف مجهول (III AB)

ب ـ الوقائع الجارية في عهد X لوحة جزئية (III RP)

ج ـ وقائع عهد نقمد Niqmad ـ لوحة جزئية (NS)

٤ ـ المزامير والصلوات ـ اربع لوحات: (I PS' II PS' III PS' IV PS).

إن جميع هذه الكتابات، بالوضع الذي كانت عليه عند احداث مكتبة رأس شمرا كانت تشكل التوراة الكنعانية*.

أمـا التـوراة العبـرية فإنها لاتشكل بالأصل عملاً متجانساً. ذلك ان اربع

(*) التوراة TORAT كلمة عبرية بمعنى التعبير او الشريعة، وأصلها في العربية بمعنى د ل و هدى. وهي في الاصـل تدل على الاسفار الخمسة من العهد القديم، ثم توسعوا في مدلولها لتشمل التسعة والثلاثين سفراً التي تسمى اليوم جميعها بالعهد القديم (المترجمان).

العبرانيين يشكلون بقايا الحثيين الذين ذهبوا، حوالي عام (١٩٠٠) لغزو بابل. غير ان العبرانيين مالبثوا أن هاجروا امام ضغوط شعوب جاءت من الشمال (الآشوريين على الارجح)، فاجتازوا الصحراء السورية ودخلوا فلسطين عن طريق جرش. اشتبكوا مع السكان بمعارك ضخّمها كثيراً مؤلفو العهد القديم ثم استقروا في البلاد. فأقام بنو اسرائيل بين الكنعانيين والهيثيب والأموريين والفريزيين والحوّين واليبوسيين (قضاة ٣/٥ ـ ٦) واندمج العبرانيون مع السكان المحليين إلى درجة استطاع معها حزقيال [٣٨٦ ـ ٤٥] ان يقول لشعبه: «أمكم (المقصود عرقكم) حثية وابوكم اموري». وهكذا رغم احتلال البلاد، فإن التاريخ الكنعاني يستمر حتى هيمنة الاشوريين في ظل حكام يهودا واسرائيل الذين لم يكونوا من العبرانيين في اغلب الاحيان.

إن هذه الحقيقة الهامة تظهر بنتيجة حل الخطوط الهيروغليفية ـ الحثية ـ الجديدة (مكتوبة بالهيفية) ومن خلال قراءة نصوص رأس شمرا (مكتوبة بالكنعانية). واذا قمنا بمقارنة هاتين اللغتين مع لغة التوراة العبرية تظهر لنا نقطة على درجة كبيرة من الأهمية: ان اللغة الكنعانية، وهي لغة سامية، تتضمن بعض التعابير المأخوذة عن المصرية. وهذا طبيعي لأن الزمن الذي كتبت فيه نصوص رأس شمرا، هو زمن عرفت فيه البلاد هيمنة مصرية، وبالتالي فإن العادات والمعتقدات المصرية كانت قد تسربت إلى فلسطين. وتحررت البلاد من الاحتلال المصري بنتيجة تحالف العبرانيين مع عبدي ـ عشيرتا، غير أن ذلك لم يؤد إلى تغييرات جذرية على مستوى الحضارة. وفي فترة لاحقة، عندما أخذ العبرانيون (وقد اندمجوا بالكنعانيين) يكتبون توراتهم، اختفت التعابير المصرية بكاملها تقريبا ـ لا بل تم الاستغناء حتى عن بعض التعابير السامية. واختفت هذه التعابير وحلت محلها تعابير اكثر استعمالاً في الحياة اليومية، وهي من أصل حثي وهيغي. لذا يمكن الافتراض، دون أن نبتعد عن الحقيقة، بأن العبرانيين لم يكونوا ساميين أصلاً، بل كانوا احفاد شعوب تتكلم لغة هندية ـ اوروبية من مجموعة «كنتوم» كانت قد وقعت تحت تأثير السومريين اكثر مما كانت قد تأثرت بساميي بلاد مابين

مجموعات من مشارب مختلفة قامت بوضعها: المدرسة اليهودية (j) Yahviste ، المـدرسـة الايلوهية (E) ELohiste ، المـدرسة الديتورومية (O) Deuteŕonmiste وأخيراً المـدارس الكهنوتية (P.P2) Sacerdotales ثم انها تعرضت لاضافات في ازمنة مختلفة: اضافات تاريخية، تكهنات مستقبلية الخ . . . هذا وتختلف الآراء حول أصل النصوص الواردة في العهد القديم: ولكن يعتقد بشكل عام ان بعض المواد تعود إلى أصول بابلية، بينما يعود البعض الآخر إلى أصول حيثية، ويعتقد ان بعض هذه المـواد مستمـد من التقاليد الكنعانية. ولكن المصدر الأخير بقي مجهولاً نظراً لجهالة حقيقة ما كانت عليه هذه التقاليد عند مجيء العبرانيين. أما الآن وقد تم اكتشاف نصوص رأس شمرا، فإنه أصبح من الممكن معرفة أهمية هذه المسـاهمـة. أصبـح ممكنـاً معـرفـة أغلب ما أخذه العبرانيون عن الأموريين أو الكنعـانيين (نعتبر ان الكلمتين تدلان على شعب واحد) هذا ولسوف يتضح أن التقاليد التي دخلت مع العبرانيين عند مجيئهم لفلسطين هي من أصول حيثية أو ميتـانية أو ميزوبـوتامية (مابين النهرين(. (لم تتم الاشارة بما فيه الكفاية لغياب التقاليد المصرية من العهد القديم).

ولكن من هم هؤلاء العبـرانيون؟ ومن اين جاؤا؟. اسئلة جرى الكثير من النقاش حولها، وأصبح اليوم بالامكان الاجابة عليها.

لقد دخل العبرانيون فلسطين في زمن تل العمارنة (حوالي عام ١٤٠٠ ق.م) وهم الهابرو الذين كانوا يناوشون باستمرار حكام الكنعانيين. هذا ويتبين من بعض نصـوص رأس شمـرا أنهم تحالفوا مع عبدي ـ اشيرتا الذي أعلن العصيان على الحكم المصري، علما أن المدن التي ذكرت في العهد القديم مذكورة أيضاً في اخبـار وقـائـع اوغـاريت. إن تقاليد العبرانيين في ذلك الزمن، كانت قريبة من المفاهيم الحثية ومفاهيم بلاد مابين النهرين، ويعتقد أنهم كانوا يتكلمون لغة قريبة من الهيفية (لغة الخطوط الهيروغلليفية النيو ـ حثية). وقد كان اسم إلاههم الأكبر «ياه» أو «يهوه» تماما كما كان اسمه في تلك اللغة. وكانت تجمعهم قرابة عرقية ولغـوية مع الحثيين والهيفيين الـذين استقروا في البلاد. لذا يمكن الاعتقاد ان

العبرانيين يشكلون بقايا الحثيين الذين ذهبوا، حوالي عام (١٩٠٠) لغزو بابل. غير ان العبرانيين مالبثوا أن هاجروا امام ضغوط شعوب جاءت من الشمال (الآشوريين على الارجح)، فاجتازوا الصحراء السورية ودخلوا فلسطين عن طريق جرش. اشتبكوا مع السكان بمعارك ضخّمها كثيراً مؤلفو العهد القديم ثم استقروا في البلاد. فأقام بنو اسرائيل بين الكنعانيين والهيثيب والأموريين والعزيزيين والحوّيين واليبوسيين واتخذوا بناتهم زوجات لهم واعطوا بناتهم زوجات لابنائهم وعبدوا الهتهم (قضاة ٣/٥ ـ ٦) واندمج العبرانيون مع السكان المحليين إلى درجة استطاع معها حزقيال [٣٨٦ ـ ٤٥] ان يقول لشعبه: «أمكم (المقصود عرقكم) حثية وابوكم اموري». وهكذا رغم احتلال البلاد، فإن التاريخ الكنعاني يستمر حتى هيمنة الآشوريين في ظل حكام يهودا واسرائيل الذين لم يكونوا من العبرانيين في اغلب الاحيان.

إن هذه الحقيقة الهامة تظهر بنتيجة حلالخطوط الهيروغليفية ـ الحثية ـ الجديدة (مكتوبة بالهيفية) ومن خلال قراءة نصوص رأس شمرا (مكتوبة بالكنعانية). واذا قمنا بمقارنة هاتين اللغتين مع لغة التوراة العبرية تظهر لنا نقطة على درجة كبيرة من الأهمية: ان اللغة الكنعانية، وهي لغة سامية، تتضمن بعض التعابير المأخوذة عن المصرية. وهذا طبيعي لأن الزمن الذي كتبت فيه نصوص رأس شمرا، هو زمن عرفت فيه البلاد هيمنة مصرية، وبالتالي فإن العادات والمعتقدات المصرية كانت قد تسربت إلى فلسطين. وتحررت البلاد من الاحتلال المصري بنتيجة تحالف العبرانيين مع عبدي ـ عشيرتا، غير أن ذلك لم يؤد إلى تغييرات جذرية على مستوى الحضارة. وفي فترة لاحقة، عندما أخذ العبرانيون (وقد اندمجوا بالكنعانيين) يكتبون توراتهم، اختفت التعابير المصرية بكاملها تقريبا ـ لا بل تم الاستغناء حتى عن بعض التعابير السامية. واختفت هذه التعابير وحلت محلها تعابير اكثر استعمالاً في الحياة اليومية، وهي من أصل حثي وهيقي. لذا يمكن الافتراض، دون أن نبتعد عن الحقيقة، بأن العبرانيين لم يكونوا ساميين أصلاً، بل كانوا احفاد شعوب تتكلم لغة هندي ـ اوروبية من مجموعة «كنتوم»

كانت قد وقعت تحت تأثير السومريين اكثر مما كانت قد تأثرت بسامیي بلاد مابين النهرين.

ولم يتم ذوبان العبرانيين بالساميين الا بعدما امتصهم السكان المحليون. وفي فترة لاحقة، وبتأثير عامل خارجي سيطر عليهم، اعتبروا ان مصر هي عدوهم التقليدي وأخذوا يحتفلون «بالخروج من مصر» كعيد تحريرهم.

لم يكن السبب في اختيار عنوان هذا الكتاب يكمن فقط في أن العديد من المواد الواردة في كتابات رأس شمرا عادت ووردت في التوراة العبرانية. لم يكن هذا وحده هو السبب، بل لوحظ ان الكاتب الكنعاني كان يعتبر، على الأغلب أن هذه النصوص تشكل توراة. فهناك ملاحظة تقول إن هذه النصوص كتبت «لكي يتعلم الشباب» وفي مكان آخر نرى أنه من الافضل ان تتوقف القراءة «لعدم ارهاق الشباب». وعلى ذلك يبدو أن هذه النصوص وجدت كي تتعلمها شبيبة ما بقصد استمرارها.

قلنا ان هذه النصوص تختلف عن بعضها البعض ونجد بينها، كما هي الحال في التوراة العبرانية اساطير وملاحم، وقصص موجبة للعبرة، ونصوص تشريعية وتاريخية وصلوات. . وقد نعثر على ملاحظة من الكاتب تشير إلى أن هذه القصة تناسب بشكل خاص «من كانوا بحالة حزن» ولابد أن الصلوات كانت لازمة في بعض المناسبات اما التعليمات والأوامر فإنه كان لابد من معرفتها والعمل بها. واذن فإن نصوص رأس شمرا بحكم تركيبها وهدفها ـ كانت عبارة عن توراة، توراة سكان فلسطين وسورية الأصليين في زمن تل العمارنة، توراة البلاد التي كانوا يسمونها آمورّوَ أو بلاد كنعان.

إن تفهم هذه النصوص وبعضها مشوه، كان لابد له من تعليق مفصل. وهذا التعليق يتناول المعطيات التي تم استخلاصها من كل نص، مما يعطي فكرة واضحة عن شروط المعيشة والمعتقدات والعادات الكنعانية. وبما ان هذه النصوص تتعلق بأزمنة مختلفة، رؤي انه من الافضل عدم جمع هذه المعلومات في مكان واحد بل وضعها بعد النص المعني. وهذا يؤدي بالطبع إلى التكرار ولكنه

تكرار مفيد، ذلك انه بين معطيات نص ما ومعطيات نص آخر، يمكن ان تحصل تغييرات في المعتقدات دون أن تتغير شروط المعيشة، كما وانه يمكن ان يحصل العكس. وهكذا يمكن ملاحظة التحولات، التي تحصل مع الزمن كما وانه يمكن معـرفـة عدة طبقـات في النص الـواحد: الطبقة الاسطورية، الطبقة التاريخية، والطبقة التحريرية.

هذا وقد ترجمت النصوص كلمة كلمة مما جعل هذه الترجمة أقرب ما يمكن من النص الأصلي. أما التوزيع على السطور فهو نفس التسطير الذي تبناه السيد ش. فيرلـو في طبعتـه. وفي أغلب الاحيان تركنا النص على وضعه المجزأ لأن اتمامه بالاستناد إلى نصوص أخرى لايأتي بجديد. ويتبع هذه الترجمات تفسير وتعليق يعطيانها معناها العام بالنسبة لكل نص على حدة. واننا كما اسلفنا، لم نذكـر هنا الملاحظات اللغوية البحتة، اما التعليق التحليلي فيتبعه عند الحاجة دراسة تاريخية واثنوغرافية. ونأمل ان تصدر طبعة اكثر تفصيلاً فتتضمن الملاحظات اللغوية والاستطرادات، في مستقبل قريب.

القسم الأول

الأساطير

١ ـ زواج القمر

تم نشر هذه اللوحة من قبل السيد ش. فيرولُّو تحت عنوان: «نشيد فينيقي للاله «نيكال» وللالهة «كوشاروت»»، في مجلة «سورية» عام ١٩٣٦ ص /٢٠٩ ـ ٢٢٨/ وهي عبارة عن لوحة صغيرة (عمود واحد)، كُتبت على الوجهين.

N.K.

في موضوع الخديعة والفساد. . .
«المُتَهَلِّف حُبّاً»، ملك الصيف. ـ «المتلهِّف حُباً، الملك،
لجأ إلى مغارة، كثيرة التعاريج.
و «قمر» نسيت أن تقبِّله. . .
«لتضع(*). . . . . .»، . . . إلى
الساهرات، إلى بنات الاطراء، الطاهرات:

(*) بمعنى وضعت المرأة (المترجمان).

«أليس صحيحاً، يا صبايا، أنَّها تلد. . . . .»
. . . بجسارة، بيده، يزدهي. . .
. . . لينقل لها، خبراً طيبا. . . . . وهو
ينحِني« «كما يروق لك. . . . . . .
«اطيعي الآلهة، والساهرات. . .»
. . . بيده، يتكبّر. . .
كزوج . . . .
الزروع . . . .
. . . حارسات المدائح، الصافيات،
ترسلهن، «قمر»(*)، نور السماء، مع
«المتلهِّف حباً، ملك الصيف، تلجأ قمر
إلى الحيلة. وهذا يُسعدها. «أوافق على الأمسيات مع
«الخجل، أما أنت، فاعطها مهرها وسلّمه
«لأبيها: ألف قطعة فضيَّة والكثير من
«الذهب» - وأَمَرَ بإرسال اوقات الظهيرة
المحرقة، أجر المومس، إلى الحقول، إلى الكرمة؛
احترق حقل حبيبته. قام «المتلهِّف إلى الحبّ»، ملك الصيف، قال
للآلهة العطوفة، لأهل الزوجة:
«بعل، ستوافق على فتح أحشائها
«كي تضع» - أبوها، بعل،
. ؟ . - . آشتارت
«تجد لذَّة بإيلام لك الذي يجلب الخَبَل. بيت أبيه

(*) القمر مؤنث بالفرنسية مما اضطرنا لاستعمال تعبير «قمر» بدلاً من «القمر» ولفظة «شمس» بدلاً من «الشمس»، علماً بأن الاسطورة تدور حول زواج الشمس (مذكر) بالقمر (مؤنث) (الترجمان).

«دمَّره القلب» . وأخذت «قمر»
نور السماء تقول :
«خطيبي قد احتال علينا؛ لذلك
«سوف أحتال بدوري، كما يطيب لي» . بواسطة زوجها
أقامت نُصبا . يا للدعارة! ـ أمُّها
لا توافق على الدعارة؛ إخوتها
يرتجفون غضباً . برفقة أخواتها، على الصخرة
مارسن الدعارة . الحيلة والفساد
مرتبطان ـ لَعَنوا «قمر»، ولكن «قمر»
ثابَرَت .
أما الالاهات الحارسات، بنات
المدائح ، النقيّات . فعليهن،
على بنات المدائح ، أوقع «بعل» العقاب .
منتفخا بحالات غضب، مع . . ؟ . . . جَعَلَ
سحب الليل يبكي، دفع به
نحو النجوم الشماليّة ، فلا يلفظ الفم بعد ذلك عددها .
طرَدَ شعب الليل ـ لكن هذا الشعب
هدأ بكبرياء بترفّع
وبالصمت قابل هذا الحكم
مما جلب السخرية للفتيات الساهرات .

ان اسطورة زواج القمر هي بالتأكيد أقدم نصّ تم العثور عليه حتى الآن، من التوراة الكنعانية، في رأس شمرا . ويمكن رواية القصة بسهولة نسبية، رغم بعض النواقص في مطلع النص :

في قديم الـزمن كان الالـه الـرئيس يدعى «بعـل». وكـان اسم زوجتـه

«أشتارت»، وانجبا العديد من الأولاد كانت بينهم «قمر» (القمر)، و«نور السماء». وكان «شمس» ؟الشمس) «ملك الصيف» يحب قمر حباً عاصفاً. وفي ليلة ما، ذهبَ «شمس» لينام في مغارة كثيرة التعاريج، فنسيت قمر أن تأتي لتقبيله (على الأغلب لأنها لم تكن لتستطيع أن تراه فالقمر لاينير إلا ما يراه). شعر «ملك الصيف» بإهانة كبيرة، وقرر الزواج من قمر لكي يربطها بنفسه، ويجبرها على الانجاب. وعلى ذلك توجّه نحو النجوم، الساهرات الصغيرات، وكانوا يسمونها «بنات المدائح» لأنهم كانوا يعتقدون أن هذه النجوم تغنّي. وقام، على الأغلب (النص هنا غير واضح) بتكليفها، وهي أخوات قمر، بنقل رغبته وهداياه (من حبوب وغيرها) إلى اختهن حسب العادة. لكن قمر رفضت ذلك ولجأت إلى الحيلة، فطلبت مهراً يسلّم إلى أبيها ويبلغ ألف قطعة فضيّة والعديد من القطع الذهبية، بشرط ألا تلتزم إلا بقضاء بعض الأمسيات مع زوجها «بالخزي والعار». اغتاظ «شمس» فبعث، بدل المهر المطلوب ظهيرة أيام حارقة ايبست الحقول والكروم التي تمتلكها حبيبته. اعتبرت قمر أن ما قام به شمس يشبه أجور المومس، والتزمت الصمت.

توجه «شمس» فيما بعد، إلى حميه بعل وطلب منه أن يجعل ابنته «قمر» نشوراً، لأنه يصرّ على الانجاب. لكن الآله، الذي أزعجه تصرّف شمس كما ازعجه عدم دفع المهر، استشار زوجته في الأمر، وانتهى إلى موافقة ابنته على معاكسة خطيبها، فاصرّت قمر على أن يقيم لها زوجها نُصباً قضيبيّ الشكل، ثم أخذت تمارس الدعارة على هذا الحجر. أكثر من ذلك، استطاعت إغواء اخواتها النجوم ودفعهن للاقتداء بها. غير أن ذلك كان أكثر مما يُستطاع تحمُّله، لأن حيلة قمر أخذت طابع الدعارة والفساد. اشمأزت الأم «أشتارت» وتخلّت عن ابنتها، بينما أخذ إخوة «قمر» يرتجفون من الغضب. أما أبوها فلعنها. غير أن قمر، أصرّت على العودة إلى الأرض، حيث استمرّت بسلوكها، غير عابئة بالخزي والشنار.

وقرّر «بعل» فرض عقوبة على النجوم، شقيقات قمر، «فانتفخ غضباً» وطردهن نحو الشمال بحيث لايستطيع أحد، بعد ذلك، أن يعرف عددهن. لكن

عقوبة «بعل» لم تجدِ: ذلك أنه لم يقدِّر كبرياء شعب الليل هذا حقَّ قدره. بقيت النجوم غير عابئة ووجدت خلاصها بالتجرُّد عن شؤون هذا العالم. قابلت النجوم حكم بعل بالصمت. وهذا هو السبب، يقول لنا الراوي، الذي جعل الناس يسخرون من هذه الأشياء التافهة، الفتيات الساهرات، النجوم.

هل يمكن استخلاص معلومات ايجابية من هذه الحلقة من حياة الالهة والنجوم؟ ـ سوف نحاول ذلك، على أنه، للتوصل إلى نتيجة، لابدّ من التمييز بين طبقتين في الرواية: التقاليد والكتابة.

يبدو أن الكتابة أقدم من بقية نصوص رأس شمرا. ففي الكتابة، نلاحظ أن المسامير الفاصلة أقل عدداً من غيرها في النصوص الأخرى؛ كما أن شكل الحروف يختلف عن غيره. مفردات اللغة لاتشكل صعوبات كبرى والقواعد أقرب إلى النموذج السامي العام مما هي عليه في النصوص الأخرى.

أما بالنسبة للتقاليد، فيبدو أنها أقدم من النص، ذلك أن الالهة الجدد: إيل وعشيرات وابنتيهما إيلات وعناة وجميع هذه الالهة غير معروفة. هذا ويتضح من خلال أسلوب الرواية ومن وصف الحياة العائلية، يتضح أن الاسطورة تعود إلى مطلع الحضارة الكنعانية علماً بأنّها تعرَّضت لشيء من التعديل اثناء الكتابة.

الحالة الاجتماعية: أبطال الاسطورة آلهة ونجوم فقط، لكن النظام الاجتماعي الموصوف فيها يعود بالطبع إلى البشر. فالشمس تحمل لقب «ملك الصيف»، ويمكن الاستنتاج من ذلك أن البلاد كانت تعرف الملوك عند كتابة النص.

الحياة العائلية: يعبّرون عنها بتعبير «بيت الأب» مما يدل على أن الأولاد كانوا يعيشون في كنف الأب. نرى مثلا أنه كان يحق للأب أن يطرد ابناءه وأن يلعنهم الخ... (راجع IK). الأم تمارس رقابة أخلاقية على بناتها، وعندما تتصرّف الابنة بشكل غير مرضٍ فان الأم تتحوّل عنها. الاخوة ايضا يراقبون تصرّفات اختهم.

الزواج: تظهر لنا مؤسسة الزواج، من خلال هذا النص، على شكلين: فمن جهة كانوا يعرفون الزواج عن طريق الشراء (يدفع العريس مهراً لحميه، ومن جهة أخرى كانوا يعرفون زواجاً يسمّى زواج «تساديكا».

في حالـة الشـراء كان يلجأ العريس إلى وسيط أو أكثر لخطب يد الفتاة. وكانت الفتاة تعطي موافقتها(*). كان لابد من دفع المهر (موهار) للأب قبل أن تغادر الفتـاة منـزل أبيها؛ علماً بأنه قد يكون للفتاة الحق بتحديد قيمة المهر بنفسها. الأولاد، في هذه الحـالـة يعـودون للزوج. للزوج الحق في طلاق المـرأة العاقر والمطالبة باستعادة المهر، على الأغلب. وقد يكون للزوج الحق في مطالبة الأب بأن يجعل ابنته ولوداً. أما في زواج «تساديكا»، فلا تغادر الفتاة منزل ذويها، بل يكفي أن تقضي بعض وقتها مع زوجها. وكانت احياناً هي التي تذهب إليه. هذا الـزواج كان أقـل قيمة من الزواج بطريقة الشراء: تعبير «مخجل» الذي ورد في النص، يشير إلى أنه في زمن الكتابة، كان هذا النوع من الزواج عبارة عن علاقة مؤقتة. طالما وأن الزوجة تبقى في كنف والدها فمن الطبيعي أن يبقى الأولاد في تبعية الأم. إن حيلة «قمر» كانت تقوم على ايجاد نوع من الخلط بين زواج الشراء وزواج «تسـاديكـا». فهي من جهـة كانت تصـر على دفع المهر لأبيها مما كان سيجعلها تقع تحت سلطة زوجها، ـ وكانت من جهة أخرى، تحاول ألا تلتزم بغير قواعد «تساديكا».

ولعل هذا هو المقصود عندما يفترض أن البنوة كانت في قديم الزمن تتبع خط الأم. والعهد القديم تضمن عدة تلميحات إلى زواج «تساديكا» مما يمكن مراجعته على ضوء النص الذي بين ايدينا:

تكوين ٢٩/ ١٥ : واضح أن يعقوب كان يعتبر أنه تزوج من بنتي «لابان» بعدما دفع الثمن. غير أن «لابان» أخذ يدعي أنه زوج بنتيه وفق عرف «تساديكا» **(٢٩/ ٢٣)**: وكان ذلك في المساء عندما أخذ ابنته ليّا وجذبها إليه، فدخل بها(**) ـ وعندما قرر يعقـوب الـرحيل، كان لابـد له من الحصـول على موافقـة زوجتيه (تكـوين **٣١/ ٤ ـ ١٢**). ثم تبعه «لابان» لاسترداد ابنتيه (يمكن هنا أن يكون العذر الذي

(*) تاريخ الزواج ـ الجزء الثاني WESTERMARCK.

(**) يبدو أن زواج الشراء كان يتم في وضح النهار، بينما كان زواج تساديكا يتم ليلاً.

أبداه الراوي مجرد إضافة لاحقة (تكوين ٣١/٣١): وتكلم يعقوب وقال للابان: «لأنني كنت أقول لنفسي انني أخشى أن تأخذ بنتيك مني». وبالفعل فإن لابان كان ينوي استرداد بنتيه وذريتهما كذلك (تكوين ٣١/٤٣): وتكلم «لابان» فقال ليعقوب: «البنات بناتي والاولاد اولادي، ماذا استطيع أن أفعل اليوم ببناتي والبنين الذين ولدتَهُم؟».

- وقد يكون فكر بممارسة حق معاقبة الهاربين. غير أن النزاع ينتهي بمحالفة غريبة وبإقامة نُصب على شكل قضيبي. والنصب كان رمزاً لسلطة «لابان» الأبوية وضماناً لاخلاص يعقوب لزوجتيه ولخادماتهما. (تكوين ٣١/٥٠): إذا كنت ستلحق الأذى ببناتي وإذا كنت ستتخذ لنفسك زوجات غير بنتيّ.

تكوين ٣٤/ ١: ان الظروف التي تعرّفت فيها دينة، ابنة يعقوب على شكيم، ليست واضحة تماماً: ذلك أنها هي التي خرجت «لترى». ثم تمت له علاقة معها وأحبها فأرسل أباه يخطبها من يعقوب. عرض حَمور على يعقوب تحويل العلاقة القائمة بين شكيم ودينة، إلى زواج شرعي فيدفع المهر (موهار) وهدية العروس (ماتان)، وأجر الخليلة(*). (تكوين ٣٤/١٢): «أكثروا علي المهر والعطايا جداً، فأعطيكم كما ترسمون لي، واعطوني الفتاة زوجة. غير أن ابناء يعقوب لجأوا إلى الحيلة فنهبوا العيغيين واستردوا اختهم من شكيم. ولما أنّبهم والدهم على هذا التصرف، اجابوا قائلين (تكوين ٣٤/٣١): «أكزانية» تعامَلُ أختنا؟».

قضاة ١٤/ ١: رأى شمشون فلسطينية فاعجبته وطلب الزواج منها. يبدو أن أبا الفتاة لم يوافق إلا على زواج «تساديكا». لما عاد شمشون، بعد طول غياب، وهو يحمل جَدْياً، أعلمه الأب أن زوجته أُعطيت لأحد رفاقه. لكنه عرض عليه إحدى بناته على أن تكون أصغر سناً وأكثر جمالاً (تكوين ١٥/ ٢). لكن شمشون غضب لأنه اصبح صاحب حق على زوجته؛ فقام بإحراق حقول القمح العائدة للفلسطينيين.

إن كتّاب العهد القديم اعتبروا زواج تساديكا، نوعاً من الدعارة. لكن

(*) أجر الخليلة لا يتضمن هنا معنى الاهانة أو الشتيمة.

الحقيقة أن هذا الزواج لم يكن بالأصل كذلك وكان من الصعوبة بمكان تحويل هذا الزواج إلى زواج بطريقة الشراء. ويبدو أنه كان مألوفاً، اللجوء إلى «الحيلة» للتوصل إلى عدم إعطاء العريس حق الملكية على الزوجة والأولاد.

وكـان يتم الـزواج بطريقة الشراء، مبدئياً، بدفع المهر إى والد العروس، بمعدنٍ ثمين؛ وفي بعض الحالات كانت الخطيبة تحدد بنفسها قيمة المهر. غير أنه كانت هناك حالات عديدة، يتحدثون فيها عن «الحيل» التي تصدر عن أهل الفتاة أو عن الشاب، علماً بأن الحيلة التي ورد ذكرها في العهد القديم، كانت تقضي بفرض الحصول على عدد معيّن من القلَفْ(*) بدل المهر.

خروج ٢٢/ ١٥-١٦: إن هذا التشـريع يتعلق بحـالة الرجل الذي أغوى باكراً، **ليست مخطوبة**. كان عليه أن يتزوجها ويدفع المهر. وقد يرفض الأب فكرة الزواج ومع ذلك يترتب على الرجل دفع المهر نقداً **كثمن بكارة (؟)**

هوشع ٣/ ١: أحب يزرعيل امرأة مرتبطة برجل آخر حسب قواعد «تساديكا»، على الأرجح. حصل عليها مقابل مهر يعادل / ١٥/ فضة وكمية من الشعير.

تكـوين ٣٤/ ١٣: لجأ ابناء يعقوب إلى «الحيلة» تجاه شكيم وحَمور، واشترطوا عليهما أن يصار إلى ختان الذكور الهيغيين للموافقة على زواج أختهم من شكيم (أي أن قلف الهيغيين طُلبت بدل المهر الذي عرضه حَمور).

صموئيل الأول ١٨/ ١٧: كان شاوول قد عرض ابنته ميراب، على داود، ولكنه عاد وتـراجع عن عرضه. واحبّت ميكال، ابنة شاوول الأخرى، داوداً فأعطى الملك أوامـره لأتبـاعـه قائـلاً (صمـوئيل اول ١٨/ ٢٢-٢٥): تحـدثـوا مع داود «بمكـر وخداع»... فالملك لا رغبة له بالحصول على مهر ما، ولكنه يود الحصول على ماية قلفة لماية فلسطيني.

في زواج تسـاديكا، كانت الهبات التي تعطى للزوجة، تُعتبر أحيانا أجور مومس. وكانت شرائع العبرانيين تعتبر هذه الهبات نجسة، مما يستوجب حرقها. وللزوج المخـدوع أن يعتبـر هذه الهبـات لزوجتـه كأجور دعارة؛ وكانت العقوبة

(*) القلفة هي جلدة عضو التناسل.

الشائعة إحراق حقول وكروم الزوجة.

تثنية ٢٣/ ١٩: لايجوز تقديم أجور الدعارة أو أجور «الكلب» إلى هيكل يهوه (المقصود بالكلب هنا، الغلام الذي يتعاطى الدعارة).

ميخا ١/ ٧: نعت النبي سماريا بالمومس وأعلن أن ما جمعته من أجور سوف يُحرق. . . . لأنه تم جمعه كأجور للدعارة ويجب أن يكون مصيره مصير أجور الايماس.

هوشع ٢/ ١٠: لامَ النبي زوجته لأنها تنوي تركه والعودة إلى زوجها السابق، وقال: «إنها لم تعترف أنني أنا الذي أعطاها الحبوب وعصير العنب والزيت. . لذا سوف أعود وأسترد الحبوب. . . وسوف أدمّر كرومها وشجر التين التي قالت عنها: «هي الأجور التي أعطانيها عشّاقي».

حزقيال ١٦/ ١: عندما قارن النبي أورشيلم بالمومس، قام بالتعبير عن شعور شاب نحو فتاة عرفها منذ البلوغ؛ فعدّد الهدايا التي قدمها لها من لباس وحذاء وحلي، من ذهب وفضة؛ ولكنه تحدث أيضا عن مواد غذائية ولُباب وعسل وزيت. غير أن هذه الفتاة مارست الدعارة لكنها، خلافاً للعادة، لم تفرض أ جوراً. ثم سيطرت الغيرة على النبي فنادى بجمع كل عشاق الفتاة لكي يخربوا كل مالها ولكي يحرقوا مساكنها (حزقيال ١٦/ ٤١).

قضاة ١٥/ ١: عندما علم شمشون أن زوجته أعطيت لشخص آخر، قام بجمع ثلاثماية ثعلباً واستخدمها لاضرام النار في حقول الفلسطينيين. وانتقم هؤلاء من أهل الزوجة فأحرقوهم أحياء. ولكن شمشون لم يوافق على ذلك، فقاتلهم وغلبهم ثم اعتكف في مغارة.

الانجاب: لم تكن ولادة الطفل، في زمن الاسطورة، نتيجة علاقة جنسية، ولكي تستطيع قمر الانجاب كان المطلوب من أبيها «بعل» أن يقوم «بفتح أحشائها» لهذه الغاية. وكانت حيلة قمر تكمن في أنها فرضت على زوجها إقامة نُصب أخذت تجامعه وتجد لذّة في ذلك.

وإذا عدنا إلى العهد القديم فأننا نلاحظ أن ولادة طفل ما، لاتُعتبر، في أغلب

الحالات، نتيجة علاقات جنسية. وقد يقوم غرباء، هم «الملائكة» بإخصاب زوجة عاقر. علماً بأنه باستثناء حالة لوط (تكوين ١٩/٣١ـ٣٨) واشارة عابرة إلى حالة «لابان» (تكوين ٣١/٤٣) فإن مسؤولية الأب في إخصاب ابنته لايرد لها ذكر في مكان آخر.

وعلى العكس فإنه يبدو أن اللجوء إلى إخصاب المرأة بأساليب ميكانيكية كان مألوفاً. وهناك بعض الأساطير الفظّة التي تدور حول هذا الموضوع:

تكوين ١٨/ ١ـ١٥؛ ٢١/ ١ـ٧: علمت سارة من ثلاثة غرباء أنها ستلد طفلاً. ضحكت لهذا النبأ فسُمّي ابنها اسحق (ذلك الذي ضحك)؛ أما ابراهيم فقد اعتبر هذا الابن هبة من الله.

تكوين ٢٥/ ٢٢ـ٢٤: (وهو نص مشكوك بصحته) كان اسحق في الستين من عمره، وكانت زوجته عاقراً. توسل إلى يهوه فحملت رفقة؛ ولما لقيت صعوبة في حَملها أخذت تشكو يهوه.

تكوين ٣٠/ ١ـ٢٤: أعطت راحيل ولدين ليعقوب بواسطة خادمتها (تكوين ١٦/١ـ٦)، ولكنها بقيت ترغب بالانجاب فطلبت من اختها «ليّا» إقناع ابنها روّبين بالقيام بهذه المهمة. ثم انجبت طفلاً هو يوسف، الذي اصبح منبوذاً من إخوته(*).

تكوين ٣٤/ ٩ـ)٢: ظهر الله ليعقوب وبشّره بذرية عديدة. أقام يعقوب نُصبا حجرياً في المكان الذي خوطب فيه ثم أراق عليه الخمر وصبّ الزيت. وضعت راحيل طفلها بصعوبة ولكنها شاءت قبل أن تفارق الحياة، أن تسمّي ابنها «بن ـ أُوتي» (مما يمكن ترجمته بأشكال عديدة: وليد الألم، وليد الخطيئة، وليد عبادة صنم الخ...). لكن يعقوب، على العكس، اسماه بنيامين (وليد اليمين ـ علماً بأن هناك امكانية لترجمات متعددة لهذه اللفظة)؛ وأقام نُصباً على ضريح راحيل(**).

(*) إن المقطع الوارد في (تكوين ٣٥/ ٢٢) الذي ينطوي على محاولة تبرير عمل رأوبين، تمت اضافته، على الارجح في وقت لاحق.

(**) لم يذكر العهد القديم حالة أخرى أقيم فيها نصب على ضريح ما. ويمكن التصور أن النصب قد اعتُبر وكأنه الاب الحقيقي للمولود.

حزقيال ١٦/ ١٧ : عندما قام النبي بتوجيه الملامة إلى أورشليم، وشبّهها بالمومس، صاح قائلاً: أخذتِ أدوات فخركِ من ذهبي وفضتي التي أعطيتها لكِ، وصنعتِ لك تماثيل ذكرانٍ وزنيتِ بها.

إرميا ٢/ ٢٧ : قاوم النبي اولئك الذين يقولون للخشبة «إنتِ أبي» وللحجر «أنت ولدتني».

هذا ويرجح أن تعبيراً مثل «فتح الأحشاء»، لم يكن أسلوب كلام فحسب، في زمن لم تكن الصلة فيه معروفة بين العلاقة الجنسية وولادة الطفل. ويمكن أن تكـون النُصب القضيبية(***) قد أُقيمت لاعطاء صورة عن بعض الممارسات، أو لاحياء ذكـرى حالات إخصاب عجيبة. هذا ويمكن أيضاً أن تكون عادة تقديم القلف للحمـو بدل المهـر ـ يمكن ان تكون هذه العادة على صلة ما بإخصاب البنات. إن الاسباب المرتبطة بالسحر والرقَى والمرافقة للختان ليست معروفة حتى الان بشكل يسمح بتفسير هذه العادة.

وضع البلاد واقتصادها: يتحدث الكاتب عن الحقول والكروم والحبوب، ـ ولكننا لانجـد ذكـراً للمـاشية، في هذا النص. يعتبـرون الـذهب والفضة من المعادن الثمينـة، ولكنـه لايرد ما يشير إلى وجـود وحدة وزن. تعبير «بيت الأب» لايعني بالضرورة وجود بناء ما. كون «شمس» يلجأ إلى مغارة يدل على أن المساكن كانت صخرية. ليس في النص ما يشير إلى وجود أثاث، أو مقعد أو كأس.

التصوّر الكوني: يتصورون الكون كوحدة مستمرة، وليس هناك ما يفصل السماء عن الأرض، إذا تعبت الشمس فإنهـا تستطيع الاستراحة في كهف من الكهوف الصخـرية. أمـا القمـر فيمتلك الحقول والكروم. ومع ذلك، يفترض أنهم كانوا يتقبلون فكرة دوران القبة السماوية: فالجنوب كان النقطة التي تبعث منها الشمس «الظهيرة الحارقة». يبـدو انهم كانوا يعتبرون أن مجموعات النجوم تبلغ الذروة في منتصف الليل؛ وعلى ذلـك يكون الشمال أبعد منطقة في السماء. يعتبرون أن

(*) نسبة للقضيب أو عضو التذكير.

القمر «ابنة» بعل وعشتارت، ويقوم في بعض الليالي بوظيفة «نور السماء»؛ والقمر يستطيع أن يُنير ما يراه فقط، ولكنه يعجز عن إنارة من يختبئون في كهوف متعرجة. وفي الليالي المظلمة، لابد أن قمر (القمر) كانت تذهب لملاقاة عشيقها «شمس»، ذلك أنهما كانا يعيشان في حالة استِسْرار. أما دور النجوم، وهن أخوات القمر، فكان الغناء والمديح «لبعل» أب الجميع. ولكن النجوم التزمت الصمت منذ أن قرّر بعل طردها إلى أقصى الشمال، وأصبح من المستحيل معرفة عددها. يبدو أن الشمس، في معتقدهم، كانت تنتسب إلى عائلة أخرى. وكانت قاسية إلى درجة الشراسة لأن أباها، الذي لم يرد اسمه، كان قد عوّدها على ذلك. لاتتردّد في إرسال أشعتها المحرقة في الظهيرة فتخدّر البشر وتحرق الحقول والكروم. كانوا يلقبونها «بملك الصيف» و«بالمتلهّفة إلى الحب» - بسبب حبّها للقمر.

الآلهة: لا يحتوي النص على معلومات عن بعل وزوجته عشتارت، (وهما الالاهان الوحيدان الورد ذكرهما فيه. يمكن الافتراض أنّه في زمن ولادة الاسطورة، لم يكن «بعل» إلّه الجوّ فقط، كما أصبح فيما بعد. يقولون عنه أنه يتصف «بالطيب»، وينسبون إلى الزوجين التمسُّك ببعض المبادىء الأخلاقية. بالاضافة إلى القمر والنجوم، كان لبعل وعشتارت العديد من الاولاد ولكن لم تُذكر اسماؤهم.

العبادة: ليس للبشر أي دور يقومون به في هذه القصة. لذلك يصعب الحديث عن العبادة. على أي حال، يمكن الافتراض أن إقامة النُصب تنبع من تقاليد دينية موغلة في القدم. ان هذه النُصب التي ترمز لقضيب الذكر، كانت معروفة في فلسطين وفي اثيوبيا وفي مناطق أخرى. غالباً ما تأخذ هذه النُصب شكل عضو الذكر، ولكنّها قد تحمل فقط، صورة هذا العضو منقوشة عليها.

يتضح من النص الذي بين ايدينا، أن هذه الحجارة، كانت غايتها بعث السرور في قلب القمر (الانثى)؛ ويبدو أنهم كانوا يعتقدون أن القمر، بوجود هذه النُصب لن يفكر بمغادرة الأرض سَعياً وراء عشيق آخر. وقد يكون طبيعياً أن تصبح هذه النُصب موضع عبادة، طالما وأن وجودها يكفل عودة القمر.

الحياة العاطفية: عبّروا عن الحياة العاطفية بأسلوب مجازيّ، يشبه الأسلوب

العبري إلى حد كبير؛ وكثيراً ما استُعملت نفس التعابير.

الحب لديهم حالة تكاد أن تكون مرضية: فيقولون «احترقَ حبّاً» كما يقولون «حرقته الحمّى». أحد أشكال التعبير عن الحبّ هو القبلة - ويترتب على الحبيبة ألاّ تنس تقبيل حبيبها. الجسارة والكبرياء تتمركزان في اليد. قد يعبّر الصمت عن الأنفة أو عن التجرّد أو عن اللامبالاة. الغضب يشبه الريح: وقد «ينتفخ» الانسان غضباً. الدموع تعبّر عن الألم: وعندما يبكي الانسان فمعنى ذلك انه يتألم.

العدالة: الأب هو الذي يقيم العدالة في عائلته. العقوبة الشائعة هي الطرد من المنزل (IK).

الأخلاق: من العسير القول أن هذه القصة تتضمن مفاهيم أخلاقية، وأصعب من ذلك محاولة استخلاص هذه المفاهيم. تخلّلت القصة اعتبارات أخلاقية ولكنها، على الأغلب، من صنع الكتّاب. على أي حال، نلاحظ أن الفجور وبعض النقائص الأخرى مرفوضة بشدة حتى ولو صدرت عن الآلهة. والاستسرار، حتى ولو أخذ شكل زواج تساديكا، يظل أمراً مخجلاً؛ والهدايا التي تُعطى إلى الخليلة ما هي إلا ثمن الفجور، وأجور عملية غير شريفة. البغاء عمل ممقوت يؤدي إلى التهلكة، والفتاة التي تتعاطاه تتعرّض للعنة أهلها. أمها تنصرف عنها. بالمقابل يبدو أنه، في زمن كتابة النص، كان مقبولاً أن يتم دفع أجر البغي بعملة فاسدة (وذلك على عكس ما جاء في التوراة العبرية: تكوين ٣٨/١٥-٢٣): معتبرين أنه يجوز اللجوء الى الحيلة والغش مع من يحاول الخداع؛ كما وأنه يجوز إيلام من قَسِي قلبه. يبدو كذلك أن أخلاقية الكاتب كانت تجد طبيعياً أن يحاول الانسان التهرّب من العقاب واتخاذ موقف اللامبالي؛ أفضل طريقة لمواجهة قرار مجحف تكمن في موقف صامت متكبّر. لايرد ذكر للندم أو العفو.

الأسلوب والشعر: إن لغة هذه اللوحة تختلف تماماً عن لغة بقية النصوص الاوغاريتية. يمكن الافتراض أن هذا النص كُتب نثراً. لعل الكاتب حاول رواية أسطورة قديمة جداً، كانوا يتذكرون مضمونها، دون أن يتذكروا نصها الاصلي.

II اسطورة كيريت

(١) شباب كيريت
أو
إغاثة المهجّر

تم نشر هذا النص من قبل السيد ش. فيرولُّو تحت عنوان «اسطورة كيريت، ملك الصيدونيين» وهو يحمل رمز T.II من منشورات بعثة رأس شمرا، باريس ١٩٣٦. واللوحة في متحف اللوفر، وهي مؤلفة من ستة أعمدة، ثلاثة منها على الوجه وثلاثة على الظهر.

IK
(المطلع مبتور)

. . . الفرح، العبد (؟)
. . . شفاء البيت.
الملك يعبِّر عن ضغينته، لأنه أقسم:
«ليكن البحر له، المولود الثامن، المولود الأخير.
«بالنسبة لكيريت، قرّرنا أن يلازمه الفقر،
«وأن يصبح كيريت منبوذاً من المواطنين كافة».
المرأة، لاتستطيع أن تنال مما قضى به؛

هذا حق تيراح وأمثاله.
أخذت زوجة تيراح تسأل؛
وتتملّق، بأمل الحصول على العفو:
«بحق الثلاثة الذين قضوا مثل العظماء
«بحق الرابع ZBLNM
«بحق الخامس YETSP،
« RSP، بحق السادس الشاب،
« YM، بحق السابع من أولادنا، دَع له حرِّيته».
- «تقولين كلاماً فارغاً، - أجابها - انتهى الأمر بالنسبة إليه
«بالنسبة لكيريت، تقرّر الفقر؛
«وأكثر من ذلك، مكانه سيكون بين المنبوذين».
استولى عليه الرعب المتزايد،
فذهب إلى غرفته محاولاً أن ينتزع نفسه من شِباك الخوف.
خَيّم المساء على الغرفة - أخذ يبكي
خجلَ لأنّه أصبح موضع شفقة، واستمر في البكاء.
- فتتساقط إذن دموعه! -
مثلما تتساقط الشواقل، تتساقط دموعه على الأرض.
إنه بريء، لايعرف اللؤم، وهو الآن يواجه الظلم.
بكى وبكى حتى غلبه النوم
وتوقف الأنين.
أنهكه التعب فنام
وهدأ - توقّف الأنين.
عند ذلك، ارتفع السقف وانفتح
وفي الرؤيا، نزل إيل إلى سجنه.
أبو البشر، اقترب منه.

وكيريت، بمنتهى السذاجة، أخذ تيردّد؛
وكيريت أخذ يجهش بالبكاء،
أخذ الشاب الجميل يذرف الدموع
وإيل، الملك، سيّد أبيه،
خطبه..؟ ...
أبو البشرية...
(١١ سطراً ناقصة).
«... قرب منزله،
«سوف تخدم كمروّض جياد؛
«تكون مؤتمنا على جياد العربات؛ في الاسطبل
«... الاثنين اللذين خلقتُهما،
«سأجعلهما عشرين.
وقال له أيضا إيل، سيّد أبيه
... بينما استمرّ كيريت بالبكاء،
وهو يذرف الدموع، الشاب الجميل:
«اخشَ سِهام إيل، وستصبح رجْلاً.
«اغسِل يديك بماء الحقيقة،
«من الأصابع حتى الكتف.
«وفي المساء، بعد غروب الشمس الساطعة،
«تمسّك بالكلام، كلام التجربة خذه بيديك،
«كلام التجربة، لماذا هو صحيح؟
«إن ابن آوى، يصطادونه بالفخّ.
«جدِّد قواك، لأنك سوف تتزعزع،
«تشرَّب بالتعاليم السريَّة، تزوَّد بها،
«لأن تجارب الرعب، ستكون رهيبة.

«عندما يحلّ الخراب، لامجال لردّه، ويتم كما هو مقدّر.
«حالة رعب كبير تظهر،
«لأن العربات تتجه صعوداً نحو الرعب،
«لأنها تحمل الغضب والسخط ـ ارفع يدك
«فالسماء تجرّب الأمير.
«ابوك إيل، ينجو من بعل، لكنه
«بينما يجرّبك بن ـ داغون،
«عند ذلك سيأتي إلى حصنك».
ـ كيريت أصبح منبوذاً على سطوح المنازل. الطعام
الدقيق، الخبز مؤونة خمسة أشهر
يوفّره بحيث يكفيه لستة أشهر.
ـ «نيجيب» يبتهج، هو سعيد لأنه خرج إلى الحرب.
أخذت جيوش «نيجيب» تتقدّم،
لأنها خرجت، والحبور يملأ القلب.
ـ جيشك قوي هائل،
ثلاثماية من الرُّماة
ومعسكر لا يحصى عدده،
رماح لايمكن وصفها.
يسيرون كالثيران على العشب الجافّ:
الرماة، رماة السهام يشبهون مطر الخريف،
يسيرون ثُناءً
وهم المدمِّرون عندما يسيرون ثلاثى
ـ تركوه وحيداً، أغلقوا بيته
واصبح وحيداً.
ـ «ستنام على التبن». ـ

قرّروا استطلاع الحظ.
وقعت القرعة على تيراح وكان عليه أن يخرج للمبارزة.
منذ شهر ولسانه يكاد أن يحترق؛
زوجته لماذا تحمل النحس؟
ما أن تعانقه حتى يشعر أنه وقع في شِرك.
ـ «سوف تواجه المخاطر، هذا ما تقرّر،
«وبشجاعة، ستذهب إلى الصحراء.
«سِر على قدميك. يوم، يومان، ثلاثة، اربعة أيام
«خمسة، ستة، ثم ترتمي مُنْهَكَ القوى
«في اليوم السابع، عندمتا تتوقَّف قرب إيدوم».
الايدوميون عديدون، قلوبهم قاسية،
على الغريب الذي يتعرض لحيلهم وغضبهم.
ـ الذُلّ عمَّ الحقول
ودخل البيادر، هكذا شاء القدر:
«ابنُك المرصود، يعدو». ـ بعد التفكير
«انتهت فترة الصمت. ـ يوم، يومان
«ثلاثة، اربعة أيام، ـ وهَنت عزميته
«ستة أيام: لا تأخذ سِهامَك بيدك
«فتلقاه بقبضة يدك الحجريّة؛
«أنهكَه ما تعرّض له من سوء المعاملة، ها هو وقد خارت قواه».
ـ مضى اسبوع على بيبيل وهو لا يعرف الرقاد.
الملك يتناول الشراب بدل الطعام، يترنّح
لكي يخففوا عنه، يقدّمون له المزيد من الخمر.
ألف ساحر حوله. يرتجفون خوفا من الموت الذي يهدّدهم
طردهم كالكلاب.

ذهبت الرسل إلى كيريت
ونقلت إليه رسالة بيبيل، الملك:
«خذ الفضة واتفل على الذهب.
«اقترب من مسكنه واخدمه على الدوام
«كمروِّض لجياد العربات
«في الاسطبل كرجلٍ موثوق.
«وافِق على السلام،
«لنعقد راية السلام، فالملك لا يخشى القتال.
«وإلاّ فابتَعِد، كيريت، عن منزلي
«ولا تكن معادياً لفناء داري.
«إذا كنت تنوي مشاكسة إيدوم، فإنّك قد حجّرت قلب إيدوم
«إيدوم ستصبح شرسة: ـ اللعنة والشقاء
«وافق، يا رجل، أو عُد من حيث أتيت».
ـ «أبلغوه رسالتي هذه: , ولِمَ أقاتل؟
«من أجل الفضة ولكي أتفل على الذهب؟
«قرب منزله سوف أخدم
«مروِّضا لجياد العربات،
«في الاسطبل كرجل موثوق ـ
«ولكي أحصل على ثمن مجيئي:
«إعطني، كعربون، فتاة نبيلة،
«وجميلة، ولترتبط بالصفقة.
«يجب أن يضاهي جمالُها جال عناة؛
«بَخِّرها كما تُبخَّر عشتارت،
«من أجلِ أن تنبعث من جفونها حرارة الرضى
«ولتكن شَفَتها.؟..، قلِّدها...

«فاستريح في ظلّ نظرتها.
«ذلك أن إيل، في الحلم وعدني،
«عندما كنت أسبِّح ابا البشريّة:
«ـ ذريّة كيريت ستتكاثر
«وسيصبح الشاب خادماً لايل ـ»
هل تاهَ كيريت؟ ـ أخذ يحلم:
اخدِمْ إيل وسوف تلقى التكريم.
خشي سِهامَه، فاصبَح رجْلاً؛
غسَلَ يديه بماء الحقيقة،
من أصابعه إلى كتفه.
وعند المساء، بعيداً عن أشعَّة الشمس المحرقة، أمسَكَ
بكلمات التجارب بيديه:
، يصطادون بنات آوى بالفخّ،
استرجَعَ قِواه، لأنه بدأ يتردّد،
وحصَلَ على المعرفة السرية للتجارب.
استولى عليه القلق، عندما ظهر الرعب والخراب،
عندما تبيَّن وظهر، المقدَّر الذي لا مفرّ منه، وانطلقت
صعوداً العربات التي يحرِّكها الغضب،
منذرة بالكارثة. رفع يده
نحو السماء،
نحو إيل، سيّد أبيه، مستجيراً
... بينما كان بن ـ داغون، يدخله في التجربة.
هبط كيريت إلى سجنه،
أصبح منبوذاً يقيم على سطوح المنازل. الطعام
الدقيق، دقيق «بيت الرفاق»،

الشواء، الخبز . . . ما كان منها مخصَّصاً لخمسة أشهر
وفَّرَهُ بحيث يكفي لستة أشهر.
ـ خرجت جيوش نيجيب للقتال مبتهجة،
بسرور ذهب نيجيب للحرب.
قلب جيشه كان قوياً:
ثلاثماية نبَّال
يسيرون كالثيران على العشب الجافّ.
ألم يكونوا، مثل مطر الخريف،
وهم يسيرون اثنين في كل صف
وعندما يسيرون ثلاثا، عند ذلك يحلّ الدَّمار؟
مسكنه وحده أُغلق:
فأصبح منبوذاً
، على التبن والقش ستنام
ـ قرّروا استطلاع الحظ
وقعت القرعة على تيراح
من جديد
تيراح يؤذيه كلام زوجته
ويرى الشؤم في لمساتها.
«سوف تتعرّض للمخاطر، للشِراك.
«هذا مقرَّر، إذهب كأي رجل شجاع
«اذهب إلى الصحراء».
ـ يوم، يومان
خارت قواه في اليوم الثالث،
توقف قرب مَعْبد
عشيرات صور، وإيلات.

حيث يقيم الصيدونيون.
ـ عند ذلك فهمتَ، يا كيريت، أن الغوث آتٍ.
قدِّم القرابين لعشيرات صور
ولايلات صيدون، قدِّم القرابين:
«من أجل أن يُصبح مسكني نبيلاً،
«تقبَّلا خمر المساء، يا فتاتيّ.
«ليكن فناء داري مبعثاً للبهجة والسرور؛ وبشفتيّ
«سوف أُمجِّد حسناتكما، والابن الثالث أنذره لكما».
، ـ يسير طوال يوم، يومين،
، ثلاثة، اربعة أيام،
، بعد ذلك تنهار قواه، وفي الرابع
، يتوقَّف قرب إيدوم المشاكسة.
، الايدوميّون قساة القلب،
، وحناجرهم تنطوي على الحيلة.
، أما الملك، فإنّه سيعرف الذلّ.
، يتجلّى القدر في الحقول،
، ويدخل البيادر،
، ثم يظهر لك فجأة لكي يتم، بغربالك، تحقيق النبوءة،
ـ نفَذَ القدر. . . . . . .
. . . يوم، يومان،
ثلاثة، اربعة أيام
خمسة، ستة أيام
وانهارت قواه في اليوم السابع.
ـ بيبيل لا يعرف الرقاد.
الملك، . . . يسقونه حتى يصبح ريَّانا،

بالخمر يغذّونه تخفيفاً عند.
. . . . ألف
ساحر يرتجفون كالكلاب
(٢٦ سطراً ناقصة ـ بقيت منها بعض الاشارات).
«وافق على عقد. . .
«لا . . . السلم.
«الايدوميّون مشاكسون و . . .
«قسوة قلب إيدوم . . .
«لعنة الشؤم. وافِق، يا رجل، أو
«إرحل، ملك نسِيدِّي.
«إنَّه كيريت، ذلك الذي . . . من أجل ساحتي
«لأنّه هو الذي أجاب (؟)
ـ «لماذا أقاتل من أجل الفضة
«وأتفل على ذهبه؟
«من أجل أن أخدم، على الدوام، قرب منزله
«كمروِّض جياد
«العربات، في الاسطبل،
«لابدّ من أن تعطى لي فدية حقيقيّة.
«ولتُقم المدائح في بيتي:
«عربوني سيكون فتاة نبيلة،
«وجميلة، عربون الصفقة،
«جمالُها يضاهي جمال عناة:
«جمالَها ستَبخَره بالبخور
«كما تبخّر عشتارت بالبخور.
«حرصها على الموافقة سيجعلها شديدة الشوق

«جفونها، شفتاها . ؟ .
«لأن إيل، في الرؤيا، وهَبَها
«بينما كنت أسبِّح أبَ البشرية :
« ـ بارك ذُرِّيتي
« . ؟ . والشاب سيصبح عبداً لك»
ـ ببيبل، إنّك ستطلب ملائكة من إيل
لكي تبقى غيمتك مستقرَّة على وجهها،
أما أنا فاعطني الشعوب .
سوف ترقد أيّها الملك .
ثم يأتي العلاج فتعود إلى الحياة
. . . ـ هذه هي مأساة المنبوذ الذي تلقَّى الغوث . . .
حكاية الشاب الجميل الحزينة . . .

يصعب النظر إلى ملحمة كيريت، التي يشكّل هذا النص النشيد الثاني أو الثالث منها، من زاوية تاريخية بحتة .

ان العناصر التي تنمو حولها الخرافات هي بالحقيقة ملكية مشتركة للبشرية، والنزاعات الموصوفة فيها إنسانية، عميقة الجذور(*). اما المعلومات التاريخية الجزئية التي نحصل عليها منها، فإنها لاتشكل أكثر من خيوطٍ، نسَجَ الخيال الجماعي أحلامه حولَها. إن قصص الجان والملاحم والأساطير، ما هي إلا المشكلة العائلية، التي تدور في نفس كل انسان بدائي، بعدما تم نقلها إلى الماضي .

بالطبع يمكن أن تكون جذور المأساة حقيقية فيما إذا عدنا بها إلى ماضٍ سحيق او حتى إلى ما قبل التاريخ . إن دراسة المجتمعات الطوطميّة تسير بهذا

(*) حياة السيد المسيح :G. BERGUER . جنيف ١٩٢٠ .

الاتجاه. غير أنه عندما تشكل الخرافة، تكون المأساة قد أصبحت من الماضي - باستثناء بعض الحالات ـ ولم يعد لها وجود إلا في خيال البشر.

من هذه الزاوية، نجد الملحمة النموذجية تنقسم إلى ثلاثة أقسام تتوافق مع مراحل الحياة البشرية:

١ ـ **الطفولة**: مع بداية ظهور الوعي، يشعر الطفل أنه لم يعد مركز الثقل الذي تدور حوله العائلة، يتركه ذووه لنفسه أكثر فأكثر، فيؤلمه اضطراره القيام ببعض الحركات لوحده. عند ذلك يتصوّر الطفل أنه سُرق من والديه، وأن أمه ليست أكثر من زوجة أبيه الخ... فيميل إلى معاشرة أناسٍ أدنى (خادمة، حيوانات أليفة) ـ وتتشكّل في مخيّلته خُرافة ولادة البطل:

آ ـ هذا البطل يولد، عادة، من أبوين من سلالة الآلهة أو الملوك أو العظماء الخ...

ب ـ تكون ولادته صعبة، يرافقها نذير شؤم، وتواجهها عقبة ما.

ج ـ بعد الولادة يصبح الطفل «معرَّضا»؛ يحاولون التخلص منه.

د ـ يتم إنقاذه باعجوبة، ويتولّى أناس عاديون، رعاة في أغلب الحالات، أو مزارعون بسطاء من الطبقة الشعبية. وقد تقوم برعايته حيوانات.

هـ ـ يجتاز البطل أحداثاً مختلفة، وينتهي بالعودة إلى ذويه؛ يحصل على حقوقه الأصلية ويتحقق قدرُه.

الفتوة: ما ان يألف الشاب الحياة العائلية، حتى يفكر بتركها للبحث عن مكانه في هذا العالم، وتأليف عائلة. وإذا كان أصغر الاولاد، فإنه يرى حوله إخوته وقد حصلوا على بعض الامتيازات. يغادر المنزل للقيام بأعمال كبيرة، ويزيّن له خياله أنه سيصبح أعظم من أبيه. بالنتيجة يحصل على الزواج الأفضل وعلى المركز الاجتماعي الأنسب. وهكذا تنشأ الملحمة.

إن الخطوط الكبرى للملحمة توجد في قصة جن خرافية، عثر عليها «ث. بنفي» (BENFEY) مع تعديلات طفيفة، في كل بلاد العالم. «وَلَد يحلم بأن يصبح أعظم من والده، بأن يصبح ملكاً. يصبح نتيجة لذلك مغروراً وغير اجتماعي

لدرجة يضطر معها والده، الذي لا يعرف شيئا عن أحلامه ـ يضطر لطرده. يصل الشاب إلى بلاط ملك ما، ولكنه لا يُطلع هذا الأخير على سرّه. يحلّ في السجن ويُحكم عليه بالموت جوعاً. يستطيع أن ينقب جدار سجنه وان يتصل بابنة الملك، التي تقع في غرامه وتقدم له الطعام. يجتاز تجارب صعبة (تكهّنات، حل مسائل معقدة، انتصار على غول او مسخ الخ . . .) فيحصل أخيراً على يد الأميرة ويتخلّص من الملك (بقتله؟) ثم يحل محلّه.

هذا ويمكن أن نعيد إلى هذا النموذج قصة الأخوين المصرية(*) وكذلك قصة «الحكماء السبعة»(**) وهي من القرن الثاني عشر الميلادي.

غير أنه لابد لنا من الاشارة إلى بعض النقاط في ملحمة كيريت:

آ ـ **موضوع التلقين (المسارّة)**: يتعرّف البطل، في منزلٍ والده، أو بعد مغادرة المنزل بقليل، على شخص (إلـه مجوسي أو ساحر) يلقّنه قواعد سلوك معيَّنة، يعطيه طلسم، يتنبأ له بالمستقبل الخ . . .

ب ـ **موضوع منتصف الطريق** (او المساعدة غير المتوقعة): في منتصف رحلته، يضل البطل الطريق ويواجه أخطاراً لا قِبل له بها؛ يأتي لمساعدته البسطاء الذين عاشرهم في طفولته أو معلّمه أو بعض الآلهة. يقوم البطل بتقييم الطريق الذي قطعه وبذلك يجد تفسيراً لبعض الجمل الغامضة. يستردّ شجاعته لمواجهة التجارب التي تنتظره (تكوين ٢٨ / ٢٠ ؛ ٣٢/١).

٣ ـ **سن النضج (الكهولة)**: يكون الشاب قاسى الكثير من الآلام، مما يدفعه لمحاولة تغيير النظام الاجتماعي. يأمل بانجاب طفل ينتقم له ويتمم العمل الذي بدأه. وبذلك ـ بُعد بضعة أحداث مضافة ـ تنتهي الدورة وتبدأ اسطورة مفاخر الابن.

نصُّنا هذا يتعلق بعهد الفتوة. هناك، على الأغلب، اسطورة أحاطت بولادة البطل؛ غير أن اللوحات التي تروي ذلك لم يتم العثور عليها حتى الآن.

(*) اسرائيل، منذ نشأتها . . . A. LODS . باريس ١٩٣٢.

(**) ورد ذكرها في المرجع السابق HUET .

نعلم ، بشكل عَرَضيّ، أن كيريت كان الابن الثامن لتيراح. والرقم /٨/ ليس بالرقم السعيد: إنّه رقم ٧+١ . هذا ويمكن الاعتقاد أيضاً أن الطفل منذ ولادته كان مرصوداً لمستقبل باهر، مما أقلق أباه واخوته. في النص ما يوحي بأن كيريت أُلقي في البحر؛ وقد يكون نجا بأعجوبة. يبدو أنه اجتاز أحداثا نجهلها، المهم أننا نجده يافعاً يعيش بين أهله. يتبيّن من النص أن ثلاثة من أخوة كيريت فقدوا الحياة وهم يقاتلون. اما الأب، الذي كان مقاتلا شجاعاً في الماضي، فإنه أخذ يشعر بالوهن: ولابد له من تضحية أصغر اولاده، إنقاذاً لبيته. على ذلك، يقرر تيراح إلقاء كيريت (مرة أخرى؟) في البحر. تتدخّل الأم ولكن الأب يصر على موقفه؛ إلا أنه يعود فيوافق على ان يذهب الشاب على غير هدى، وحيداً، يلازمه العوز، فيصبح منبوذاً في المدن التي يحاول الاقامة فيها. مثل هذا القرار يعادل حكماً بالاعدام بالنسبة لكيريت، يستولي عليه الرعب فينزوي ويبكي سوء طالعه. إنه لايستطيع تحمل مثل هذا الظلم، مثل هذا الذل. يأتي المساء، - يرقد كيريت، فيرى في الحلم أن السقف يرتفع وأن إيل يهبط إليه. يتردد كيريت، بسذاجة، ويرتبك أمام الاله، لكن هذا الأخير يتنبأ له بمستقبل زاهر، ويبشّره بأن أميرة جميلة ستكون من نصيبه. غير أنه لن يحصل على الأميرة الجميلة إلا بعد اجتياز العديد من المصاعب، ذلك أنها ابنة لملك خبيث. وسينتهي كل شيء على خير، فيبقى كيريت في خدمة هذا الملك كمروِّض جياد موثوق.

يعده إيل أيضاً بذرية كثيرة: عشرين ولدا! لكن الشاب الجميل يستمر بالبكاء، فيقوم إيل بتلقينه ما سوف يساعده على تجاوز كل هذه الصعوبات. ويستطرد الآله فيخبره أن التجارب ستبدأ قريبا، وأن أشياء فظيعة اصبحت على وشك الحصول، وأن ما يجري على الأرض سيكون له صداه في السماء. إن إيل نفسه سوف يتعرض للخطر، وهذا ما يضطره إلى الهرب حالياً؛ ولكنه سوف يأتي للمساعدة عندما يصبح كيريت مهدَّداً.

وتبدأ حياة التشرد بالنسبة لكيريت. نجده وحيداً على سطوح المنازل في المدينة. يشفق عليه البعض فيسمحوا له بدخول الخان. يتذكّر كيريت المخاطر

التي أشار إليها الاله، يحاول إدخار الطعام ويوزِّع على ستة أشهر ما أعدَّه لخمسة. تتعرَّض البلدة للحصار من قبل جيش «نيجيب» الذي يتحلّى بجاهزية قتالية غير مألوفة. كان يرافق الجيش المحاصر ثلاثمائة نبَّال، هذا الجيش المزوَّد بالرماح يسير في الحقول التي جفت حشائشها، بخطى ثقيلة كخطى الثيران. تتطاير النبال في الجو وكأنها أمطار الخريف. يسيرون ثناء بشكل لايمكن معه التعرض لجندي على انفراد. أما اللقاء بثلاثة منهم، فيعني الموت المحتوم. اصبح كيريت في هذه المدينة غريباً، لاينتمي إلى عائلة أو جماعة. رجال المدينة القادرون على حمل السلاح، يدافعون عنها من على الأسوار؛ أما هو فبقي منبوذاً في الخان. ساءت أحوال المحاصَرين فتقرّر اللجوء إلى استشارة القدر. تقرر أن يخرج تيراح لمنازلة العدو. كان قد مضى ما يقارب الشهر على مغادرة كيريت بيت أبيه. كان لسان هذا الأب يكاد ان يحترق لأنه قد يحتاج إلى اللجوء إلى لعنات جديدة بحق ابنه. حاولت زوجته التأثير عليه فتهرّب من معانقتها وشعر أنها هي أيضاً تمثِّل الشؤم؛ هرب منها كما يهرب الانسان من الفخ. ها هو الآن يواجه ابنه من جديد؛ إنه لم يطرده من البيت ليبقى في الخان ـ على كيريت ان يبتعد اكثر من ذلك بكثير. لابد من رحيله إلى الصحراء؛ يجب أن يسير على قدميه أسبوعاً كاملاً، لابد من رحيله إلى الصحراء؛ يجب أن يسير على قدميه اسبوعاً كاملاً، إلى أن تضعف قواه وينهار في اليوم السابع، وهكذا لن يستطيع لقاء من يعطف عليه ويسمح له بدخول الخان. على أبواب «أيدوم» سوف يتعرّف كيريت على حِيَل الغرباء وقسوة قلوبهم. ذهب كيريت ولكن الشلّام عاد وحل في منزل تيراح. كان عليه أن يقتل ابنه بيده حتى يتأكد من موته. على أي حال إن سبعة أيام ليست بالأمد الطويل، وبنهايتها سيموت كيريت منهكاً.

في بلاد «إيدوم» البعيدة كان يعيش ملك شيخ اسمه «بيبيل». تسلّط على هذا الشيخ شعور داخلي، حس غامض ينبيء بقرب مجيء كيريت ونهاية حكمه؛ فأصبح لايعرف الرقاد. لم يعد هذا الملك يعرف الراحة رغم رُقى السحرة ورغم ما شرب من خمر. أصبح السحرة يرتجفون خوفاً على حياتهم، كلما اقتربوا منه ـ

طردَهم كالكلاب. قرر «بيبيل»، بعد اسبوع من الأرق، إرسال الرسل لملاقاة هذا المتشرد. يعرضون عليه الفضة، لعله يتغاضى عن الذهب المخزون في بلاد «ايدوم»؛ والأفضل محاولة إغرائه بتعيينه مروِّض جياد العربات، على أن يكون الرجل الموثوق في الاسطبل. - إذا ما رفض هذه العروض فإن «ايدوم» سوف تجابهه. الملك، بالأصل يميل إلى العنف، وكيريت لن ينجو من الكارثة فيما إذا بدأ النزال. له الخيار: قبول الصفقة أو العودة من حيث أتى. لم يتردد الشاب كثيراً وكان جوابه واضحاً. لأنَّه لا يرغب بالقتال، والفضة لاتلقى اهتماماً لديه، ولكن لماذا يعرض عن الذهب؟ على أي حال إنه يقبل أن يخدم كمروض جياد مدى الحياة، ولكنه يرفض أن يبيع نفسه. إنَّه يطالب بضمان آخر: أن يزوِّجه الملك من أميرة: أميرة جميلة مثل عناة، تتمتع بكل الفضائل، تُبخَّر كما يبخِّرون عشتارت في بلاد «إيدوم». والصفقة ليست صفقة عادية، وان كيريت، بغية أن يتأكد من أن الفتاة هي الزوجة المرصودة على اسمه، يريد أن يرى من خلال جفونها الطويلة، لمعان الموافقة والرغبة في عينيها. وأخذ كيريت، منذ تلك اللحظة، يحلم بلذّة إسناد رأسه على صدرها، بلذّة إغماض عينيه وهو يعرف أن نظرة حنون ترعى نومه. إنّ الأميرة التي وعده بها إيل، هي الوحيدة التي يمكنها أن تعطي لكيريت ذرية عديدة، فيصبح مع ذريته خدم هذا الآله إلى الأبد.

عاد الرسل إلى «بيبل» وبقي كيريت وحيداً. هبط الظلام فوجد كيريت نفسه في منعطف بالنسبة لحياته. استعرض ماضيه فرآه وكأنّه يرى حلماً. خشيَ أن يقع في خطأ ما. هل اتبعَ تعليمات إيل بحذافيرها؟ - أخذ يتذكر هذه التعليمات وطابَقَها على تصرفاته الأخيرة. استعرض كل التفاصيل حتى لحظة طرده للمرة الثانية من قبل والده. توجّه، بعد ذلك إلى الصحراء، وسار على قدميه مدة ثلاثة أيام، أنهكه المسير، فتوقّف في بلاد صيدون، قرب معبد عشيرات وإيلات. قدّم قرباناً للآلهتين ونذر نذراً: إذا ما استطاع التغلب على محنته وتأسيس عائلة نبيلة، فإنه سيقدم لهما، بانتظام، الخمر قرباناً في كل مساء، وإذا ما تمتع بالبحبوحة وكان فناء داره مما يسرّ النظر ويبعث البهجة في النفوس، فإنه سيقوم، باستمرار، بترتيل

الأناشيد لهما. ثم عاد ونذر لهما الابن الثالث من أبنائه. كانت إجابة الآلهين كما يلي: «على كيريت أن يستمر بالسير ثلاثة أيام أخرى قبل وصوله إلى إيدوم. إنـه هو الشخص الذي اختارته الاقدار لتدمير بيت الملك، ولتنفيذ ما تكنّه الأقدار لتلك البـلاد». القدر سينفذ في إيدوم ـ لا مردّ لذلك. اليوم هو اليوم السابع لمغادرة كيريت بيت أبيه، وها قد انهارت قواه.

كان بيبيل ينتظر بفارغ الصبر عودة رسُلُه. إنه لا يعرف الرُقاد، رغم ما تناوله من الخمر..

هنا ينقص النص /٤٦/ سطراً. ويُعتقد، حسب استنتاجاتنا، أن الأحداث المـأسـاوية الكبرى في الملحمة، تقع في هذا المكان من اللوحة. نستطيع أن نتخيّل هذه الأحداث على الشكل التالي:

عودة المبعوثين وغضب بيبيل الشديد، خاصة وأن ابنته (الوحيدة) هي التي تنـطبق عليها الأوصاف التي اشترطها كيريت. يترتب على كيريت القيام بأعمال عظيمة لكي يستحق الأميرة، لكن إيل يأتي لنجدته فيتغلّب على المصاعب. وينشأ وضع جديد ترتبط به مصاعب جديدة، ذلك أن ملك «تسيدّي» يهاجم «إيدوم». يهب كيريت للدفـاع عن المدينة ويعرض الصلح على المهاجمين فيما إذا قبلوا بالعودة من حيث أتوا.

... كيريت أصبح هو المدافع عن ساحات «إيدوم». صحيح أنه نبذ الفضة ولكنه حصل على الذهب الحقيقي في شخص الأميرة التي تضاهي عناة بجمالها، تلك الأميرة التي رأى في عينيهـا لمعان الموافقة يتـأجّج. إنّها هي التي ستعطيه الذرية العديدة التي وعده بها الآله. أما الملك الشيخ «بيبيل» فإنه الآن آن ينام إلى الأبـد. إيل سيبعث إليه ملائكة تحجب وجهه بالظلمات، وتُصبح شعوب إيدوم تحت قيادة كيريت. والشيخ «بيبيل» بدوره سوف يخرج من سباته العميق فيما بعد ويستعيد شبابه في عالم آخر.

«هذه هي قصة كيريت الحزينة، كيريت المنبوذ الذي تلقى الغوث،
«هذه هي نهاية قصة الشاب الجميل كيريت».

لكي نستفيد من هذا النص، ومن المعلومات الواردة فيه، لابد لنا من تمييز ثلاث طبقات فيه: آ ـ الذكريات القديمة المبهمة؛ ب ـ إطار الملحمة؛ ج ـ الكتابة والانشاء. فطبقة الذكرى القديمة المبهمة تغطي المأساة العائلية؛ ـ وطبقة إطار الملحمة، تأخذ طابعاً تاريخيا فتهتم بالدقة. إن هذا النوع من القصص، كما نعلم، يستند، عادة، إلى وقائع صحيحة: صخرة غريبة الشكل، شجرة، ينبوع الخ... ثم تولد الأسطورة عند محاولة تفسير هذه الظاهرة. هذا ونلاحظ أن القرابة العِرقية (العنصرية) كانت من أكثر الأمور إثارة للخيال. أوَّل ما يتبادر إلى الذهن، أن هذه الشعوب تحدَّرت من أب واحد. ولكن، عندما يتعلق الأمر بمجموعة من الناس محصورة وغريبة، فإن تفسير هذه الظاهرة يصبح صعباً فيذهب الفكر إلى حالة هجرة أو هروب الخ... وتجدر الاشارة هنا إلى أن قصة «لاعب المزمار» لها ميل تفسّر لنا (فيما تفسّره) سبب وجود مجموعة سكان يتكلمون الجرمانية، في ترانسلفانيا. كما أننا سوف نعود، بمناسبة أخرى إلى قصة يوسف، التي تهدف، على الأغلب، إلى تفسير وجود جالية سامية في مصر.

واذا عدنا إلى ملحمة كيريت، فإنه يُمكِننا افتراض وجود مجموعة سكانية قريبة عرقيا من سكان اوغاريت، كانت تتواجد وتقيم قرب حدود مملكة إيدوم، في زمن كتابة الملحمة. وحملت هذه المنطقة، فيما بعد، تسمية **نيجيب ـ ها ـ كيريتي**. واصبح لابد من إيجاد خرافة لتفسير وجود هذه المنطقة المحصورة. ثم أُضيفت إلى الخرافة بعض التفاصيل التاريخية: ذكريات وقائع حديثة نسبياً مثل مجيء جيوش آتية من الجنوب، تنتشر في البلاد وتحاصر المدن. وأخيراً يأتي الكاتب فيساهم بأسلوبه اللغوي وشعره وطريقة تفكيره واخلاقيته وعاداته، وينتج عن هذا الخليط بعض المفارقات التاريخية، وهي بالحقيقية جدّ مفيدة لأنها تساعدنا على تحديد زمن المعطيات المختلفة لهذا النص. وهكذا تعرَّفنا الأسطورة على كيريت كابنٍ لمحارب شجاع بينما يتبيَّن لنا أنه بالحقيقة يحمل عقلية ابن تاجر رعديد، يسعى قبل كل شيء إلى الذهب والفضة ويعتبر ان الفقر يساوي الموت. ـ هذا ونلاحظ أن الخطر الوحيد الذي كانت تخشاه رأس شمرا في ذلك العهد

يتجسّد بمجيء جيش قوي من الجنوب، لذلك نرى كيريت يتوجّه نحو الجنوب فيستقر في «إيدوم».

البلاد والسكان: إن اسطورة كيريت كما وصلتنا، رأت النور في رأس شمرة، وهي تبعد حوالي ستماية كيلو متر عن بلاد «إيدوم». معني ذلك، حسب الاسطورة، أن مسيرة يوم واحد كانت تعادل ما يقارب الماية كيلو متر؛ علماً بأنه بالفعل يتواجد في منتصف الطريق بين رأس شمرا وبلاد إيدوم، نهر الليطاني الذي يصب في البحر بين صيدا وصور. في هذا المكان استراح كيريت مساء اليوم الثالث، قرب معبد تم تكريسه لآلهتي هاتين المدينتين.

جنوبا، وعلى بعد مسافة تعادل تلك التي قطعها، كانت تقع بلاد إيدوم، على حدود صحراء «ميدبار». إن اراضي رأس شمرا كانت تلامس البحر، وكان لايزال في الذاكرة الزمن الذي لم تكن فيه المدينة تعيش على التجارة، وكانت تأتيها المخاطر من البحر. لكن الوضع تغير فيما بعد واصبحت المخاطر ترافق السفر براً. في زمن كتابة النص، كانت رأس شمرا قد اصبحت مدينة تجارية، لا هم لها إلا العيش بسلام مع جيرانها. كانت صيدون، حليفة صور، تمارس نوعاً من الرقابة على مواصلات رأس شمرا مع الجنوب، الأمر الذي كان يتقبله الأوغاريتيون مقابل بعض المنافع مثل امن الطرقات الخ... كانت رأس شمرا تخشى، في مجال علاقاتها مع مصر، منافسة بلاد «إيدوم». ويبدو أن الايدوميين كانوا معروفين بالقسوة واللجوء إلى الحيلة والكذب وكراهية الاجانب. أهل صيدون كانوا يشاركون الاوغاريتيين رأيهم هذا في جيرانهم الايدوميين. كان هناك منافس آخر لرأس شمرا هو «تسيدِّي»، ويعتقد أنها مدينة «حِدِّيم» (يشوع ١٩/ ٣٥) التي تقع في بلاد نغتالي، قرب بحيرة طبريا. وتشير الأسطورة إلى ان ملك «حِدِّيم» كان يقاوم وجود الكيراتيين في بلاد «إيدوم».

أما بلاد «نيجيب»، التي ذكرها أيضاً فيما بعد كاتب سفر دانيال (دانيال ١١/٥) فكانت بلداً قوياً ومقاتلاً يقع إلى الجنوب أيضاً، والمقصود بها مصر. كانت رأس شمرا على علاقة جيدة بوادي النيل وهذا واضح في نَفَس الأسطورة،

مم يدل أن «التجربة الكبرى» التي تحمَّلتها رأس شمرا عندما قام توحتمس الثالث باحتــلال قادش (١٤٧٣)، اصبحت وقــد طواهــا النسيان جزئياً، ورؤيَ على الأغلب، أنَّ تعابير التمجيد لهذا الجيش المقتدر، كانت من باب ما يفرضه حسن السياسـة، وضـرورة تناسي مـا حفـظته الـذاكرة من تخريب الحقول ومعاناة المجـاعـة. غير انـه يبـدو إن هنـاك ما لم يكن تنـاسيـه مستـطاعاً، وهو تدخل «بن ـ داغون». سوف نرى (IV AB' IÁB' I AB) ، أن «بن ـ داغون» كان ملكاً أو بلداً؛ أمـا المقصـود بهـذه التسمية فكـان على الأرجـح، مملكـة دمشق. كان «بن ـ داغون» حليفاً تابعاً، أو على الأقل مؤيداً لمصر. كان، على الدوام، مستعداً للتدخل لمصلحة هذا البلد القوي. يجعلنا نميل إلى هذا التفسير ما نلاحظه أيضاً من صمت المصادر المصرية حول دمشق، بالاضافة إلى أن جيوش الفراعنة لم تحاصرها ولم تهاجمها لدى مرورها على مقربة منها. وكان مألوفاً أن يحمل البلد اسـم مليكــه، والعــديد من ملوك دمشق في ذلــك الــزمن كان يحملون اسم «ابن ـ حدّاد» (وهو مرادف لابن ـ داغون).

الادارة: كانت رأس شمرا، في وقت من الاوقات، مثلها مثل العديد من المدن التجارية، تتمتع بنظام جمهوري ثيوقراطي. نلاحظ ذلك من خلال بعض الجمل في النص مثل «استشاروا»الآلهة لمعرفة من يتولّى القيادة للدفاع عن المدينة. لم يرد ذكر لملك ما في رأس شمرا، والآله إيل هو سيِّد الحكام. هذا مع العلم أن اسطورة كيريت تتحدث لاحقاً عن «الملك ـ العظيم» الذي تدخل لحل خلاف ما (III K) ؛ غير أنه لايمكن التأكيد أن مجمل النصوص المتعلقة بهذه الاسطورة تعود إلى تاريخ واحد. «إيدوم» كانت تعيش في ظل حكم قوي؛ غير أن مليكها، مع الزمن ضعُفت همّته، واصبحت كل مدينة من مدن البلاد يتصرّف بشؤونها حاكم اسمه «السارنا» (قضاة ١٦/٥). وُصف ملك «إيدوم» بالملك «السيء» دون أية معلومات أخرى حول هذا الموضوع. أما بلاد «حِدِّيم» فكان يحكمها ملك همُّه الغزو والتعدِّي على البلدان المجاورة.

هناك نقص في النص يمنعنا من معرفة المزيد عنه وعن بلاده.

الحالة الاجتماعية: كانوا يتذكرون في رأس شمرا زمناً كان فيه لصغار الاقطاعيين مثلاً أعلى يرتكز على القوة. يبدو أن «السار» في رأس شمرا كان يشبه «السار» في مِديَن - عوربت وزيب (قضاة ٧/٢٥). أبناء «السار» يسيرون على خطى ابيهم القتالية؛ واذا مات بعضهم على ارض المعركة فإن الأب لم يكن ليشعر بجرح بالغ العمق. كان همّه تدريب ابنائه على القتال باسلوب لايخلو من القسوة. كانت البلاد، مقسمة اجتماعياً إلى طبقات، وعلى رأس الهرم الاجتماعي كانت طبقة النبلاء «الحوريم». يبدو أن «الحوريم» كانوا أحفاد مقاتلين قدامى اختلطوا مع بقية السكان في المدينة التجارية. هذا ولعلّ الزواج من أميرة كان هدفاً يمكن تحقيقه بأسهل مما هي عليه الحال في قصص الجن، ذلك أن الحواجز التي تفصل « الحوريم » عن طبقة التجار لم تكن قوية. وكان «الجهير» في أسفل الهرم الاجتماعي، كان منبوذاً ومحتقراً؛ غير أن وضعه تبدّل كثيراً مع الزمن. نعثر في العهد القديم على معلومات متناقضة حول هذا الموضوع، فنرى «الجهير» يعامل احياناً معاملة لاجيء، ونراه احيانا يعامل معاملة تابع. يبدو أن الرحمة كانت سائدة في ذلك المجتمع أيام كتابة الأسطورة، ذلك أننا نرى «الجهير» مقبولاً فيه.

على أية حال كان «الجهير» يعيش مبدئياً على أسطحة المنازل. إن الذين زاروا المشرق يعرفون هذه العادة لأن السكان هناك كثيراً ما ينصبون خيامهم صيفاً، على الأسطحة. وإذا كان المنزل يقع على منحدر هضبة ما، فانه يمكن أن تؤدي العودة من الحقل إلى السطح مباشرة. وعلى ذلكه فإن إقامة غريب ما على سطح المنزل ليست بالأمر الشاذ. أما إذا طالت إقامة «الجهير» فقد يسمحوا له بدخول الخان (بيت - حابر) (ايوب ٣١/٣١) حيث كان يمكنه القيام ببعض الأعمال المفيدة، وقد يتولّى الطبخ. غير أن الحياة في هذه الخانات لم تكن مقبولة لِما كان يسودها من اختلاط ممجوج؛ ويذكر العهد القديم مثالين جاء فيهما (امثال ٢١/ ؛ ٢٥/٢٤) أنه من الأفضل للانسان أن يعيش على السطح، من أن تكون له زوجة شرسة أو أن يعيش في خان. النص الذي نحن بصدده يعطي لهذا الكلام معناه الحقيقي. هذا ويبدو أن رأس شمرا لم تك تعرف طبقة أكثر احتقاراً ممن لا مسكن

لهم لأن العبد نفسه كان أحسن حالاً منهم. العبودية كانت عملية شراء. لايمكن إرغام أحد عليها، لكن الانسان يستطيع بيع نفسه مقابل سعر محدد من الفضة، يُدفع نقداً. يذكر النص أن الايدوميين يمتنعون عادة عن دفع الثمن لاحقاً ويحذّر من ألاعيبهم وحيَلِهم. وجود الانسان في حالة العبودية لم يكن يجلب العار، وقد يحوز العبد على الثقة فيتسلم مهاماً مرموقة نوعاً.

العائلة: الأب يتمتع بسلطة مطلقة على أفراد عائلته. يستطيع حرمان أحد أبنائه وطرده من المنزل كما يستطيع تخفيض مكانته الاجتماعية، غير أنه لم يكن يتمتع بحق الحياة أو الموت بالنسبة إليهم (رغم أن الأسطورة تتضمن تلميحاً إلى أنه كان يتمتع بمثل هذا الحق). كان لكل عائلة تقاليدها كما وانه كان يمكن أن يُنذَر الطفل لخدمة أحد الآلهة قبل ولادته وحتى قبل تكوينه. يبدو أن الزواج كان أُحادياً أو قريباً جداً من ذلك. للزوجة حق المناقشة وتستطيع بعويلها ازعاج زوجها دون أن يكون له حق اللجوء إلى العنف. ليس للزوجة سلطة على البالغين من أولادها؛ غير انه يمكن الاستنتاج من تعبير «بن أم» (ابن الأم) أنها كانت تتمتع بسلطة ما على الأطفال منهم. بالنسبة للبنات، لا نستطيع تكوين فكرة صحيحة عن وضعهن نظراً للتشويه الذي تعرض له النص. الابنة في الأصل كانت تُستخدم للمقايضة من قبل أبيها، الذي كان يتصرّف بها ويعطيها لمن يشاء؛ غير أننا نرى الكاتب يعتبر موافقة الفتاة عنصراً أساسياً لسعادة الزوجين. نشهد في النص ولادة أسلوب شعر غنائي يدور حول الجمال والحب كما نرى صورة انسجام الزوجين فيستطيع الزوج أن يرقد وينسى متاعبه بينما تنظر إليه الزوجة بحنان. نرى هذه الصورة مقابل واقع أسرة تيراح حيث تقضي الزوجة بثرثرتها على سعادة زوجها، الذي أصبح يتهرّب منها. الأرجح أن الحديث عن زوجين يعيشان معاً بانسجام، يعود إلى زمن الكتابة. أبناء تيراح الثمانية، ابناء أم واحدة، أما الأميرة الجميلة فإنها سوف تلد لكيريت عشرين ولداً تنفيذاً لوعد إيل.

الجيش: في قديم الزمن، على ما يبدو، كانت تعيش في رأس شمرا مجموعات من الفرسان يقومون من وقت لآخر بغزو جيرانهم. كانوا يسمونهم «السارات»؛

فتيراح كان «ساراً» وكان ثلاثة من ابنائه «سارات» ايضاً. كذلك فإن كيريت يتصرَّف تصرُّف «سار» شجاع، عندما يقف وحيداً قرب إيدوم ويتحدى «بيبيل». الملك يعرض عليه الصلح بواسطة مبعوثين، وهذا لا يتوافق مع حالة الفقر التي كان يعاني منها ذلك البطل المتباكي. على أي حال كان «السار» يساهم بالطبع بالدفاع عن مدينته. إذا تواجد عدد من «السارات» في نفس المنطقة كان يتقدم كل واحد منهم بدوره لمجابهة الخصم. كانت هناك عادة قديمة جدا، يردد الكاتب هنا صداها، تقضي بأن يصار إلى اختيار «السار» الذي يتقدم لمبارزة العدو. أما تعبير «حَجَر يدك - قبضة يدك الحجرية» فإنه يذكرنا بالعهد الذي كان الناس فيه يتقاتلون بالحجارة. هناك عادة أخرى، ظهرت فيما بعد، تقضي برشق العدو الهارب بالسهام.

يبدو أن عهد العربات القتالية قضى على نظام «السارات». «بيبيل» الايدومي يمتلك، قرب منزله، اسطبلاً تتواجد فيه عربته. كان يرافق المقاتل في العربة شخص يقود العربة (ريقابيت) وأيضاً حامل الترس (الشاليش). مروّض الجياد يجب أن يكون موثوقا. إن ظهور العربة القتالية يتزامن مع الفترة التي بدأت فيها الجيوش تتضخَّم؛ لذا فإننا نرى أن تكليف «تيراح» بالذهاب وحيداً لمواجهة عربات جيش «النيجيب»، ينطوي على مفارقة تاريخية. وأغرب من ذلك أنه لم يرد ذكر لعربات هذا الجيش مع انهم كانوا يعتبرون وجودها كارثة كبرى (أشعيا ٢١/٩؛ ٢٢/٧). ولعل السبب في هذا الاهمال أن الموضوع يتعلق بذكرى مبهمة علماً بأن دور العربات في حصار مدينة ما، ليس أساسياً؛ وعلى ذلك فإن اهتمام الكاتب قد انصبَّ على مجموعة المقاتلين، حاملي الرماح، وعلى المحاربين الذين كانوا يسيرون بخطى ثقيلة في الحقول وكأنهم ثيرانا - وأخيراً على ثلاثماية نبّال كانوا يمطرون المحاصَرين بوابل من السِهام. الخروج من المدينة المحاصَرة لم يكن بالأمر المعقول علماً بأنه لم يكن مستطاعاً مباغتة عدو على انفراد. اذا التقى الانسان مجموعة من ثلاثة أفراد فإن ذلك يعني الموت المحتوم. لم يكن لدى رأس شمرا ما تواجه به هذا الجيش المنظَّم، ذلك يُفترض أن المدينة استسلمت بعد حصار قدَّرته الاسطورة بستة أشهر فوقَّعت معاهدة تبعية. إن الاعجاب الكبير

بجيش «نيجيب» كما يلوح لنا من خلال الملحمة، لايتوافق مع الكارثة ومع ذكريات الحصار المريرة؛ ولكنه يتوافق تماماً مع موقف تابعٍ أقرَّ التبعية. ـ لا نعرف الكثير عن مصير المدينة التي غادرها كيريت باستثناء التلميح إلى مصير «تيراح» وقَدَرِه. هذا مع العلم أن رأس شمرة كانت تُعتبر مدينة حصينة. على أن هذا التعبير كان يعني وجـود حصـون طبيعية (صموئيل ٢٣/١٤)؛ ولكننا نعود فنجده يُطلق على تحصينات مدينة مثل بابل (نحميا ٥١/٣٠).

السكن: كانت المساكن مؤلفة من طابق واحد على الأرجح، كما كانت تُبنى على منحـدر التلال، بشكلٍ يمكن معه الوصول إلى السطح عند العودة من الحقل. مسكن تيراح كان مؤلفـاً من عدة غرف وكـان يمكن أن يقـال عـن إحـداها أنها «السجن». مسكن «بيبيل» كانـوا يطلقـون عليه تسمية «مقم» (مقام). الاسطبل قريب من البيت. امام البيت ساحة واسعة مما يدل في نظرهم على الرفاه.

الأثاث: التعبير المترجم بالسرير يمكن أن يعني أيضاً نقّالة الميت (مما ورد في نصوص أخرى) وقد يعني غير ذلك. معنى هذا التعبير هنا يقارب المعنى الوارد في المزامير) مزمور ١٣٢/٣). وليس في النص إشارة إلى غير ذلك من أثاث.

الآلهة: إيل هو الآله الرئيس في رأس شمرا؛ هو «الملك»، هو «أبو البشرية». كان أيضاً «سيّد» أب كيريت، أي إنه كان إلَه العائلة. يعيش عادة في السماء وقد يهبط إلى الأرض لمساعدة بَشَريٍّ ما. يرتفع سقف المنزل فيهبط منه؛ يأتي وحيداً في مثل هذه الحالة رغم وجود العديد من الملائكة في خدمته. يبدو أنه لم يكن الآله الـوحيد للمـدينـة بدليل أنـه يهتم بتـأمين مريدين. يعتمـد على الـوعـود: وعد بالمسـاعـدة، وعـد بزوجة جميلة، وعـد بذرية عديدة. نراه يتصرف مع كيريت تصرف الأب المثالي: يعلمه الأخلاق ويُطلعه على «تعاليم سرية». قد يزيح الستار عن المستقبل أيضاً أو على الأقل عن شيء منه، علماً بأنه هو نفسه ينحني أمام القَدَر. يبدو أن منازعات البشر تنعكس على السماء أيضاً: ذلك أن الكارثة التي تهدد رأس شمرا تهدد ايل بنفس الوقت. وجيوش «نيجيب» و«بن ـ داغون» التي تهاجم المدينة ليست سوى أدوات يستخدمها «بعل» لاختبار كيريت. على صعيد

آخر ولكن بنفس الوقت، يتعرّض إيل لهجمات «بعل» ولايجد النجاة إلا بالفرار. كل ذلك يفترض انه كان على المرء أن يساعد إلّهه لمواجهة تهجمات آلهة أخرى.

عدوّ «إيل» الأكبر كان «بعل». يبدو أن هذا الأخير وزوجته عشترت كانا يتمتعان بمكانة عالية في بلاد «إيدوم». العداوة بين الآلهة تعكس العداء المستحكم بين رأس شمرا والممالك الجنوبية. بالطبع كان لايل اصدقاء بين الآلهة منهم عشيرات إلّهة صور (وهي زوجته)، وإيلات (إلّهة صيدون) وجاء في بعض النصوص أنها ابنته. وكذلك عناة (ابنة إيل الثانية) التي كانت مثالاً للجمال الجسدي للفتاة. في بلاد «إيدوم» يبخّرون عشتارت (زوجة بعل) نظراً لجمالها على الأرجح، وقد يكون ذلك نظراً لقدرتها على الانجاب(*).

العبادة: بالاضافة إلى تبخير عشتارت، نلاحظ الاشارة إلى تضحية بالنار تقدّم إلى الآلهتين عشيرات وإيلات معاً. وهناك تأكيد لعادة تقديم الخمر لهما مساءً وتقديم المدائح يومياً. هذا ويمكن نَذر طفل ما لهما حتى ولو كان ذلك قبل إيجاد الزوجة. متطلبات إيل قليلة نسبياً وقد يكتفي «بخدمته»، وهو دوماً مستعد للاستجابة.

المعتقدات: كان مجال المعتقدات شبه ـ الدينية واسعاً للغاية. يتضمن النص الكثير من المعلومات حول هذا الموضوع، علماً بأن بعض هذه المعلومات مستورد ودخيل، وأكثرها يعود إلى مجموعة المعتقدات المشتركة المحلية والموغلة في القِدم.

آ ـ الصفة الروحانية للارقام: وهي مزدوجة في هذا النص. فهناك القيمة الروحانية المعطاة للرقم /٧/(**) والقيمة المعطاة للرقم /٣/ (الأخيرة دخيلة على الأرجح).

(*) هذه الآلهات الثلاثة هي التي كانت معروفة عند العرب باسم اللات والعزة ومناة، ويلاحظ تشابه الالفاظ بين اللات وايلات، وعناة ومناة... (المترجمان).

(**) لايزال للرقم /٧/ اعتبار ملحوظ جداً في الكعتقدات اليهودية وكذلك في بعض الغنوميات الاسلامية، ويشيرون في هذا الصدد الى اسطورة خلق الكون في سبعة ايام والى ايام الاسبوع... والى منافذ جسد الانسان الخ... والى السبع سنوات العجاف، مما بني عليه كثير من الاقوال في هذا الشأن الخ... (المترجمان).

كان لتيراح سبعة أولاد، ثم وُلد كيريت فكان الثامن، لذلك كان لابد من التخلّص منه. حُكم على كيريت بالسير على قدميه سبعة أيام، فتنهار قواه بنهايتها. اما توقفه في منتصف الطريق عند المعبد فلا يؤثر في الموضوع فالمهم أن يتواجد في نقطة الـوصول في اليوم السابع. يبدو أن الرقم /٣/ يحمل الشؤم؛ مات لتيراح ثلاثة أولاد، جيش «نيجيب» يحتوي على ثلاثماية رامي سهام، ثلاثة جنود مجتمعين يعني الموت. نلاحظ أيضاً أن كيريت ينذر ابنه الثالث للآلهتين. هذا ويمكن القول ان رقم /١٠/ رقم طيّب لأن سعادة الزوجين تكتمل بذرية عددها يوازي ضعف هذا الرقم.

القرعة: عادة اختيار المقاتلين بالقرعة معروفة لدى العديد من الشعوب. وقد لجأ الآلهة نفسها لاختيار من تراه أهلا للدفاع عنها. بهذه الطريقة. غير أنه يبدو من التعابير الغامضة المستعملة في هذا المجال، أن هذه العادة كانت في طريق الانقراض.

القَدَر: القدر كان السيّد المطلق للآلهة والبشر على السواء. إيل نفسه يعترف بأن القَـدَر لايُقاوَم. القدر يختبيء ويصمت كالأنثى، ولكنه مثلها، عندما تنتهي فترة الصمت، ينطلق ويتجوَّل في الحقول، يدخل ساحات المنازل حاملاً الغربال بيده.

هذه الصـورة قريبة مما ورد في العهد القديم (أشعيا ٣٠/٢٨): «فيغربل الأمم بغربال البوار». وقد تكون الصورة هنا أكثر وضوحاً لأن القدر هنا يسلّم الغربال لمن اختـاره كأداة تنفيذ. والقـدر واسع المعرفة، لذلك يمكن تشبيهه في بعض النواحي «بالحكمة» الواردة في التوراة العبرانية (امثال ١/٧ ـ ٢١؛ ١٨-٣).

والقَدَر قليلاً ما يحمل الأخبار الطيبة، وهو على الأغلب ينذر بالشؤم ـ قد يوقف يد تيراح التي تنوي القتل، لكن ذلك يتم لكي يتحقق قدر الابن، علماً بان الهدف النهائي يبقى مصير «بيبيل»، فكيريت في كل ذلك ليس أكثر من أداة. أما عبـارة «سيكـون مسكنـك سرير القش (أو التبن)» فإنها كانت على الأرجح قدر كيريت، كانت نبؤة رافقت ولادته لأن إيل لم ينطق بها.

النبـوءات: نذر الشؤم كان يتـولّى القَـدَر إيصالها، على ما يبدو، خلال ساعات الأرق. أما الاخبار الطيبة فكانت الآلهة تتولّى نقلها خلال ساعات النوم. نيجد إيل يعتذر لنقله أخبار السوء لكيريت ويتذرَّع بمالا مفرّ منه؛ غير أنه يعد بالتدخل في الوقت المناسب لاصلاح الحال.

الملائكة: ملائكة إيل تنقل الموت. الموت يعني نهاية الآلام وهو عبارة عن نوم عميق، يقوم الانسان منه معافى، فيما بعد.

و ـ النـذر: النذر للآلهة كان جزءاً من العبادة. هناك ايضاً نذر تهدف إلى إبعاد الأذى. تعريض احد الأبناء للمهالك كان يتم في سبيل إنقاذ الأُسرة.

ز ـ السحر: ورد ذكر علاج واحد في هذا النص هو عصير العنب المخمر وهو يهز شاربه. هذا المشروب يجلب الهدوء للمعذبين ولكنه يفقدهم الوقار. الأصح أن يقال أنهم كانوا «يلعقون» الخمر. ينظرون إلى الساقي كنظرتهم إلى الساحر القذر. الساقي يرتجف خوفاً على حياته كما ترتجف الكلاب.

قد تكون هذه اللوحة عبارة عن مقطع قديم استعاره الكاتب اذ أنه لايمكن التأكيد بأنها من زمن كتابة النص، وقد تعبِّر عن مفاهيم قديمة بالنسبة لتاريخ الكتابة.

الاخـلاق: يمكن القـول أن هذه الأخـلاق تتسم بالطابع الاقتصادي. وهي في مجملها تعود إلى زمن الانشاء. أكثر هذه القواعد الأخلاقية جاء على شكل حكمٍ وأمثـال، نجـدها، مع تعديلات طفيفة تتكرّر في العهد القديم (أمثال ١/١٠ ـ ٣٣). إنّهـا تصـدر عن إيل وتشكّـل «التعـاليم السرية» التي يتوجّب تأمُّلها عند المسـاء، عنـدمـا يستعـرض الانسان ما قام به خلال النهار؛ الأمر الذي يذكِّرنا بمـراجعة فحص الضمير يومياً، تماماً كما يقوم التاجر بمراجعة حساباته اليومية. وهي مراجعة دقيقة وليست مجرّد تذكّر بسيط كما جاء في العهد القديم (تثنية ٦/٦-٩).

نجد على رأس هذه التعاليم المثل الشهير: بداية الحكمة في مخافة الآله (امثـال ١/٧). هذه الحكمة التي نجدها، بشكل أو بآخر. في جميع أدبيات

الشرق القديم، تأتي هنا على شكلين: «اخشَ سهام إيل، فتصبح رجلاً»، «اخدم إيل، وسوف تكون مكرَّماً». خشية سهام إيل لاتعني هنا بالضرورة الخوف من العقاب، بل جاءت هنا بمعنى التبجيل، علماً بأن ذكر السهام قد لايكون أكثر من رمز للقوة. أما النتيجة الطبيعية: «تصبح رجلاً» و«تكون مكرَّماً» فيعتقد أنَّها حلَّت مع الزمن مخجل عبارة قد تكون «تعش طويلاً». وقد يكون تم مثل هذا التبديل، في زمن لاحق عندماتبدَّلت المفاهيم وأخذوا يعتبرون أن الحياة بدون جاه وثروة، لاتستحق الاهتمام. وتتبع هذه الحكمة قاعدة أخلاقية تجارية: «أغسل يديك بماء الحقيقة من الأصابع حتى الكتف». يمكن مقارنة هذه الحكمة بما جاء في المزامير (مزمور ٦/٢٦): «أغسلُ يديّ بماء الطهارة». ولعلّ المقصود هو: لامجال للمساومة بالنسبة لكل ما يتعلّق بالأمانة؛ ـ لايجوز أن يجهل الكتف ما قامت به أصابع اليد.

هناك نصيحة أخرى تأتي على شكل مثل: «بالفخ يتم اصطياد ابن آوى». ويمكن مقارنته بما ورد في العهد القديم (عاموس ٥/٣): «أيسقط العصفور في فخّ الأرض وليس فيها شَرَكٌ أم يُرفع الفخّ من الأرض ولَم يُمسك شيئاً». المعنى الواضح هو أنه يترتَّب على التاجر أن يكون حذِراً، وأن يتجنَّب الربح السهل الذي قد يكون طعماً يخفي خديعة. «ثبِّتْ قواك، لأنك قد تتزعزع» عبارة عن نصيحة اقتصادية واضحة المعنى: على الانسان أن يحافظ على قواه في كل وقت، لأن المحنة تأتي فجأة. إلى جانب هذه الاخلاقية المعلنة بوضوح، هناك بعض اللقطات التي تكشف عن عقلية الكاتب مثل: الاعتقاد بوجود عدالة مطلقة لاتسمح بإيذاء البريء، تمجيد الصراحة، خشية الحيلة، مقت البخل. غير أن هذه الأخلاق، وهي تحمل طابع زمانها، نجدها لا تتوافق تماماً مع تصرّفات الأشخاص الذين يرد ذكرهم في النص. لانعرف الكثير عن الخصال التي كان يتمتع بها كيريت بسبب التشويه الذي تعرّض له هذا النص، لكن الأبيات الأخيرة تشير إلى ترفعه وحَذَره.

الأسلوب والشعر

عدم وجود حروف العلة يجعل من العسير علينا الحكم على وزن هذا الشعر. اما إذا حاولنا تنغيمه وفق القواعد الصوتية العبرية، فاننا نحصل، احياناً، على ما يذكرنا بالمزامير وبنشيد الأناشيد. اختيار التعابير يلفت النظر بينما نرى الصورة تأتينا بأسلوب غنائي، غاية في الابداع. عندما يحلم كيريت بأميرة ترعاه بنظرة ملؤها الحنان فاننا نتذكّر شعر «فرلين»، كما وان توقفه في المعبد الصيدوني يذكرنا بأجمل ما في الأدب الرومانسي. وصف جيش «نيجيب» عبارة عن تحليق غنائي. وصف «بيبيل»، والسحرة يحطيون به، عبارة عن لوحة تم رسمها بدقة. يحصل الشاعر على هذه النتائج بتكرار الصورة أحياناً، واحياناً عن طريق المعارضة، كما هي الحال بالنسبة للعديد من قصائد الشرق القديم. كثيراً ما يحتوي البيت فكرة متكاملة. وقد تشمل الفكرة بيتين. الشكل الأكثر استعمالاً هو الخطاب المباشر، دون مقدمة؛ ويتناوب الاشخاص في الكلام، دون ذكر اسمائهم. قد يصار إلى قلب الجملة، مع المحافظة، ظاهرياً على تسلسل الكلمات، وعلى الصوامت. الجِناس يُستعمل بكثرة. (نلاحظ نفس الأساليب الشعرية في سفر أشعيا).

إن أسطورة كيريت هذه تعود مقاطعها إلى أزمنة مختلفة. معرفة التعديلات الطارئة على هذه الملحمة ليست بالأمر العسير. اللغة والاسلوب يختلفان تماماً عن كتابات «إيلي ميلكو» الأخرى؛ ومع ذلك فإننا نميل إلى الاعتقاد بأن القصيدة من تأليف كاتب الملك «نقمد» (انظر ما سيأتي ص). علماً بأن نشوء الاسطورة كان أقدم بكثير من تاريخ كتابة النص.

تاريخ كتابة النص

يبدو لنا أن أحدث عنصر في الرواية كان ذكرى الحصار الذي فرضه جيش

جاء من الجنوب، على المدينة. قد تكون الاشارة هنا تتعلّق بتوحوتمس الثالث المصري، الذي استولى على قادش عام /١٤٧٣/، والذي حاصر «مجيدُّو» سبعة أشهر. يعتقد أنه قام بحصار عددٍ من المدن في سورية وفلسطين؛ وإلا فكيف يمكن تفسير تباطؤ القوات المصريّة بحيث لاتصل حلب إلا بعد الاستيلاء على قادش بثلاث سنوات؟

وعلى ذلك، وإذا صحَّت نظريتنا فإن رواية ملحمة كيريث تمت كتابتها خلال الربع الأخير من القرن الخامس عشر.

٢ ـ ملحمة كيريت

نُشر هذا النص الذي يحمل الرمز III K، من قبل السيد فيرولُّو تحت عنوان «زواج الملك كيريت» في مجلة «سورية» (١٩٤٢ ـ ١٩٤٣) ص ١٣٧ ـ ١٧٤. وهو عبارة عن لوحة من ستة أعمدة، تتواجد في متحف اللوفر (AD.17' 347).

III K.
(أربعون سطراً من مطلع النص ناقصة)

. . . . . . اليد . . .
من الطمآن، سحبتَ يدك.
خادمنا اوهنه التعب، أخذ يئنّ.
حاولوا إغراءك، يا كيريت،
الطعام! ـ إنَّه يرتجف، فلنبادر إليه.
فكَّر بأمّه وأخذ يتأوَّه، ذلك الرجل الحرّ،
لأن الايدوميين عادوا إلى الهدوء.

سكت كيريت، ذلك الذي تلقّى المَدَد.
(١١ سطراً تقريباً، ناقصة)
. . . . الأمير.
شكوى السيد الأعظم الحزينة:
«. . . منذ ثمانية أشهر، والسكن
«. . . حارس الموتى ودليلهم.
«اشفِق على شعلة المسكن،
«التي قيَّدها حكم الآلهة.
«إنه كيريت. . . الذي تلقّى المَدَد، . . .
«فيحصل على عربون، يضعه في بيته:
«فتاة نبيلة فليُعطى، وليس فتاة حقيرة،
«وليتحقّق بسرعة، حكم الآلهة».
وأخذ السيد الأعظم، يقول،
ويطلب من إله الجدود
أن يبارك كيريت، متلقي المَدَد،
وأن لا يتذوَّق، كأس المرارة،
فتى إيل الجميل. ـ أخذ كأساً
. . . لأن الوهن استولى عليهم
. . . ليبارك بركةً.
. . . يبارك الآله، كيريت،
. . . فتى إيل الجميل:
«اتَّخذ لك زوجة، يا كيريت، زوجة
«تأخذها لبيتك. الفتاة تساعدك على توسيع
«ساحتك؛ وتلد لك سبعة أولاد،
«ينضح منهم الزيت.

«تلد لك فتياناً، منتصبي القامة،
«يتغذّون بحليب عشيرات . . .
«يرضعون من ثدي العذراء عناة
« . . . . . .
(عشرة أسطر تقريباً، ناقصة).
. . . .
. . . . . . ، كيريت،
«بيتُك سيَشفي البلاد
«والعشب الأخضر سيكون زاهياً،
«اقترب منها، وانجب
« . . . وستذهب».
«سوف تلِد وهي تتأوّه . . .
«سوف تلد وهي تتأوّه . . .
«سوف تلد وهي تتأوّه . . .
«سوف تلد وهي تتأوّه . . .
«سوف تلِد وهي تتأوّه . . .
«سوف تلد وهي تتأوّه . . .
«تكون عالية جداً . . .
«بيتُك سيشفي البلاد.»
بالزهو سيتجمّع العشب الأخضر؛
وفتياتهم سيكنَّ مخصبات.
«فلتبارك الآلهة غرفتي،
«وغرفتي ستصبح خيمة للآلهة».
- إيل سيقيم في منازلهم -
واقتَرَبَ، وأنجب طفلاً:

واقترَبَ، وأنجب أطفالاً.
وانهارت بعد سبعٍ سنين
أبناء كيريت، يبجِّلونهم كالعظماء
وبناته أميرات،
مثل العظماء. ـ عشيرات تُعنى
بالذي نُذر لها، وايلات. . .
ولكي يتم الشفاء و. . .
الفم، الأحشاء، الأنف. . . .
في زمن النذر. . .
الرماد. . .
. . . .
(سبعة أسطر، ناقصة).
«كذلك. . . . . .
«اصغِ . . . . . .
«اذبح ثمانية من سِمان قطيعك،
«وصبّ الخمر بكثرة.
«إنّهم ظمآى، يجب أن يرتووا، اولئك الأمراء،
«كبار جيشي.»،
الأمير الصديق يشاكس،
الصديق قاسي القلب.
. . . من جملة خططهم أن. . .
«. . . ستسقي العطشان
«حليبا. . .
«قبِّل العارضين. . .»
ـ أصغيَ. وكعربون على حسن نواياه

أمر بذبح ثمانية مِنْ سِمان ماشيته،
وصبّ الخمر عن سعة.
عندما صعد، قدّم مساعدة لأميره،
ساعده على زيادة عدد جيشه.
لكن الأمير الصديق مشاكس،
ذلك الصديق قاسي القلب.
منزل كيريت دخلوه.
«لماذا يتواجد الزِّبل حول المنزل؟»
وإلى القتال سيتقدَّم مهتاجاً،
ويده يطلقها للبَتْر؛
والسيف، في اللحم، ينغرز.
قال كيريت: «كدليل حسن نيّة،
«... لكي تشربوا عند الظمأ،
«... كيريت، سيّدكم،
(عشرة أسطر تقريباً، ناقصة).
(خمسة أو ستة أسطر ناقصة)
ذبَحَ ثمانية من سمين ماشيته،
وقدَّم الخمر عن سعة.
... ...
... ...
لقد اختار ...
... مسكن ...
... اليد، للبَتْر، أطلقَها؛
والسيف، في اللحم، غرزه.
وقال كيريت: «كدليل حسن نيّة

«للطعام، للشراب . . . . . . « . . . مبارك . . .
« . . . كيريت، سيبكونه .
« . . . لقد توسلوا إلى الأمراء :
« . . . الأموات سيبكونهم .
« . . . وبدون قبر،
« . . . يرتفع أنين الموتى» .
ـ . . . لأنها معركتك، يا إيل ـ
في المساء، تنهار القوى، ولكنَّهم لا يتوقَّفون .
كيريت وجيشه (؟)، تنهار قواهم .
ـ الأقوى هو الذي سيحكم . ـ
يقف كيريت القوي ويقول،
كيريت، الذي يتلقّى المَدَد، القوي، المختار:
«اركب زوجتك»
« . . . وليخرج،
« . . . الصديق المشاكس،
« . . . ؟
« . . . الخبثاء،
« . : . يمتليء
« . . .
(عشرة أسطر تقريباً، ناقصة)
«اصغِ إلى . . . ، الأحشاء .
«العلامات . . . وُضِعت» .
وقال أيضاً: «كدليل على حسن نيّة،
«لطعامكم وشرابكم،
« . . . سيِّدكم» .

يصعد كيريت. . .
يتوسّل إلى الأمراء؛ يقدِّم
الولاء، منفعلاً، . . . كيريت،
(النهاية ناقصة).

يأتي ترتيب هذه اللوحة، على الأغلب بعد IK مباشرة، بينما لا يُستبعد وجود لوحات اخرى بين IIK و IIIK . هذا مع العلم ان اللوحة IIIK تحتوي على نصين مختلفين: الملحمة والمآثر.

آ ـ الملحمة أو «قصة المكافأة الكاذبة».

لعلّ نموذج هذا الموضوع، موضوع المكافأة الكاذبة، هو «الخطيبة المستبدلة» في قصة زواج يعقوب (تكوين ٢٩/١٥ ـ ٣٠). يجتاز البطل جميع التجارب التي يخضع لها كشرط للحصول على يد خطيبته، ولكنه آخر الأمر يلقى الخيبة. غير أنه، يعود فيساعده الحظ، بعدما يجتاز تجارب جديدة، ويفوز بزوجة تسعهده.

إذا عدنا إلى المقطع الأول من لوحتنا، وأخذنا بعين الاعتبار معطيات اللوحة IK ، أمكننا الافتراض أن حيلة «الايدوميين»، تغلبت على سذاجة كيريت. قَبل أن يخدم مدى الحياة، مقابل الحصول على يد الأميرة الجميلة. تمت الصفقة وأصبح كيريت حارس «ساحات» إيدوم. أخذ يتصور أنه سوف يكون وريث الملك الشيخ، المشرف على الموت؛ سيّما وأنه قام بمجابهة ملكه حِدِّيم. لكن، يبدو أن الأمور جرت على غير ذلك. بالطبع إن بداية النص غير متوفرة، لكن اتمامها ليس بالأمر العسير:

خَدَعَ «الايدوميون» كيريت، ولم يفز بالأميرة الجميلة. لابد أنه خضعَ لتجارب جديدة. يبدو أنه أصبح ألعوبة بايدي «الايدوميين».

عندما نعود إلى النص نجد أن الأميرة نفسها هي التي تتدخل من أجله. نجد أن كيريت أصبح مغلوباً على أمره، جريحاً خارج حصون المدينة. تنتابه قشعريرة،

فينادي أمه ـ منعوا عنه الطعام والشرب: «انتزعوا» منه يده. هذا ليسْ عدلاً، فهو بالتالي رجل حرّ، ومساعدته واجبة. غير أنه: كيف استطاع أن يتخيل لحظة واحدة انه سيصبح زوجاً للأميرة الجميلة، وأنه سيكون خليفة «ببيبل»؟ ـ المهم أنه بنتيجة تدخل الأميرة، يهدأ «الايدوميون»، فيتلقى كيريت العون، ويهدأ بدوره.

ويعود كيريت إلى عمله في بلاد «إيدوم». أدرك أنه لن يحصل على يد الأميرة فتألَّم. تعرَّض للكثير من سوء المعاملة... إلى أن قام الملك ـ العظيم: «السيد المطلق» بزيارة بلاط إيدوم، فشاهد كيف يُعامل كيريت من قبل أناس منحهم ثقته. رأى الملك ـ العظيم أنه لابد من تحقيق العدالة وتنفيذ «حكم الآلهة». يجب طرد الشياطين من منزل كيريت، فتتوهج النار فيه من جديد. تدخل الملك ـ العظيم كوسيط؛ واستنطق إله الجدود الذي يستجيب. أخذ قدح الكهانة وطلب من الآله أن يبارك خادمه كيريت دون أن يتنبأ بالمستقبل (لأن النبوءة غالباً ما تكون مكدِّرة وهي «تجلب الأحزان إلى البيت» ـ III D)، ثم أخذ يسدي النصح إلى كيريت وإلى «الايدوميين» على السواء: إن كيريت يطالب بفتاة نبيلة، بأميرة جميلة، وهذا غير معقول. ولكن لماذا لا يُعطى «إيدوميَّة» أخرى، فتاة من عليَّة القوم. فتاة يتزوَّجها كيريت فتمنحه الثروة الحقيقية: اولاد يساعدونه على «توسيع ساحته».

وسيكون له من هذه الزوجة سبعة أولاد، يفتخر بهم. سيكونون أقوياء لدرجة يخيل للمرء أن «الزيت ينضح منهم»؛ وسيكونون شجعاناً («منتصبي القامة») ينعمون بالبركة. سيقال عنهم أنهم شبعوا من حليب الآلهة عشيرات ورضعوا من ثدي العذراء عناة.

يبدأ العمود الثالث، على الأرجح بتنبؤات إله ما ـ: بما أن كيريت لم يعتلِ عرش إيدوم، فستكون له مهمة أخرى.

يجب أن يصبح كيريت وبنيه أبطالاً يدافعون عن إيل في هذه المنطقة، يجب أن «يشفوا» البلاد من عبادة عشتارت. إن الآله سوف يعتمد على ذرية كيريت لتحقيق ذلك. على كيريت أن يقترب من زوجته دون تردد لأنها ستلد له، في الآلام، أطفالاً يكونون موضع فخر أبيهم، أولاداً يغبطهم بقية الفتيان؛ وستلد له

بنات، قادرات على الانجاب.

سمع كيريت النبوءة فنذر نذراً: ـ إذا باركت الآلهة غرفته، فان هذه الغرفة ستصبح على الدوام مقراً لهم، ستكون لهم «خيمة». أما إيل فسيسكن ببيته.

اقتـرب كيريت من زوجتـه فولدت له ذكوراً واناثا. عُومل أبناء كيريت كما يعامل العظماء، وبناته معاملة الأميرات. التزم كيريت بالنذر الذي نذره لايلات ولعشيرات عنـدمـا طرده والـده وتـوجـه نحو «إيدوم». فتوقف منهكا أمام معبدها الصيدوني. الآلهتان بدورهما لم تنسيا أن ابن كيريت الثالث كان نذراً لهما؛ فقامت عشيرات برعاية الطفل في نشأنه كما حمته إيلات من كل أذى. هكذا بقي بيت كيريت يتمتع «بالعافية» و«الحيوية»؛ وقام هذا الأخير، من صميم كيانه، بتمجيد الالهتين. حان موعـد الوفاء بالنذر وا ستعد الشاب للذهاب لخدمتهما، فأعطاه الأب تراباً من بيته. (وفق عادة قديمة ـ انظرْ II D).

ب ـ المآثر:

غير أن كيريت وبنيه لم يكـونوا أسياد البلاد. كانوا، على العكس موضع حسـد، حتى أن الحـاكم ـ وهو خليفة «بيبيل» على الأغلب ـ الذي كان يدّعي صداقته، جاء يشاكسه لسبب غير واضح. اصبح كيريت مهموماً ومضطرباً. نصحوه (كما سينصح بدوره ابناءه وهو على فراش الموت IIK بالتهرب واللجوء إلى الحيلة، بتجنّب المجابهة، طالما وأنه ليس الأقوى.

أمـر كيريت بذبـح ثمانية رؤوس سمينة من ماشيته كما أمر بتقديم الخمر بكثـرة، إثباتا لولائه وصدق طويّته. جاء الأمير «الصديق» بجيشه، متعبا ظمآنا، فأكلوا وشـربوا. لابد من الاستعداد للقاء الأمراء وكبار قادتهم بالشكل المناسب وحتى الجنود فانه يتوجب تقديم الحليب لهم. لابد من تقبيل وجنتي القادم حتى لو جاء معـاديا، لا بل يجب تقـديم المسـاعـدة له ومدّ جيشه بالمرتزقة (تكوين ١/٣٣). غير أن ذلـك كله لم يجـدِ نفعاً. جاء الأمير الصديق مشاكساً، قاسي القلب. ما أن دخل الدار حتى بدأ الخصام ـ أهكذا يستقبلون الأصدقاء؟ ـ بيتكم قَذِر؛ هل يُستقبل الأمراء في مثل هذه الأقذار؟ (تثنية ٢٣/٩ ـ ١٤؛ ملوك ثاني

.(٢٧/١٨

مدّ الأمير يده الى سيفه مغتاظاً، فتوسل إليه كيريت بالتوقف قبل أن تسيل الدماء. ألم يأمر بذبح ثمانية رؤوس من ماشيته، ألم يفتح خزّان خمره؟ ألا يشكّل هذا كله عربوناً على ما يكنه صدره من شعور صادق ونبيل؟ من موقف سليم؟

(هناك نقص في النص يصعب معه معرفة ما حدث بعد ذلك، يفترض أن الصدام حصل على الرغم من محاولة كيريت تفاديه).

كل ما فعله كيريت لم يجدِ نفعاً؛ ـ الذبائح السمينة والخمر الكثير لم يمنعا الأمير من القتال: أطلق يده للقتل وغرز سيفه بلحم البشر. كثر عدد القتلى والجرحى، وكثر العويل. سيبقى القتلى في العراء، دون قبر؛ سوف يطلقون الشكوى في عالم آخر (مما سيزعج ضمير ذلك الذي تسبب في القتال؟). اشتد القتال، ثم جاء المساء ولكن المعركة لم تتوقف. أنهك التعب كيريت وجماعته. لكن لابد من الصمود ـ فالنصر لمن يستطيع الصمود، تقدم كيريت، وهو القوي بإيمانه، إلى المعركة فشتم خصمه وطلبه للمبارزة. نعم، من السهل التظاهر بالقوة خلف جيش قوي، ولكن هل يستطيع مقابلة الرجال ذلك الذي لايستطيع القيام بواجباته الزوجية!..

(لا نعرف نتيجة المبارزة. وعندما نعود إلى النص نجد أنه تم الاتفاق على هدنة ما.)

تم وضع «العلامات» وعاد كيريت يكرر حججه السابقة. أعد كل شيء تكريماً للأمير، أعد الطعام والشراب دليلاً على حسن نوياه. ينال منه الانفعال فيتوسل مجددا إلى خصمه راجياً عدم العودة إلى الاقتتال. يوافق على شروط خصمه ـ يتقدم بنفسه فيعرض الولاء...

(النهاية غير معروفة. ويُفترض أنه تم عقد معاهدة تبعية، استقر بموجبها «الكيراتيون» في بلاد «ايدوم»).

من السهل اتمام هذا النص رغم ما يعتريه من نقصان. هناك إشارة في اللوحة IK، إلى جيَل «الايدوميين»، لذلك يصبح متوقعاً ألا يفوا بوعدهم القاضي

بإعطاء الأميرة الجميلة لكيريت. يعتقد أن التدخل الذي أنقذ كيريت عندما أخذ ينادي أمه، صدر عن الأميرة نفسها، وقد أشفقت عليه. فالأمثلة المشابهة لهذه الحالة عديدة في الميثولوجيا.

كذلك فإن تدخل الملك ـ العظيم، «السيد الأعظم»، ينسجم تماماً مع نموذج سياق هذا النوع من القصص. إنه يأتي في الوقت المناسب؛ والأمثلة على ذلك عديدة في الملاحم والخرافات لدى جميع الشعوب.

هناك نقطة غامضة بعض الشيء، وهي تتعلّق بالعروس البديلة. نجد إشارة إلى «عربون» في بيت كيريت، ولكننا نجد في البيت التالي تعارضاً بين تعبيرين مبتورين. وقد يكون معنى التعبير الثاني «لا قيمة له» ومعنى التعبير الأول «رفيع، عالي». مهما يكن من أمر، فيبدو أن موضوع الأميرة قد انتهى، ويتناول الحديث الآن فتاة صفاتها كذا وكذا؛ ويُعتقد أنها من طبقة محترمة ولكنها ليست بأميرة. هذا الوضع الجديد يساعد إيل على التملّص من وعده بذرية عديدة (عشرون ولداً). وإذا توصّل أبناء كيريت، فيما بعد ذكوراً واناثا، إلى مضاهاة «الأمراء»، فإن الفضل في ذلك يعود لأبيهم وليس لأمّهم «الايدوميّة».

أما الأمير «الصديق»، فإنه بالتأكيد خليفة «بيبيل» ويبدو أنه الوحيد الذي يستطيع أن يحاسب كيريت على عمله. أما شتيمة الأمير، ـ وهي جارحة وبالغة السخرية، ـ فلها اهميتها بالنسبة لمفاهيم العصر وقد تسمح لنا بتفسير جديد لنصوص في العهد القديم)قضاة ٥/١٦؛ مزامير ٦٨/١٤). العمود الأخير، المتبور، يتعلق، على الارجح بمعاهدة تحالف، أُشير اليها في II K.

البلاد والسكان: الرواية تقع أمام مدينة «إيدوم». الايدوميون اشتهروا بقسوتهم: «يسحبون يد» الظمآن، ولا تأمن الضحية جنبهم إلا عندما «تهمد» ثورتهم. أما الرواية الثانية فتقع في مقر كيريت، في المكان الذي أقام فيه «ساحاته».

الادارة: يحكم الآن بلاد إيدوم خليفة «بيبيل» (IK). كان كيريت قد استقر في تلك البلاد حيث أقطعوه أرضاً، على أن يبقى تابعاً للملك، وكان على رجاله ان ينضموا إلى الجيش في حالة الحرب. وكان على كيريت ايضا ان يقوم بتسهيل مرور

الجيش في منطقته، فيقدم له الطعام والشراب. اخيراً كان عليه أن يحافظ على ازدهار أراضيه لئلّا يتعرض للملامة. السيد الاعظم، أو الملك الكبير كان يحكم البلاد بأسرها وهو بالطبع أعلى مرتبة من ملك ايدوم ومن بقية ملوك الكنعانيين. يبدو أن وضعه كان صعباً في بلاد انقسمت بين مريدي «إيل» ومريدي «بعل». لعل ذلك يفسر لنا، ما سنراه في لوحات AB، من تردد الملك ـ الكبير في مواقفه، إذ نراه يتخلى عن إيل لصالح عشتار، ثم يعود لعبادة بعل؛ يبدو أنه كان يجاري التيار الديني السائد. نلاحظ أن الملك الكبير، في هذا النص، يتجنب الخوض في الخلافات الدينية ويكتفي باللجوء إلى إلّه العائلة، إلّه الجدود. الملك ـ الكبير يقوم بحل المنازعات التي تنشأ بين الملوك التابعين لـه وبينهم وبين كبار أتباعهم، وذلك بتوجيه سؤال إلى الآله، علماً بأن هذا الآله يجيب بلسان الملك ـ الكبير.

الحالـة الاجتماعية: كان النظـام طبقياً، وكان «السار» (ملك، أمير) على رأس الهـرم. وكـانت هناك طبقة النبلاء: الحوريم (أمراء، كبار الملاكين، اقطاعيون الـخ . . .) يشكلون جميعـاً فئـة «م هـ م» أي عظماء المملكة. يلقون التكريم والتبجيل بشرط أن يكونوا على المستوى المطلوب، و«عربون» نبلهم كان تقديم الأضاحي والهبات والقيام بحسن الضيافة؛ الكرم بشكل عام. قادة الجيش كانوا يلقبـونهم «بـالسِمـان» بمعنى أن علامـة النبـل والقـوة البـدنية كان كثرة الشحم (السمنة). الخدم على فئتين: الأحرار منهم من جهة ومن جهة ثانية فئة لم يرد اسمها. للأحرار منهم بعـض الحقوق مثل حق الاغاثة. النساء أيضاً طبقات؛ ومن المهم أن يستطيع الانسان الزواج من امرأة تنتمي إلى طبقة أعلى من طبقته. كان من العسير جداً الزواج من حوريّة (أميـرة أو نبيلة من طبقة الحوريم) ولكنه كان ممكناً الحصول على يد فتاة تنتمي إلى طبقة محترمة: بما لايجوز كان الزواج من «ذال و» وهي المرأة المحتقرة. يعتبرون أولاد «الايدومية» من أب غريب متساوين مع بقية المواطنين وقد يحترمونهم كما يحترمون «العظماء»، ذكوراً واناثاً.

موارد البلاد: كل المعلومات الواردة في نصنا هذا، تتعلق بمنطقة «الكيرتيين». وهي منطقة زراعية، تكثر فيها الكرمة، يخزنون الخمر، ويقدمونه عن سعة، في

المناسبات. الأغنام كثيرة، ويُسمنون الخراف لذبحها. يستخلصون من الحليب زبدة أو جبنة. ـ اللبن (؟) شراب منعش يقدمونه للضيف، يستعملون مجازاً كلمة زيت (للتعبير عن القوة) ولفظ الحشيش الأخضر (للتعبير عن الشباب).

العائلة: الزواج الأحادي كان النظام السائد، على ما يبدو، في بلاد «إيدوم». هناك إشارة إلى «زواج الخدمة» الذي ألمح إليه العهد القديم (تكوين ٢٩/١٥ ـ ٣٠).

اضطر كيريت للخدمة بغية الحصول على فتاة: لكننا لا نعرف كيف يرتبط هذا الزواج بالخدمة. وقد تكون الخدمة في نظر كيريت بديلا لثمن الزوجة؛ بينما كان الايدوميون يعتبرون ان الخدمة كانت إحدى التجارب المريرة التي كان عليه أن يجتازها.

اعتاد الايدوميون، ان يعطوا فتاة غير تلك التي وعدوا بها، تماماً كما حصل ليعقوب. هذه العادة، التي تم تفسيرها هنا على أنها نتيجة الخبث والحيلة، قد تكون مبنية على أُسسٍ أخرى لاتزال غامضة، ذلك أنها لم تُدرس دراسة كافية. يبدو كذلك أن الاعتقاد بوجود «الخطيبة الخَطِرة» كانَ سائداً، إذ نرى أن كيريت لايقترب من زوجته إلا باذن الآله، رغم مضي وقت غير قصير على عقد الزواج.

اختلاف الدين لايمنع الزواج. المرأة تتمتع باحترام ملحوظ. يتمتع الأب بسلطة على بناته حتى بعد الزواج، ويعتزّ بخصبهن. مهمّة الزوجة الانجاب، على أن يتم ذلك بالسرعة الممكنة وباستمرار، إلى أن «تنهار». قد تلد المرأة أكثر من سبع مرات خلال سبع سنوات. يتولى الآله رعاية الطفل المنذور لخدمته. الطفل المنذور لآله ما قبل الولادة، يبقى في بيت أبيه حتي بلوغ سن معينة؛ يغادر بعدها المنـزل حاملا كيساً من تراب البيت (انظر II D). يشير النص أكثر من مرة إلى العلاقات الجنسية، ولكنه يستعمل تعابير أقل خشونه مما هي عليه الحال في النص II D. يبدو أن الشاب كان يخشى «الاقتراب» من زوجته قبل أن يطمئنّ إلى مستقبل اولاده. عدَم الانجاب عبارة عن عجزٍ من قبل الزوج: كيريت يشتم خصمه ويدعوه «لـركـوب» زوجتـه (قبـل أن «يركب» للقتال. آلام الولادة أمر طبيعي وفأل خير. يعتبرون أن هناك علاقة قربى روحية بين المرضع وا لطفل: بعض الخصال تنتقل

عن طريق الـرضـاع. الالهة (الانثى) تستطيع ارضاع الطفل، وكان ذلك موضع افتخار، مثلما كانت الحال عند السومريين والمصريين. احترام الأم واجب، وقد ينادي الشاب أمّه عند المخاطر. لا يعتبرون ذلك جبناً منه بل يعتبرونه مزيّة.

الجيش: لم يرد ذكر ما للعربات في هذا النص، خلافاً للنص السابق، الجيش يسير على الاقدام، بقيادة «السار»، وكبار الضباط، وهم «سارات» أيضاً. عند مرور الجيش في بلد صديق يترتب على الأهالي تقديم المؤونة، «عربوناً» على ولائهم. أما المناطق «التابعة» فكان عليها تقديم قوة من المقاتلين، تنضم إلى الجيش، علماً بأن النص ليس واضحاً حول هذه النقطة بالذات. السلاح الوحيد الذي يرد ذكره في هذا النص هو السيف. كان السيف سلاحـاً قاطعـاً، ويمكن ايضاً غرزه في الجسم. كان السيف سلاح الأمير، وليست لدينا معلومات ما عن تسليح الجنود، علماً بأنه جاء في النص أن القتال يرتكز على القوة ويستمر طوال النهار، وقد يستمر ليلاً. تسـبق المعـركـة مسـاجلة خطابية تتضمن الشتـائم (صمـوئيل الاول ١٧ ٨ ـ ١١). يبقى الأمراء خارج المعركة إلى أن يأتي وقت المبارزة، التي تسبقها ايضـاً الشتائم (صموئيل الأول ١٧/٤٣ ـ ٤٧). يتقدمون للمبارزة بعدما تمتلىء ساحة القتال بالموتى والجرحى. في هذه المرحلة يصبح من تبقى من الجنود على قيد الحياة مشاهدين، لا دور لهم. وكانوا، على الارجح يتبعون الأمير المنتصر (صموئيل ١٧/٩). كانت المعركة تُعتبر وكأنها بين الآلهة، بسبب الاختلاف في المعتقدات. المقاتلون من الطرفين يقاتلون دفاعاً عن إلّه ما. لايفقدون الأمل في تسـوية رضائية حتى ولو كان ذلك في ذروة المعركة. يتحاور الأمراء أثناء القتال ويحاولون التوصل إلى تسوية ما. قد يشتم القائد خصمه ويقاتله، ثم يعود فيواليه، دون أن يجد في ذلك غرابة. لايعتبرون الموت في ساحة القتال شرفا يسعون إليه. يبكون الموتى ويحزنون على مصيرهم خاصة إذا ظلّوا في العراء. مريدو إيل يسعون لجلب الناس لاعتناق دينهم، ويعتبرون ذلك «شفاء» للبلاد (انظر ID: المقاتلون دفاعاً عن الاله كانوا يطلقون عليه اسم «الرفاييم» أي المطبّبين ـ وكانوا متعصبين جداً وتشبههم العامّة بالعمالقة).

المسكن: كان المنزل محاطاً بسور وله ساحة. توسيع الساحة يعني الازدهار ماديا ومعنـويا. يحتـوي المنزل على غرفة مخصصة للزوجين؛ إحدى زواياها تسمى «خيمة الآلهة» وهي مخصصة للعبادة. إيل نفسه يقيم في هذه «الخيمة». تواجد الآلهة في المنزل يشكل عبئاً، إنه يترتب على صاحبه تقديم القرابين والخمور في أوقات معينة. وجود «الخيمة» يعطي المنزل أهمية رمزية بالغة: ـ شعلة البيت يجب ألا «تنطفىء». غضب الآلهة «يقيّد» الشعلة، وبركة الآلهة «تحرِّرها». ـ عندما يغادر الولد الذي نُذِرَ لآله ما، دار أبيه، يأخذ معه كيساً من تراب (أو رماد) المنزل (II D). المحافظة على نظافة المنزل واجبة؛ ووجود أوساخ وأقذار حوله يعتبر جريمة (تثنية ٢٣/٩ ـ ١٤). يقولون عن أصحاب البيت القذر أنهم يعيشون في اسطبل (قضاة ١٦/٥؛ مزامير ٦٨/١٤).

الآلهة: إيل إله محب للخير، يتأثر بالمدائح والوعود، يستجيب لدعاء من يدافعون عنه. قد يقيم في منازل اولئك الذين يدافعون عنه ويخدمونه بأمانة. وجود آلهة أخرى من «مجموعته» في المنزل لايزعجه. قد يبشر بولادة أطفال رائعي الجمال (III D). إن إله الجدود، وهو إيل نفسه، على الارجح، استجاب لدعاء الملك ـ الكبير. يُعتقد أن الملك ـ الكبير كان من سلالة إيل، كما كان ملوك يهوذا من سلالة داود وكما كان بعض ملوك الحثيين ـ الجدد من سلالة «دادا»، إله الجدود التنبؤ، لكن النبؤءات تجلب «الحزن إلى البيت» (III D)، كما «تجلب المرارة» إلى القلب؛ لذلك طلب منه الملك ـ الكبير عدم التنبؤ والاكتفاء بمباركة كيريت. ومع ذلك فإن هذه النبؤة تأخذ شكل أمرٍ إلّهي ترافقه نبوءة (؟) ووعد.

الآلهة الأخرى التي ورد ذكرها في هذا النص هي: الآلهة الأم عشيرات وهي تقوم بتوجيه كيريت وتحميه ـ وقد ارضعته. (لدى السومريين أيضاً نجد جن الآلهة الأم «نينا» ترضع من تحميهم). ثم عناة، الالهة الجميلة العذراء، ابنة إيل وهي تستطيع ارضاع من نُذِر لأمها واختها. واخيراً إيلات (ابنة إيل الثانية) وقد ورد ذكرها في جملة مبتـورة. أمـا بقية الآلهـة الذين ورد ذكرهم بصيغة الجمع فانهم على الأرجح آلهة عائلية، ويمكن أن تكون لهم «خيمة» في مساكن مريديهم.

الشيـاطين: يذكر النص «حارس الموتى ودليلهم» - وهو شيطان سيء، ومساعد رهيب «لبعل». سوف يرد وصفه في اللوحة II D . يتدخل هنا «لتقييد الشعلة» في منزل ما، تنفيذاً لحكم الالهة، علماً بأنه ورد ذكر هذا الشيطان في المزمور ٦٨/٧ كحارس للأرواح (في ترجمة جديدة).

العبادة: لا ذكر للأضاحي في هذا النص. الصلاة يجب أن تصدر من الصميم وليس فقط عن الفم. مدائـح الآلهة يجب أن تصدر عن الأحشاء والفم والأنف الخ . . . الملك ـ الكبير يستعمل قدح الكهانة لكي يطلب من إلَه الجدود أن يبارك كيريت. السبب المعلَن لشرب الخمر، في هذه المناسبة، هو التعب و الوهن كما هي الحال في نصوص أخرى (اثمال ٦/٣١ ـ ايضاً AB).

المعتقدات: جميع الأحداث من صنع الآلهة. تتحقَّق بموجب نبوءة او بركة او «حكم» إلَهي. قد تختلف هذه الأحكام عن بعضها البعض: فالأحكام التأديبية تأتي بنتيجة دعوى وسماع «شهود». اتباع آلهة أخرى كان يُعتبر مرضاً تفشّى في البـلاد، ولابدّ من العمل على «شفاء» البلاد من هذه المعتقدات الكاذبة (أخبار ١٤/٧ ؛ نحميا ٦/٣٣).

روحانيّة الأرقام: وفي هذا النص أيضا يرد ذكر الرقم /٧/ كمرادف «للشبَع». نرى الآله يبشّر كيريت بولادة سبعة ذكور له. يقولون أن امرأة تتوقف عن الانجاب بعد سبع سنوات مشيرين بذلك إلى أنها قامت بواجبها، بلغت درجة الاشباع. أما الرقم /٨/ الذي ورد بمناسبة تقديم الذبائح للأمير فيعني «الوفرَة، الكثرة»، «المزيد من الخيرات». أما المعنى الآخر للرقم /٨/ وهو «رقم زائد» فرأيناه في TK .

المـرض والمـوت: تقـديم العـون للمـريض، للضعيف واجب. المـريض هو «المستضعف»، الذي «أصابه الوهن». عندما يفقد الجريح الأمل بالاغاثة، ينادي أمّه. العويل والأنين اللذين يسمعان في ساحة القتال بعد المعركة، يعتقدون أنهما يصدران عن القتلى الذين لم يتم يدفنهم، ويبقون في العراء، دون «مقر أخير»، مما يُعتبر جريمة بشعة بحقهم.

الأخلاق: الأخلاق أخلاق تجارية بحتة. وذلك سواء أكانت تتعلّق بعلاقات الناس

ببعضهم البعض أو بعلاقتهم بالآلهة. تتم تسوية الأمور عن طريق الالتزام والعربون والوعد، والشهود والأحكام. لايرد ذلك لعمل بدون مقابل، لا من قبل الآلهة ولا من قبل البشر. إذا احتاجوا لخادم ما، يدفعون له ثمنه (IK) أو يزوِّجوه. يقدِّمون «عربون الولاء للأمير. يضعون «علامات» للاتفاق على هدنة او معاهدة تحالف. للحصول على بركة لآله ما، يعدونه بخدمة معيَّنة، او يقدِّمون له مسكناً، أو يقيمون له «خيمة». عربون الصداقة يتناسب مع ثروة من يقدِّمه ومع وضعه الاجتماعي؛ وهو في أغلب الحالات عبارة عن وجبة طعام. التقيُّد بتنفيذ الوعد المقطوع واجب؛ لكن، عندما يتعلّق الأمر بمدين سيء، نرى الملك ـ الكبير والاله ينصحان باللجوء إلى التسوية.

الفيزيولوجيا: (وظائف الأعضاء): اليد أداة العون؛ «يسحبون» يدهم عن شخص ما، تعني انهم يرفضون مساعدته. واليد ايضاً أداة الشرّ: «يطلقون» اليد لجرح او قتل الخصم. الصرخة تعني الألم؛ التأوّه يعني الوهن. علائم الجوع تظهر بالرجفان. الخبر السيء «يجلب المرارة»، والرجل المشاكس «قاسي القلب». يبكون الموتى، كما يبكون على من اشرفوا على الهلاك؛ ولا يتضمَّن النص ما يشير إلى أنهم يبكون أيضا للترحيب (تكوين ٢٩/١١؛ ٣٣/٤؛ ٤٥/٢؛ ١٤؛ ٤٧/٢٩ ـ أشعيا ٢٠/٤١). للترحيب يقبِّلون الوجنات. آلام الولادة ترافقها التأوُّهات.

يشيرون إلى العلاقات الجنسية بشكل غير مباشر: «يقترب» من زوجته بقصد الانجاب. اما في حالات ا لشتم فيستعملون تعبير «ركبها» ـ علماً بأن هذا التعبير لايرد في العهد القديم إلا بالنسبة للحيوانات. تعبير «جامَعَ» (انظر II D») لايرد في هذا النص. الصلاة يجب ألا تصدر عن الفم وحده، بل لابد من مشاركة الأحشاء (مركز الحياة العاطفية؟) والأنف (مركز الانفعال). يعبرون عن القوة الجسدية بقولهم «منتصب القامة» وأيضاً بالقول أن «الزيت ينضح» من جسمه. ضخامة الجسد دليل على القوّة؛ أما الشباب فيقارن بالعشب الأخضر. بعض الخصال تنتقل بطريق الرضاعة.

الأسلوب والشعر

القصيدة الأولى، على الرغم من روعة الموضوع، تفتقر إلى ذلك التحليق الغنائي الذي لمسناه في IK. لا يتغنى الشاعر هنا بجمال المرأة. يدور الموضوع فقط حول الزوجة القادرة على الانجاب، وهي لاتكاد تصلح إلا للانجاب، ثم «ينتهي» أمرها. الآلهة عناة نفسها لا تتدخل هنا إلا لارضاع طفل دون كلمة وصف لجمالها. أما جمال الرجال فانه، على العكس، يحظى بوصف دقيق: أبناء كيريت أقوياء لدرجة يخيِّل للانسان معها أن الزيت ينضح من أبدانهم.

أما القصيدة الثانية فإنها تقوم على رواية الأحداث دون التعرض لوصفها. التكرار الظاهر وهو يخفي اختلافاً في اللحن، لايثقل النص. وصف المعركة أضعف مما هي عليه الحال في V AB، حيث نرى الأيدي تتطاير كالجراد. لانعثر على صورة جميلة هنا، إلا إذا اعتبرنا أن الشتائم التي سبقت المعركة وتلك التي سبقت المبارزة تفي بالغرض.

في هذه اللوحة، تعرف ايضاً على اسلوب «ايلي ميلكو»؛ الذي يأتينا بمفردات جديدة. قد يكون السبب في جفاف هذا النص أن الشاعر لم يعطه الأهمية المطلوبة نظراً لتعلّق موضوعه بأحداث جانبية تقع بين اسطورة شباب كيريت (IK) وموته (IIK).

اسطورة كيريت تتضمن عناصر عديدة تتواجد في العهد القديم، علماً بأنه يصعب مقارنة هذا النص بفعل معين منه. غير أن مواضع المقارنة هذه معروفة إلى درجة لا تحتاج معها تحديد مواقعها بدقة.

أ ـ موضوع المكآفأة الكاذبة واستبدال الخطيبة:

إن زواج يعقوب يشكل نموذجاً لهذه الحالات، علماً بأن بعض العناصر الغريبة دخلت على الرواية (تكوين ٢٩/١٥ ـ ٣٠)، وهي عبارة عن عادات غريبة عن الموضوع نفسه.

هذا ويبدو أن قصة يوسف أيضاً كانت تدور بالاصل حول نفس الموضوع.

وإذا جردنا قصة يوسف من العناصر الدخيلة، أمكننا أن نفترض ما يلي :

١ ـ إن يوسف كان يرغب بابنة فرعون. يتضح ذلك من تفسير أحلام فترة شبابه (تكوين ٣٧/٥ ـ ١١) من جهة، ومن موقف فوطيفار (وهو فرعون نفسه على الارجح) من جهة ثانية. نلاحظ أنه لم يعد يرد ذكر لهذا الشخص بعد سجن يوسف، بينما نرى أن فرعون بالذات هو الذي يعفو عنه (تكوين ٤١/ ٣٩). هذا مع العلم ان يوسف، فيما اذا تم اتهامه بالزنى، فإنه كان يتوجب اعدامه وفق تعاليم التوراة (تكوين ١١/ ١٤ ـ ٢٠؛ / ٢ ـ ١٨؛ ٢٦/ ٧ ـ ١١؛ ملوك اول ١١/ ١٧ ـ ٢٢).

٢ ـ وعلى ذلك يكون يوسف دخل سجن «الملك» بأمر فرعون (تكوين ٣٩/ ٢٠).

٣ ـ بناء على تدخل «رئيس الندماء» ـ سُمح ليوسف بالدفاع عن نفسه (بتفسير الأحلام الخ . . .).

٤ ـ بعد العفو عنه وتقريبه، زوَّجوه بفتاة أخرى نبيلة هي ابنة الكاهن الأكبر (اوباخت زوجة الملك (ملوك اول ١١/ ١٩).

ب ـ موضوع منتصف الطريق (انظر IK):

موضوع «منتصف الطريق» تكرّر في اسطورة يعقوب مراراً: مرة قبل زواجه (تكوين ٢٨/ ١١ ـ ١٥) ثم بعد هروبه وأخيراً قبل لقائه بعيسو (تكوين ٣٢/ ١ ـ ٢؛ ٩ ـ ١٢؛ ٢٤ ـ ٣١). هذا وترافق ذلك بركة آلهية ووعد بذرية عديدة الخ . . .

أما في قصة يوسف فإن «رئيس الندماء» يقوم بالدور الذي قام به الملك ـ الكبير في نصِّنا.

ج ـ التمجيد: تماماً كما هي الحال في العهد القديم، يتم الافتخار بالثروة التي حصلوا عليها وبتعداد الذرية الكثيرة التي تستمر إلى أن «تتوقف» الزوجة عن الانجاب (تكوين ٢٩/ ٣١ ـ ٣٥).

إن العناصر الاساسية في الملحمة، مموجودة ايضاً في العهد القديم، إلاّ أنه يترتب إعادة ترجمة بعض النصوص.

د ـ القربان (أو الوليمة) تجنباً للعركة):
تكـوين ١٤/ ٢١ ـ ٢٤: قام ملك «عيلام» كدور لاعـومَر (KEDORLAOMER) بتشكيل حلف لمواجهة ملك سَدوم وحلفائه (١ ـ ٩). هرب كل من بَارَع، ملك سَدوم، وبير شاع ملك عَمُـورَة فوقعا في بئر من القير (١٠)؛ نهب «العيلاميّون» المدن وقاموا بابعاد لوط (ابن اخ ابراهيم؟) وأهله عن سدوم وكان يقيم فيها (١١ ـ ١٢).

علم ابـراهيم بواقـع الحـال فنـظم جيشاً تغلب به على ملك عيلام وحرَّر الاسرى واسترد الغنائم (١٣ ـ ١٦). عند ذلك خرج بارَع ملك سَدوم من بئر القير وتـوجـه لملاقاة ابراهيم (١٧). (كان ينوي، على الارجح، استرداد الغنائم من ابراهيم، ولكنه، عرض عليه الصلح قبل اللجؤ إلى القتال).

قام «الملك العـادل، الملك المسـالم»(*)، بصفتـه مقـدِّم القـرابين للإله الاعظم، ـ قام بتقديم الخبز والخمر والبركة، لابراهيم؛ فعرض عليه هذا الاخير إعادة عُشر ما استرده من العدو (١٩ ـ ٢٠).

وتبادل الطرفان المجاملات: ملك سدوم يكتفي بالحصول على الاسرى ولا حاجة له بالاموال (٢١)؛ ابراهيم لا يريد شيئاً لنفسه ولكنه يرغب بتعويض حلفائه عن جهودهم (٢٢ ـ ٢٤).

هكذا ينتهي النص التوراتي؛ ولا نعرف كيف انتهى الموضوع، علماً بأن ابراهيم، على الارجح كان يود الافادة من حملته.

تكوين ٢١/ ٢٢ ـ ٣٢: قام أبيمَلك، سيّد ابراهيم (٢٠/ ١٥) بزيارة هذا الاخير، وكان يرافقه قائد جيشه (٢١ ـ ٢٢). عرض ابراهيم مشاكله ـ ولا بد أن ابيمَلك تحدث ايضاً عن مشاكله (لم يرد ذكرها في النص، على أي حال) ـ بالنهاية قدَّم لسيّده «نِعاجاً وثيراناً»، بالاضافة إلى سبع نِعاج قدمها «كعربون» ولاء (٣٠). تقبل ابيملك الهدية، وانسحب مع قائد جيشه.

(*) وهي الترجمة الصحيحة لهذه العبارة. (المؤلف).

تكوين ٢٦/ ١٢ ـ ٣١: اختلف اسحق مع أبيملك فرحل (١٧). تبعه ابيملك يرافقه احد حلفائه، وقائد جيشه. اعد اسحق وليمة لمولاه (٣٠) «فأكلوا وشربوا». ونهضا في الصباح الباكر فارتبطا بميثاق، ثم افترقا بسلام (٣١ ـ S).
تكوين ٣٣/ ٥ ٦ ١: ذهب يعقوب لمواجهة «عدوه» عيسو، الذي كان على رأس جيش مؤلف من اربعماية مقاتل (٣٣/ ١)، «فعانقه» (٤ ـ ص) وقدم له الهدايا. تبادلا المجاملات (٨ ـ ١١)، ولكن عيسو لم يرفض الهدايا كما كان متوقعاً؛ فلجأ يعقوب إلى الحيلة للتحرر من عرضه (١٢ ـ ١٦). ثم نزع خيامه وذهب إلى بلد آخر.

هـ ـ الشتائم: قصة «داود» و «جليات» تعطينا نموذجاً لموضوع الشتائم.
صموئيل اول ١٧/ ٨ ـ ١١: أخذ «جليات» يشتم الشعب بكامله. وكانت اعراف المبارزة تقضي بأنه، في حال هزيمة الاسرائيلي، يترتب على الشعب أن يتبع الفلسطينيين.
صموئيل اول ١٧/ ٤٣ ـ ٤٧: شتم «جليات» «داود» وهدد بأن تبقى جثة المغلوب دون دفن (٤٤). أجاب داود فكرر نفس التهديد (٤٦).
و ـ طلب الرأفة:
صموئيل ثاني ٢/ ٢٦ ـ ٢٨: لحق يوآب بأبتير مهاجماً. دعا هذا الاخير خصمه لوقف القتال لئلا «تحل المرارة» في النهاية. فأمر يوآب بوقف الهجوم.

جاء في العهد القديم وصف لعدد من المعارك، ولكن ليس بينها ما يطابق نصنا هذا بشكل دقيق. يُلاحظ أن العهد القديم يصف العبرانيين بأنهم يتجنبون القتال وبأنهم سرعان ما يعودون إلى خيمهم، تاركين الساحة. أما «الكيريتيون» فكانوا يشكلون، على العكس، القوات المختارة في عهدي سليمان وداود. ولعل ذلك يبين لنا الفارق بين اسلوب استيطان «الكيريتيين» قرب تخوم بلاد إيدوم، واسلوب استقرار العبرانيين فيها. بالطبع يمكن أن تكون اسطورة كيريت قد تأثرت ايضاً بمفهوم المصريين للضيافة واستثمار الارض. إن القصة المعروفة باسم

«مغامرات سينوحيت»(*) تشبه إلى حد كبير اسطورة «الطريد الذي تلقى المَدَد» ما يجعلنا نستبعد الصدفة؛ علماً بأن البطل المصري كان شجاعاً في المعارك التي خاضها وتنتهي قصته بالعودة إلى بلاده.

٣ ـ موت كيريت

هذا النص يحمل الرمز IIK، وتم نشره من قبل السيد ش. فيرولُّو تحت عنوان «الملك كيريت وابنه» في مجلة سورية، عام ١٩٤١، ص. / ١٠٥ ـ ١٣٦ / و/ ١٩٧ ـ ٢١٧ / نقلاً عن لوحة من ستة اعمدة توجد في متحف اللوفر (AO. 17,326).

II K

. . . . . . كيريت
مثل الكلب في بيتك، الذي هرم، واصبح مُستهاناً،
حتى ولو اختبأت، حتى ولو رضيت، مثل بقية البشر
سوف تموت. ـ فالاختباء لا يطيل
الشيخوخة. ايتها الزوجة المهجورة، وافقي على تلقي معاملة غير ودّية.
سوف تبكين. استسلمي لكراهية بعل.
الأمراض القدسيَّة خفية؛
وهي رائعة بالنسبة لمن تصيبهم؛
وهي أعظم من حجم الغضب.

(*) الحضارة الفينيقية، تأليف «ج. كونتنو» «CONTENAU».
باريس ١٩٤٩.

ـ كيريت جَمَع حوله أبناء إيل
للعرافة والتقديس. يقدِّم الأضاحي
لأبيه. يأتي المساء؛ ـ إنّه يبكي.
إنّه يمقت اولئك الذين يعطون الشفاء.
ـ لنبكِ. إذا عشت، أنانا، سوف نفرح؛
إن لم تمت، سيكون سرورنا عظيماً. ـ مثل الكلب
في بيتك، عندما يهرم ويصبح مستهانا،
حتى لو اختبأت، لو رضيت، مثل بقية البشر
ستموت. الاختباء لا يُطيل
الشيخوخة. ـ الزوجة المهجورة، التي عوملت معاملة غير وديّة
تصلّي وتنتحب. ـ وابن إيل،
كيريت، يجمع القبيلة
للعرافة والتقديس. بالكامل؟.
يجمعهم للتنبؤ والحفاظ على الحياة.
وأخذ كيريت متلقّي المَدَد، يتكلّم:
«بنيّ، لا تبكِ، لا فائدة من البكاء.
«لا تنتحب من أجلي، يا بنيّ.
«امسح دموعك، عن وجهك (رأسك؟)
«جفِّف الدموع. عويل أختك
«وانتحابها، البيت...؟.
«لأن العويل والبكاء من أجلي لا يجـديـان. لقـد توقَّف
«العون؛ لا فائدة من الصلاة. أمّا أختك،
«...... فلتسكت أختك.
«إنّك تَعْلَم أن الرأفة
«لا تصدر عن الشياطين. هذا عيبُها.

«عندما يبحث الإنسان عن سَنَد (يساعد) خروج روحه،
«عند الممات، فإن جيش المشاكسين (الشياطين)
«هو نهاية الاعتداد بالنفس. مَن يطلب الشفاء، يرشقونه بالسهام
«حتى الموت؛ وصلواتك لا تخيفهم.
«العويل والصراخ يعدّان للتجارب،
«وتجارب الملك، تبيد
«إبادة. ـ سيطِر على غضبك، اقبض عليه بيدك.
«. . . حكمتك، لماذا تكون عادلة؟
«إذهب، جابه المخاطر. إن القلق يصعد. ـ
«مولاك، فليقترب . . .
«بترسك وبالذهب بقصد إيقافه.
«إذا جاءك المَدَد واعطاك القوّة،
«لَيِّنْهُ، وحدك، بقبضتك؛
«أمّا إذا أصرَّ على الحرب، فلماذا يكون على حق؟
«ليتقدم فتصادمه،
«. . . اسخَر منه!» ـ وقف الشاب
أمام أخته، وقف الشاب مهدِّداً،
لكي تتخلّى عن التحيب، ـ وتخرج
من الباب ـ أخوها يهدِّد.
كسرت . . . بإلقائه أرضاً،
. . . أخاها لكي تغيظه.
. . . . . . الملك جارح،
. . . . . . كيريت سيِّدك
. . . . . . المَدَد الذي يمنح القوّة
. . . . . . الملك جارح

. . . . . . كيريتْ سيّدكم
. . . . . . تجربة، تجربة
الملك، تبيد إبادة.
(١٧ سطراً لم يبق منها إلاّ جـزء من مطلع كل سطر)
إدن لماذا الهياج، . . .
عدّ أيام الشهر، لأن . . .
أحسِبها، لأن كيريت مريض.
رفع صوته: «المَدَد. . .
«ثلاثة أشهر، لأن. . .
«اربعة لأن كيريت مريض، . . . »
هكذا قدَّرَت الحكمـة، أن يستريح كيريت. . .
وأن تقيم له ضريحاً، ضريحاً. . .
ستقيم له. حِيَل بنات آوى. . .
وكأنَّك تقرع الباب. . .
كالمجنون، الحكمة. . .
اولئك الذين استيقظوا بقصد الإرهاق. . .
إرهاق. . . ؟ . . .
للإرهاق. احْمِهِ و. . . .
خليلته، سبعة أيام. . .
المَدَد الذي يمنح القوّة. . .
الحيلة ستبني. الحِيَل. . .
وستبكي. وليَحْمَل. . .
الشفاء. ـ ابكِ! إذا عشت، ابانا
سنفرح؛ إن لم تمت، سيكون سرورنا عظيماً.
مثل الكلب في بيتك، عندما يَهرم،

ويصبح مهملاً، ـ لو اختبأت
أو رضيت، مثل بقيّة البشر، ستموت.
ليس الاختباء بمصدر للشيخوخة.
أيتها الزوجة المهجورة، وافقي على أن تعامَلي معاملة غير وديَّة.
ـ القبيلة، بالكامل؟. ، يجمعها
للكهانة، لإبطاء الحياة ـ سوف تبكي،
استسلمي لكراهية بعل. الأمراض خفيَّة
مقدّس من تصل إليه العلَل، رائع
المرض، عظيم الحجم.
ـ وكيريت، الأبناء. . .
يجمعهم للكهانة والتقديس.
إنّهم يبكون؛ ـ ويأتي المساء. . .
بخجلكم. . .
(تسعة أسطر بقي منها جزء من المطلع فقط)
(نقص يقارب الثلاثين سطراً)
يصبّ الزيت. . . .
العين التي تحمل الشؤم و. . . . السماوات
تحمل القوة إلى الأرض.
للقضاء على البؤس،
أمطار بعل تروي الأرض
وللحقول أمطار الغرفة العالية.
نافعة للأرض، أمطار بعل،
وللحقول أمطار الغرفة العالية.
الخجل مفيد للخطايا،
والخشية تزيلها.

أصعَد لإقامة السياج حول تلّتِك ـ
فالفلّاحون يرفعون رؤوسهم، ـ
إصعد لتخزين القمح، والدقيق اخزنه
في البساتين الخصبة، الخمر
اخزنه في الجدران، والزيت في أماكنه المقبَّبة . . .
بيت كيريت . . .
(١٤ سطراً ناقصة)
(١٨ سطراً تقريباً ناقصة)
إيل يستمع؛ إنّه يقرّر، لأن فمه . . .
لأنه إله حكيم، طاهر، يستطيع التنبؤ.
«امنحني الحياة»، ـ يصلّي لإيل، إلّه الزهو، إلّه الزهو.
وزوجته تصلّي للآلهة.
لأن السهم المعرًى . . .
من أجل أن يُبعث، يصلّي لإيل، إلّه الزهو.
بيت السيّد يصلّي لإلّه الزهو
وزوجته تصلّي للإلّهات،
من أجل أن يبدأ بالتنبؤ، إلّه الجدود.
يستمع إلى الصلاة، إيل، إلّه الزهو.
بيت السيّد يصلّي لإلّه الزهو،
وزوجتك تستجير بالإلّهات.
وتصعد لكي توقظ الأطفال،
لكي تقود الأبرياء، لكي. ؟ . . .
ثلاثة. ؟. إنّها تراقب،
. . . لكي توقظ أيضاً. ؟.
. . . الرأفة . . .

(٢٥ سطراً ناقصة)
(خمسة أسطر لم يبق من مطلع السطر إلا الجزء اليسير)
فليُغْن . . .
. . ؟ . . . . .
يكرِّرنَ له . . .
للمرَّة الثالثة، يقلن له . . .
للتنبؤ . . . مَنْ مِنَ الآلهة يمتدح مسيرة
المطرودين من المساكين. ليس بين الآلهة
من يجيب. مرّة ثالثة ورابعة
يكرّرون الصلاة: مَنْ مِنَ الآلهة يمتدح
مسيرة المطرودين من المنازل؟
ليس بين الآلهة من يجيب.
تكرّر الصلاة للمرّة الخامسة: مَنْ مِنَ الآلهة
يرض عن مسيرة المطرودين من المنازل؟
ليس بين الآلهة من يجيب. يكرّرون الصلاة للمرة السادسة،
ثم السابعة: مَنْ مِنَ الآلهة
يرض عن مسيرة المطرودين من ديارهم؟
ليس بين الآلهة من يجيب.
وبدأ إلّه الجدود بالنبوّة:
«ابقوا في أماكنكم، يا ابنائي. اولئك الذين يريدون إبعادكم
«عن منازلكم كاذبون، وسوف أحاربهم.
«سوف أثير الرعب فيهم عن طريق الفقر . . . والبؤس
«بؤساء سيصبحون. امتداح مسيرة المطرودين
«من ديارهم؟ . . . فليبارَك؟ . . . » - غمز بعينه
وطار، . . . واختفى.

(١٦ سطراً تقريباً، ناقصة)
مات . ـ الصمت رهيب، لأنّ النادبات توقّفن
تعبنَ من الصلاة؛ لأن النادبات
دخلن بيت كيريت .
بكين، وكشفن حتى عن صدورهن .
الساهرات اصبحن داخل البيت!
يمتدحن الميت، بذكاء :
يمتدحن العالي، أمَلاً بإطلاق سراحه :
«عدد الخاطئين ضعف عدد الأبرياء، اطلق سراح البريء!
«سكّان البلاد الأصليين يرفعون رؤوسهم
«وكذلك النزلاء . ـ سيتحلّى المتحدّرون بالحكمة
«وسوف تحرِّر روحه لكي تتغذّى .
«انقل حكمته لأولئك الذين يستطيعون التحرير» . ـ
مات ـ الصمت رهيب، لأن النادبات،
سكتنَ، بعدما انهكهنّ السهر .
ـ إلى كيريت متـلقّي المَدَد، منَ أجل أن يُنقل إليه الشفاء
والقوة الحياتية، إصغِ : كعربون
حسن النيّة (نبل)، اذبح حملاً
ويأكل الساهر ويتغذّى .
ستستمع : عربوناً للنبل
ستذبح حملاً . ـ فيأكل
الساحر ويتغذّى . ـ يوم مضى
يومان وكيريت يجلس أمام المحكمة .
الملك يجلس على عرشه
لكي يجعله يسلك الدروب الكاذبة .

لكنه يجلس وكأنه في قصره
بينما تغلق الذريّة قبره
ـ توجَّه إلى أبيك الذي يستجيب، إذهب
نحو أبيك وصلّي، وردِّد:
«فلتُشفى أحشاء كيريت، متلقّي المَدَد»،
إنك بسرور سوف تنفخ في البوق لأنك
ستتكلّم بمنتهى القوّة،
أما الاعداء الصاخبون،
فأنَّك ترجمهم بيديك
من أجل أن يصدر الحكم في قضية الأرملة،
من أجل أن ينطق بالحكم العادل، ذلك القاضي النَزِق. ـ
ـ عندما قامت الأخوات بقياس الفِراش،
قمت أنت بجلب الحزن إلى فراش المقيم. ـ
أهبط إلى الملك الذي يضنيك:
«إلى دروبك سوف أجعل الخلف يعود».
ـ أخذ الشاب يتكلّم، تقدّم وقدّم الأضحية
من أجل أبيه، قدَّم العربون. ـ «فليؤتى بالشفاء
وبالقوة الحياتيّة!». ـ استمع إلى الاحشاء.
«الشفاء، الشفاء لأحشاء كيريت متلقّي المَدَد». ـ ستنفخ في الصور
مسروراً،
لأنّك ستتكلّم بمنتهى القوة.
الأعداء الصاخبون، ترجُمْهم
بقوة يدك، من أجل أن يتم الحكم
في قضية الأرملة، لكي يصدر الحكم العادل
عن القاضي البَرِم. «أليست قرابيني

تلك التي ترتفع شكواها؟ أضحية الفقير أمامك.
ألا يشمل العفو اليتامى، تقديراً
لبراءتك، أيتها الأرملة؟» ـ عندما
قامت الأخوات بقياس الفِراش، قمت
بجلب الحزن لِفراش المقيم ـ هَبَط نحو الملك
الذي يجلب لك الحزن: «إلى دروبك سوف أعيد الخَلَف».
ـ لكنّه أجاب: «كيريت، متلقّي المَدَد، سوف يتحطّم،
«سوف يُحرق؛ وليكن ذلك مفهوماً: سيُحطَّم، سيُحرق.
«هذا هو السمّ المرير الذي دسَّته لك عشتار، هذا هو النبأ السيّء،
من بعل.
«تستطيع أن تلعن كما تشاء ضمن حدودك.
«حقدك في يدك» ـ وسكت

الكاتب هو ايلي ميلكو، الـراوية.

إن حالة النصّ السيئة تجعل ترجمته صعبة المنال. من الصعب جداً معرفة تسلسل الأحداث، سيما وانه لا مجال لاتمام هذه النواقص عن طريق اللجؤ إلى مقارنتها بنصوص مشابهة. نعتقد أن هناك لوحة (غير III K)، وهي تقع بين IK، ونصّنا هذا، لاتزال مفقودة؛ هذه اللوحة تشكل فصلاً هاماً في اسطورة كيريت.

وينقسم هذا النص إلى قسمين: آ ـ أيام كيريت الأخيرة. ب ـ موته.

آ ـ أيام كيريت الأخيرة:

نود الاشارة بادىء ذي بدء إلى أن العهد القديم يتضمن العديد من الامثلة حول هذا الموضوع كما سنرى. أما كيريت فانه شعر بقرب أجله. لم تعد حياته تساوي أكثر من قيمة الكلب الذي يشكو الهرم؛ صحيح أن أيل حماه ورعاه حتى كأنه أحد أبنائه، لكنه سيمـوت كما يموت سائر البشر. لا فرق بين أن يتقبل الموت راضياً، وأن يختبيء منه. لن تطول شيخوخته أكثر من ذلك ـ لن ينجو من الموت.

الإيدومية التي تزوجها (IIIK) ، وأنجبت له عدداً من الأولاد، ستصبح أرملة. ستبكي زوجها وتتعرض لكراهية بعل، ملك الموت، الذي أرسل إلى كيريت، بواسطة شياطينه، المرض العضال الذي سيقضي عليه. إنه مرض غريب، «مرض مقدّس»، وهو يعكس غضب بعل الهائل. أصبح كيريت يرفض مساعدة الأطباء: أصبح الموت قريباً. يقدّم، حسب العادة، ذبيحة أخيرة عن روح أبيه، ويجمع أولاده ليحدثهم عن المستقبل ويباركهم. يأتي المساء، فيتأثر كيريت على فراق أهله. يبكي ويبكي الاولاد بدورهم. سيفرحون فيما لو ابتعد الموت عن أبيهم - ستكون بهجتهم عظيمة. لكن كيريت سيموت مثلما مات غيره، مثلما سيموت الكلب عندما يهرم.

يبدو أن أبناء كيريت أسّسوا أُسَر كبيرة في بلاد إيدوم. ذلك أننا نرى قبيلة بكاملها تتجمع حول المحتضر. استطاعوا أن يحافظوا، في هذه البلاد الغريبة، على عبادة إيل، ويسمونهم «بأبناء إيل». يتوقعون الآن من الشيخ المحتضر، أن يكشف لهم المستقبل، وأن يرسم لهم الطريق، وأن ينفخ فيهم قوة حياتيّة تساعدهم في العيش بغده. يتكلم كيريت مخاطباً ابنه البكر فيؤاسيه ويرغب إليه بالكف عن البكاء ومسح دموعه وخاصة إقناع أخته بالتوقف عن العويل الذي أخذ يتردد صداه في كل البيت. لا فائدة من الصلوات لأن شياطين المرض استولت على كيريت حتى كأنها جيش مقاتل، وليس هناك من طريقة لحملها على الرأفة. عندما يأتي الموت، من العبث محاولة منع خروج الروح. جيش الشياطين هذا ترافقه «نهاية الاعتداد بالنفس»، وكل محاولة للشفاء تدفع الشياطين لاطلاق المزيد من سهام الموت. التوسّل والرجاء لا يؤثران: العويل يمهد الجو للتجارب الهائلة التي تحل بالانسان بعد الوفاة.

إن وضع هذه القبيلة المتحدِّرة من كيريت، في تلك البلاد البعيدة، سيكون صعباً بعد وفاته. لا شك أن الملك، سيّد البلاد (III K) سوف يخلق المصاعب في وجه ذريّة تابعه. لذلك عليهم أن يتسلّحوا بكل قواهم (غضبهم)، وبنفس الوقت التحلي بالحكمة. إذا جاء الملك وناقش بأمر وجود الكريتيين في بلاده، فلا بد

عنـدئـذ من الحذر الشديد. يواجهونه بالترس (القوّة) أو بالذهب (الجزية). إذا حصلوا على مَدَد غير متوقع واصبحوا الطرف الاقوى، فلا بأس من المضي في القتال. أما إذا حصل خلاف ذلك، وأصرّ الملك على نواياه العدوانيّة، فيترتب التـظاهـر بالمـوافقـة. والبحث عمـا يمكن أن يكـون فيه على حقّ؛ المهم في الموضوع، تجنب اللجؤ إلى السلاح. وإذا استحال تجنب الصدام فمن الافضل التفكير «بـالهـزء منه» (مخادعته؟). في الوقت الذي كان فيه الشيخ يعطي هذه النصائح لابنه، كانت ابنته لاتزال تنتحب في غرفة المرض. قام الأخ، تلبية لرغبة أبيه، بتهديد أخته، ودفع بها نحو الباب. تأخذ الفتاة وعاء ما (؟) وتلقي به ارضاً فتحطمه، فيبكي الأخ الأصغر بدوره.

(ما تبقى من هذا العمود ومن مطلع العمود الذي يليه غير واضح).

يستمر كيريت في مرضه أكثر مما كان متوقّعاً: بضعة أشهر. أخذوا يعدون العدة لاقامة ضريح له. ضريح يرتاح فيه كيريت الذي قُدِّرت له الحكمة. (بعض المقاطع هنا غير واضحة). يعود كيريت فيجمع القبيلة ثانية ويتحدث عن المستقبل فيتجدد المشهد السابق.

(نقص آخر في النص ـ وعندما نعود إليه نجد كيريت مستمراً في اسداء النصح).

لا بد من القيام ببعض الطقوس لاستبعاد العين الشريرة، مثل صب الزيت أرضاً. ذلك أن «قوّة» (خصوبة) الأرض تأتي من السماء. الأمطار التي تهبط من السماء هي التي تحول دون البؤس والمجاعة. ـ كما أن الأرض تشتاق للمطر، كذلك الخطيئة ترتاح للعار؛ إن خشية الآلهة تُبعد الخطيئة. (إذا كان فهمنا للعلاقة بين هذه الجمل صحيحاً فإن العين الشريرة والخطيئة تعنيان الحسد الذي يظهره أهـل البـلاد الأصليين بالنسبـة لمـا بناه كيريت). ذلك أن تلّة كيريت اصبحت مزدهـرة، تكثـر فيهـا الحبـوب. من المتـوقع بعد وفاة كيريت أن يطمع الأهالي الأصليين بهـذه الخيرات. لذلـك يستحسن إحـاطة التل بسياج وتخزين الخمر والزيت وهما ثروة المستوطنين. . . (نقص في النص).

ب ـ موت كيريت

مات كيريت. اسـدى الكثير من النصـائح لابنائه، ولكنهم ظلوا يجهلون مستقبلهم. القبيلة بكاملها تنتظر نبوّة. ولا يستطيع التنبؤ بمصيرهم غير أحد الآلهة. ولكن أليس من الواجب محاولة إعادة الميت إلى الحياة قبل أي شيء آخر؟ - إيل إلـه حكيم ومجيب؛ قادر على إتخاذ القرار. يصلون لايل، إلّه الزهو؛ أما زوجة كيريت الايدومية. فانها تصلّي لآلهتها. ولكي تزيد في قيمـة صلاتها، تصعد لايقاظ الاطفال (الذين لايزالون تحت اشراف أمّهم، على الارجح).

. . . لكن الآلهــة التَزَمت الصمت. يكـررون الصلوات لمعـرفـة مصير المستوطنة الكيريتية. كرروها سبع مرات دون أن يحصلوا على اجابة ما. يبدو أن الوضع أصبح خطيراً وأن القبيلة سوف تواجه الكثير من المصاعب. ـ ويتكلم إيل، إلّه الجدود فيرسم الطريق لاولئك الذين ابتعدوا عن جذورهم. ينصحهم بالبقاء وبـالاستمـرار بعبـادته؛ يضيف أنه على استعداد لمواجهة اولئك الذين يحاولون زحزحة الكيريتيين عن عقيدتهم، وابعادهم عن مساكنهم، بقصد اجبارهم على اللجؤ إلى الكذب (عبادة بعل). سوف يلقي الرعب في نفوس اعدائهم، سيسيطر عليهم بواسطة الفقر والبؤس. ـ يُعرب الالـه أيضاً عن منيته بأن يرى منازل اتباعه وقد امتلأت بالخيرات. ثم أشار إليهم بطرف عينه (غَمَزَهم)، وعداً منه بأنه لن يتخلى عنهم. واختفى الإلّه بعد ذلك طائراً. . . (نقص في النص).

مضى بضعة أيام على وفاة كيريت. توقف نحيب النادبات وساد الصمت ـ صمت رهيب. النادبات كشفن عن صدورهن(*) وعدّدن خصال الفقيد؛ استطفن القوى الجهنمية، أملاً بانقاذ الميت من براثن الشياطين. هناك العديد من الخبثاء يرتعون على وجه الأرض، فلماذا لا يُترك الأبرياء وشأنهم؟ (مزامير ٦٨/ ٧). تقدم

(*) ماتزال هذه العادة قائمة في انحاء الريف السوري حيث تكشف النساء عن صدورهن عند الدعاء والتضرّع الى الله بشأن موضوع هام كمرض عزيز ما مرضاً خطيراً أو حدث هام يتطلب مثل هذا التضرّع . . . الخ. (المترجمان).

النـادبات اسباباً مقنعة لبعث الحياة في كيريت: عندما ينتشر خبر موته سيتحرك الكفّار لمواجهة الكيريتيين، وقد يتحرك معهم «التوشاف» (النزلاء، الغرباء) معلنين العصيان. عند ذلك سيفتقدون كيريت سيفتقدون «حكمته». يجب أن يعود كيريت إلى الحياة، وأن تتخلص روحه من الرباط الجهنمي الذي يقيدها، فتعود إلى جسده. لكن النائحات سكتن بالنهاية، بعد ما تبين أن لا فائدة من النواح. كان لا بد من تقديم الطعام (IID) للساهرات على الميت، حسب العادة؛ وبما أن عائلة كيريت كان لها مركزها الاجتماعي فإنها قامت بذبح حَمَل بهذه المناسبة(*).

نجد هنا أنه تم اختصار فترة الحزن بعض الشيء، خلافاً لما جرى في حالة دانيل (I, II, III D)، ولعل السبب في ذلك أن أرملة كيريت تجاوزت سن الحمل من جهة، ومن جهة أخرى لأن مشاكل الميراث هنا تختلف عما هي عليه في الحالة الأخرى.

تمت محاكمة الميت خلال يومين، اعتلى ملك جهنّم عرشه (بعل) وأصرّ على كيريت بالتخلي عن معتقده؛ لكن الميت وقف أمامه وكأنه جالس في قصره؟ غير أن ابنـاء كيريت (وهم يجهلون ما يجـري في جهنم)، قاموا باغلاق ضريح والـدهم قبل الأوان. نصحوا بكر كيريت بالذهاب إلى (بعل) والتدخل من أجل أبيه، لعله يفلح في ذلك. عليه مخاطبة الاله بقوة، وهو ينفخ في الصور مبتهجاً ـ فقد يهرب الشياطين الصاخبون أذلاّء ـ ويصدر حكم بعل على الميت (بغيابهم؟).

بالحقيقـة، إن الحكم يخص الأرملة بالـدرجـة الأولى (ID)؛ باسم هذه الأرملة، من «القاضي النزق»، حكماً عادلاً. غير أن «الأخوات» (النائحات) قمن «بقياس فراش» الميت، فعم الحزن المنزل ـ أما ابن كيريت فإنه اتبع النصائح، وذهب إلى حدّ وعد معه بعل بالتخلي مع اخوته عن عبادة إيل، والعودة إلى التمسك

(*) هذه العادة مازالت قائمة في بعض أنحاء الريف السوري... وجود نادبات... ذبح الخراف بمثل هذه المناسبة... (المترجمان).

بتعاليمه. كرر الصلاة التي لقنوه اياها، وقدم قرباناً لبعل؛ وصف نفسه باليتيم الفقير وذكّر ببراءة أمّه.

لكن ملك الجحيم لم يتأثر بكل ذلك. أصدر حكمه: إن كيريت، الملقب «بمتلقّي المَدَد» لن يلقَ أي عون. سوف يُحطّم ويُحرق ـ ليكن مفهوماً أنه سوف يتم تدميره نهائياً. هذا هو النبأ السيء الذي حمله بعل لابن كيريت، هذا هو السم الزعاف الذي قدمته له عشتار. يستطيع ابن كيريت الآن، أن يَشْتِمَّ، في محنته، بعلاً كما يشاء، فهذه الشتائم لا تصل إلى الاله. كل انسان له الحق بالحقد «ضمن حدوده». هكذا كان قرار بعل، وبذلك تنتهي قصة كيريت.

إن هذا النص يأتينا بخاتمة قصة كيريت، بعد تجريدها، إلى حدٍ ما، من العناصر الخارقة التي تخللتها؛ الأمر الذي يجعل من الصعوبة بمكان، العثور على مفارقات تاريخية، والتعرف على معطيات ترتبط بزمن اسطورة كيريت، وبالتالي تمييزها عما ادخله الكاتب عليها، علماً بأن ما ادخله الكاتب يبدو كثيراً. والنص (IIK) يعطينا صورة، قد تكون مثالية بعض الشيء، لاسلوب الحياة العائلية الكنعانية في القرن الرابع عشر، وللمعتقدات التي كانت سائدة في ذلك الزمن.

البلاد والسكان: تقع هذه الاحداث في منطقة كيريت (IIIK)؛ غير أنه لم يرد ذكر لمدينة أو لشخص (جديد!). كل ما نطلع عليه في هذا الصدد أن الكيريتيين لم يستطيعوا كسب عطف أهالي البلاد الأصليين، وهم من المزارعين. قد يكمن السبب في أن الكيريتيين، ادخلوا على البلاد اساليب زراعية جديدة ومتقدمة، مما أثار غيرة الايدوميين. قد تكون كراهية الاهالي أخذت شكل تمرد وعصيان... كان «الكيريتيون» يعيشون بين الايدوميين ولكنهم يشكلون قبيلة تختلف عنهم بتمسكها بعبادة إيل وبالحفاظ على الاحترام التقليدي للأب. مستوطنتهم تقع قرب تلّة. أما «الايدوميين» فكانوا اسياد البلاد، وكان ينضم اليهم النزلاء (التوشاف) الذين استقروا في البلاد. ما أن «يرفع الايدومي رأسه»، حتى ينضم إليه «التوشاف».

الجيش: تولى كيريت الدفاع عن بلاد إيدوم (IK) ـ معنى ذلك أن ابناءه اصبحوا من «السارات» مثله. ويبدو أن «الغقلية» تغيرت في زمن كتابة النص. ذلك اننا نرى كيريت

ينصح ابناءه بتكتيك يتأثر بالمفاهيم الجديدة. إذا كان السيّد الجديد لا يكتفي بالذهب للعدول عن العدوان، إذن لا بد من البحث عن عون خارجي، عن حلفاء، لمحاولة الضغط عليه بالتهديد. غير أنه قد لا يكفي التهديد، عندئذ لا بد من التساهل في بعض الأمور وقبولها بعد نقاش طويل إذا كان لا مفر من الصدام واللجؤ إلى السلاح، فيتوجب «الهزء منه»؛ ونفهم من هذه اللفظة اللجؤ إلى الحيلة؛ وقد يصل الامر إلى الهروب، ثم العودة بعد زوال الخطر. في حالات العصيان والتمرد الخ... لا يختلف الامر كثيراً؛ فإذا تحرك الشعب وغضب، من الحكمة إقامة حواجز لحماية الممتلكات. السلاح في كل الاحوال هو السهم: فالاله إيل يستعمل السهام كما تستعمله الشياطين. جروح السهام مميتة في اكثر الحالات. في المعركة يفضلون الاحتماء بالترس، على الهجوم.

الإدارة: كان كيريت يلقب «بسيِّد» البلاد، لكنه لم يكن سيداً مستقلاً. كان له مولى (أدون) يخشى عدوانه على ابناءه، في وصيته السياسية، بتقديم الجزية ذهباً، على أن يبرزوا، في نفس الوقت، قوتهم الدفاعية.

موارد البلاد: كان البؤس يعم بلاد ايدوم، وكان الايدوميون يشتهون مال الغير وينظرون إليه نظرة «العين الشريرة» - وقد يتمردون ويحاولون نهب المستوطنة المزدهرة. يلجأون إلى السحر لكي تهطل الامطار وتروي أراضيهم. الحبوب الصالحة للخبز على نوعين: «الداجان» الذي ينبت في الطبيعة، لوحده؛ و«ال ي ح ي م» الذي كان يتطلب العناية والعمل في الأرض. يقوم الأهالي بالفلاحة، لكنه كان لا بد من حماية المزروعات منهم، باحاطتها بحواجز. الكروم كانت تحاط بجدران من الطين المجفَّف علماً بأن الزيتون كان يكثر أيضاً. يُحفظ زيت الزيتون في أمكنة مقبَّبة. لا يرد ذكر للبقر في هذا النص ونلاحظ أنهم يقدمون حملاً بينما نراهم، في مناسبة مماثلة (IID) يذبحون ثوراً. يبدو أن تربية الابقار لم تكن مألوفة في تلك المنطقة.

المسكن: كان بيت كيريت مؤلفاً من طابق واحد، على الاقل علماً بأنه ليس واضحاً ما كانوا يستعملون من أجله الطابق الأرضي - لعله كان عبارة عن بناء معقود

يخصصونه للحزن. أما الطابق الاول فكان مخصصاً للسكن وكانت غرفة كيريت مصممـة بشكل يمكنه معه أن يسمع كل صوت أو ضجة في المنزل. كان باب المنزل بمصراع. كان هناك، على الارجح غرفة أخرى لكبرى البنات، بالاضافة إلى غرفة ثالثة ينام فيها الصغار؛ وقد تكون هناك غرفة مخصصة لشاب من الابناء لم يتزوج بعد. بقية الابناء كانت لهم مساكنهم الخاصة على مقربة من منزل الاب. نلاحظ وجود الكلب الذي يتحملون وجوده مادام نافعاً، ثم يحتقرونه عندما يهرم (في lk إشارة إلى أن البعض يعاملون الكلب بقسوة).

الحياة العائلية:

آ ـ **الأب**: يختلف كيريت كأب، كثيراً عن «تيراح». لا يفكر إلا بمصلحة ابنائه وحمايتهم من كل سوء. يؤنب ابنته لأنها تكثر من الضجيج خوفاً عليه. كيريت كان محبوباً ومحترماً من ابنائه ولكنهم يعتبرون أن الشيخ لا بد من أن يموت، لا أكثر ولا أقل من كلب من الكلاب. الأب كاهن العائلة، هو الذي يقدم الذبائح وفق تقاليد عبادة العائلة. احترامه واجب حتى ولو لم يكن سمحاً. بعد موت الأب، ينتقل هذا التقليد إلى ابنه البكر الذي يقدم أيضاً القرابين والصلوات عن روح أبيه.

ب ـ **الزوجة**: قد يختلف دين الزوجة عن دين زوجها. ليس هناك ما يجبرها على تغيير دينها، وتستمر بالعبادة على طريقتها. القصّر من الأولاد يبقون تحت إشرافها؛ يستطعون ممارسة شعائر الأم الدينية إلى أن يتعلمون ديانة الأب. عفّة الزوجة فضيلة تفتخر بها عند وفاة زوجها. قد يتوقف على سلوكها، أن تقتنع القوى الجهنمية باعادة زوجها إليها (بعد الموت؟). عندما تبلغ الزوجة سن الشيخوخة تتولّى أكبر بناتها إدارة شؤون البيت ما لم تكن قد تزوجت.

ج ـ **الأبناء**: الابناء والاحفاد الخ... يشكلون القبيلة، البكر من الذكور يتمتع بمركز أعلى من البقية، وهو الذي يحل محل الأب. له سلطة ما على أخته، إذ يطلب منها مغادرة الغرفة، وقد يهددها. الابن البكر يقوم بكل الشعائر عند الوفاة، وقد يمثل أمام بعل، ويهدد الشياطين؛ وقد يعدهم بالقرابين. يستطيع أن يلتزم

باسم أخوته حتى ولو كان الامر يتعلق بتغيير دينهم. بعد موت الاب يعتبر الابن نفسه يتيماً فقيراً؛ وذلك مهما بلغ من العمر. هذا لا يمنعه أن يكون وريث أبيه، بحيث تصبح «حدود» هذه الممتلكات «حدوده».

د ـ الابنة: كانت الفتاة الكنعانية بالغة الحساسية، تعرب عن حزنها بالعويل. عندما يحاولون اسكاتها بشيء من القسوة، تقوم بكسر حاجة ما (قدَح، كأس الخ . . . على الارجح) انتقاماً ممن يقسوا عليها.

الموت: عندما يشرف الاب على الموت، تجتمع العائلة حوله فتتلقى بركته، وتنتقل إليهم نفحة الحياة الباقية لديه. يوحي بارادته الاخيرة على شكل تنبؤ. قد تطول فترة المرض؛ بقي كيريت مريضاً ما لا يقل عن اربعة أشهر. خلال هذه الفترة يطلبون العون لاعادة المريض إلى الحياة. بعد لفظ النَفَس الاخير يبدأ اسبوع الاحزان، وتقوم الارملة بالبكاء. يكونون قد اعدوا له ضريحاً، ويبدو أن ذلك لم يكن دوماً بالامر اليسير. كان لا بد لهم من الحذر والحيطة، على الدوام في تلك البيئة المعادية. لا بد لهم أيضاً من اللجؤ إلى الحيلة، إلى «حِيَلِ ابن آوى» للتمكن من القيام بالواجبات الأخيرة. في حالتنا هذه كان الضريح معداً. يبدو أن ما يجب القيام به في المآتم كان محدداً ومعروفاً إلى حدٍ ما (انظر انتحاب اقاهات ـ ID,IID). تدخل النائحات المنزل بعد الوفاة. يقمن بالصلوات والعويل فترة من الزمن (هذه الفترة غير محددة هنا ولكنها في العادة سبعة أيام). يبكين ويضربن صدورهن ويمتدحن الميت (أشعيا ٣٢/ ١٢)، كما يستعطفن القوى الجهنيمة بامتداحها أيضاً. يبدو أنه كان على رأسهن «ساحر» ما (؟). مهمتهن الاولى كانت قياس فراش الميت، مما يجعلنا نفترض أن ذلك كان تمهيداً لاعداد تابوت حجري. هذا العمل بالذات يُدخل الحزن إلى البيت. (وقد يمكن ربط هذه الفكرة ببعض الخرافات السائدة في الشرق: لا يجوز قياس رجل، أو فراش الخ . . . لأن ذلك قد يتسبب بالموت . . .).

يقدمون اللحم غذاءً للناحبات خلال تواجدهن في منزل الميت. الكمية تتناسب مع مركز العائلة الاجتماعي (نبلها)؛ غير أن هذه العادة تختلف بين منطقة

وأخرى، كما يؤخذ عدد النادبات بعين الاعتبار. في حالتنا هذه تم ذبح حَمَلٍ واحد. ـ على أنه يمكن أن يتم الدفن بعد يومين من الحزن والبكاء كما هي الحال في نصنا هذا. يبدو أن عنصر السرعة في الدفن يرتبط بدرجة تعلق الاولاد بأبيهم كما يرتبط أيضاً بسنّه وبظروف الوفاة. ينتهي كل شيء بعد الدفن، وتصبح الصلوات نفسها، غير مجدية.

الطبابة: الامراض من فعل الشياطين، مساعدي بعل. أسباب المرض خفية، غامضة ـ ولكنها من فعل اله ما؛ وهي بالتالي مقدسة، قد يختار الإلّه إنساناً معيناً فيصيبه بمرض عضال دليلاً على اهتمامه به(*). لا مجال للهروب من الموت كما وانه يستحيل إثارة الشفقة لدى شياطين الامراض. في بلاد ايدوم كانوا يسمون الطبيب «معطي الشفاء»، ويعتبرون أن رفض المعالجة من قبل المريض يؤدي إلى نهاية سيئة قريبة. تمديد حياة انسان يشرف على الموت أمر ممكن. عند ذلك يقولون أنه تلقى «العون».

الحياة العاطفية: يقوم وصف الحياة العائلية على وصف العواطف وعلى الشكل الذي تظهر فيه. نلاحظ عدم وجود الرأفة تجاه البشر أو تجاه الحيوان. يبدو طبيعياً أن يموت الأب الشيخ فتعامَل الأرملة ـ الأم معاملة «غير وديّة». قد يعامل الاخ اخته معاملة قاسية، فتقوم الفتاة، عن قصد بازعاج أهلها (بتحطيم قدح أو كأس). طابع الحزن هو الغالب على الجزء المتعلق بموت كيريت ويظهر هذا الحزن والبكاء: الأب يبكي لأنه سيفارق أهله، الزوجة تبكي لموت زوجها، الابن البكر يبكي إلى أن تغطي الدموع وجهه (رأسه). يأخذ الحزن، لدى النساء، شكل العويل والصراخ والتأوّه. يبدو أن ذلك كله كان يهدف إلى حمل الشياطين على الرأفة؛ لكنهم كانوا يعرفون في نفس الوقت أي محاولة ايقاف الشياطين عند حدهم، ستبقى دون جدوى، وقد تؤدي إلى نتائج أكثر سلبية. الصمت يعتبرونه دليل خوف. التوقف عن الصلاة بسبب التعب يجلب الشؤم. عند مخاطبة إلّه أو شيطان

(*) يلاحظ... الحديث الذي يروى... «إذا أحب الله عبداً ابتلاه» (المترجمان).

ما، يجب التكلم بقوة وإثارة ضَجة وحتى النفخ في الصور أو التصفيق بشدة (؟)؛ على أن ترافق «البهجة» كل ذلك.

الروح: عند الموت تحاول الروح الخروج من الجسد. يحاولون الحصول على «مساعدة» لمنعها من الخروج. لكن جيش الشياطين، وهو الاقوى، يحول دون ذلك. «الحكمة» تقضي بأن يذهب المحتضر ليستريح في ضريحه. عندما يتأكد الموت يخاطبون القوى الجهنمية طالبين منها «التخلي» عن ذلك الذي تحتجزه. إذا تم «الافراج» عن الميت فأن الروح تعود إلى الجسد، ويعود الانسان فيستطيع الاكل والشرب من جديد. يبدو أن مهمة الروح هي تغذية الجسم. «الحكمة» تسير في عالم آخر ويمكن توجهها (بالصلوات؟) إما نحو «الذين يحتجزون»، وإما نحو «الذين يحررون». لا نعرف كيف يمكن أن تعود الحكمة إلى جسد الميت. يبدو أن الأب، وهو على قيد الحياة، تنعكس «حكمته» جزئياً على ذريته. «القوة الحياتية» و«الشفاء» علاجان يفيدان الاحياء والاموات على السواء ولكنهما يتبخران بسرعة.
الموت (II): نلاحظ وجود مفهومين مختلفين للموت في هذا النص. نرى من جهة أن الموت حتمي: كل حي يموت، الانسان والكلب على السواء. لا يستطيع الانسان الافلات من الموت ولو اختفى عن الانظار. ومن جهة ثانية نرى أن الموت مرض من فعل الشياطين، وهو نتيجة جرح ظاهر أو خفي (من فعل الشياطين أو من فعل البشر). ونرى من جهة ثالثة أن الموت راحة تفرضها «الحكمة» على البشر. على أي حال، لا يصح الموت نهائياً إلا بصدور قرار من اله ما، حتى لو ثبتت الوفاة ظاهرياً، وتوقفت الناحبات عن العويل، وتم الدفن. ما لم يصدر مثل هذا القرار، يبقى الامل بشفاء «احشاء» الميت قائماً، سواء اكان ذلك عن طريق «القوة الحياتية» أو عن طريق «الشفاء». قد تهرب الشياطين من الصراخ، فهو طريقة «لرجمهم». ينصحون باللجؤ إلى «كاهن» أو «ساحر» (؟) ولكنه من الافضل القيام بذلك بأنفسهم (بأيديهم).

في العالم الآخر، يعتقدون أن الميت سيحاكم من قبل سيّد الجحيم، بعل وهو «الـ م ل ك». الاعتقاد السائد يقضي بأن بعل يحب الانتقام من خصومه؛ غير انه يمكن للانسان أن يتخلى عن عقيدته الاصلية ويسير في «درب الكذب»، بغية التحرر من الموت. بعل قاضٍ رهيب ونزق، لا يعرف الصبر. لا يعرف مروءة إيل. على أي حال أن إيل (؟) هو الآخر، يستطيع التأثير في العالم الآخر (III A B)، عند ذلك تكون «حكمة» الميت قد توجهت نحو «الذين يحررون». على هذا الاساس يذكرون حسنات الميت مقابل العدد الكبير من الخاطئين الذين يرتعون، ويمكن للالهة ان تنتقم منهم (مزامير ٦٨ / ٧). بالطبع، الميت هو الذي تجري محاكمته، لكن القضية تتعلق، بالحقيقة، بالاحياء: بالارملة التي قد يتأثر قاضي الجحيم ببراءتها (أو بكونها لم تنجب ـ ID,IID)، بالاولاد، وهم اليتامى مهما بلغ سنهم. يطلبون جميعاً العفو من خطاياهم. عندما يتقدم الميت نحو المحكمة الجهنمية، يرى «بعل» جالساً على عرشه. قد يتأثر هذا الاخير بما يظهره الميت من تواضع؛ لكنه لا يرحم فيما اذا حاول الميت الجلوس بحضرته.

الاخلاق: التي يركز عليها الكاتب، رخيصة جداً. نصائح كيريت لابنه تدور بشكل عام حول خشية الاخطار. ينصح باللجؤ إلى النقاش والمماحكة والحيلة وقبول الحل الوسط، طالما كان ذلك ممكناً. عندما يتعاظم الخطر ينصح بالهرب (؟). هذه الاخلاقية التجارية الرخيصة، لا تدع مجالاً لنمو الحياة الروحية لدى الفرد. الارملة تندب سوء طالعها أكثر مما تندب زوجها. الابناء يجتمعون حول أبيهم المحتضر لكي تنتقل منه إليهم الحياة وللحصول على بركته. الدموع تسيل لطرد الشياطين؛ الصلوات لا تتكرر إلا لكي يتدخل إله ما، فيبعث الميت أو يكشف المستقبل.. أو يحارب العدو الخ... القرابين تقدم وفق المِصلحة، وهي ضئيلة لأن صاحبها يدعي الفقر. يقدمون عربوناً للاله، على أن يتبعونه بقرابين اهم، فيما إذا تمت الاستجابة، السذاجة والثقة عند الارملة، والفقر بالنسبة لليتيم، تُعتبر حُججاً للدفاع في المحكمة. الخاطئون يكفِّرون عن خطاياهم في عالم آخر، ويعتقد بالمقابل أن الابرياء ينجون. يستطيع الانسان نقض وعده والتخلي عن

عقيدته، في سبيل تأمين مصلحته. غير أن هذا التصرف لا ينطلي على الاله، وهو مرفوض. الانسان «سيد» في بيته، ويستطيع أن يشتم من يشاء «ضمن حدود» هذا البيت. الامر يختلف خارج هذه الحدود.

العدالة: الحق يظهر بنتيجة المناقشة في اغلب الحالات. على الانسان تجنب الغضب، والدفاع عن مصالحه دون أن يتجاهل تماماً مصالح الغير. عدالة البشر تقوم على المعاملة بالمثل. الاساءة لمن اساء. تتدخل عدالة الالهة «لسحب» المذنب (من عداد الاحياء)، لأن الخطيئة تنمو في جو الخزي والعار. عدالة الالهة تحاسب أيضاً الكفار، الذين يحاولون مخادعة المؤمنين، فتصيبهم بالفقر والبؤس. في مثل هذه الحالة نجد أن إيل يحارب خصومه بنفسه، دون وسيط. بعل، سيّد جهنم، يجلس على عرشه وزوجته عشتار بقربه. ينطق بالاحكام القاسية بينما تقدم زوجته «كؤوس المرارة»، وتسكب السموم. قد يحكم بعل بالتحطيم والحرق وهو القاضي النزق. على أن محاولة رشوته بالوعود والقرابين واردة ـ كما وأنه يمكن تقديم عربون له، على أن يتم الاعتراف بالجميل لاحقاً.

الآلهة: إله كيريت وإله آبائه وأجداده هو إيل. إيل إله الحكمة وهو أيضاً الاله الصافي وإله الزهو (أو القوة). غير انه يتبن لنا مع ذلك (من النص)، أن «عائلة» كيريت لم تكن مرتبطة بهذا الاله بشكل مطلق، بدليل أنها تعتبره أحياناً، أحد الاله ليس إلا، لا يلجأون إليه إلا للتنبؤ وطلب الحماية. يغمز بعينه عندما يستقر رأيه على قرار باسلوب يشبه التواطؤ.

أما بعل، فانه يظهر لنا على شكلين: هو من جهة إله الاجواء الذي يأمر بهطول الأمطار المخصبة، تلك الأمطار التي يخزنها في «الغرفة العليا». ومن جهة ثانية هو إله الموت، الذي ينقل المرض بواسطة شياطينه، وهو قاضي جهنم، والملك الحاكم فيها؛ وهو النزق الذي يجلب الاحزان. يتكلم لكي يعلن النبأ السيء باسمه أو باسم زوجته عشتارت.

لم يرد في النص ذكر آلهة أخرى. يفترض أن الآلهة التي كانت تستعطفهم زوجة كيريت كانوا جميعاً من آلهة «الايدوميين».

الشيـاطين: نلاحظ هنا أن الكاتب لا يستعمل التعابير المألوفة (راجع AB) عن الشياطين. لكن الصـورة هي نفسهـا. تأتي الشياطين على شكل جيش مقاتل، يحمل السهام، فتنقل المرض لمن تقرر موته. الشياطين لا تعرف الرأفة ووصولها يعني (خشية الآلهة تحمل نفس المعنى)، «نهاية الاعتداد بالنفس». تأتمر بأوامر بعل، علماً بأن ذلك لم يرد ذكره صراحة في هذا النص بالذات. الشياطين «اعداء صاخبين»، لذلك يترتب على الانسان احداث المزيد من الضجة، والصراخ بقوة بغية ايصال صوته إلى الآلهة. وعلى ذلك، فان الصلوات يجب أن تتم «صراخاً» كما وأنه يتوجب أن يرافقها النفخ (أو التصفيق)، ورجم الشياطين بالحجارة (؟) لابعادهم.

العبادة: لا ذكر في النص لمعبد أو هيكل، لعل السبب في ذلك تعود إلى أن العبادة تجـري في بلد غريب. يتمسـك الكيريتيون بعبـادة إيل وهم من نسله. تؤدّى الصلوات على شكلين: طريقـة ر ج م، وطريقة ن ج ر. يمكن أن يرافق العويل الصلوات؛ تكرار الصلاة يجعلها أكثر فعالية، وقد يكررونها سبع مرات. الأطفال الذين لم يتعلموا بعد أصول عبادة إيل، لا يشاركون في الصلوات الموجهة إلى هذا الالـه؛ علمـاً بأن الام تستـطيع أن تشركهم بالصلوات التي تؤديها لآلهتها هي. بالاضـافة لهذا النوع من العبادة، هناك عبادة عائلية يرافقها قربان عند المساء، يقدمه رئيس العائلة عن روح أبيه. قرابين الزيت يوجهونها لبعل، إله الاجواء لكي تهـطل الأمطار. في حالات الموت تقوم النائحات بالعويل ويكشفن صدورهن. صلواتهن تتمحور حول مدح الميت وتعداد مزاياه من جهة، ومن جهة ثانية حول مديح القوى الجهنمية بقصد تملُّقها. يقدم البكر (؟) القرابين، «عربوناً» على أنه لن يتهرب من الاعتراف بالجميل، فيما إذا استجابت الآلهة لطلبه.

المعتقدات:

آ ـ **القَدَر**: لا مفر من القدر. يتضح من ملاحظات الشاعر، كما يتضح من كلام

كيريت أنهم لم يكونوا ليبالغوا في الاعتماد على فعالية الممارسات الدينية. كانت تتجه ثقتهم نحو نبوآت إله ما، أو حتى نبوءة الأب؛ غير أن نبوءة الأب هي عبارة عن نصيحة، أما نبوءة الاله فهي وعد وأمر. ولكن هل هناك نبوءة أقوى من أمر، واجب التنفيذ؟.

ب ـ **روحانية الارقام**: هنا أيضاً نجد أن الرقم /٧/ يفرض نفسه: تكرر الصلاة سبع مرات، طلب عون الالهة سبعة أيام.

ج ـ **العين الشريرة**: العين الشريرة «تجلب الشؤم». ويبدو أنه كان بالامكان تفادي ذلك الشؤم.

د ـ **التطيّر**: بعض الافعال ضارة بطبيعتها وتقضي على كل أمل، مثل توقف النائحات عن البكاء، أو كسر آنية ما. القيام بقياس فراش الميت من قبل النائحات لاعداد التابوت الحجري (؟)، «يجلب الحزن». ينتهي كل أمل عندما يتم الدفن.

هـ ـ **وحي الآلهة**: الآلهة تنطق بالوحي. صمتها يبعث الخوف؛ عند ذلك يتوجهون إلى أي إله آخر يمكن أن يكشف المستقبل. وحي إيل مُشجِّع، لكن بعل اله الجحيم، ينذر بالشؤم. عشتارت تقدم «السم الزعاف».

الأسلوب والشعر

كاتب هذا النص هو أيضاً «ايلي ميلكو». مقدرة هذا الكاتب على التجديد وعلى التكييف اسلوبه وطريقة تعبيره، مدهشة حقاً. هناك نقاط عديدة مشتركة بين هذا النص ونص IK . في النصين إشارة إلى احتقار الكلب، ـ مما لا نجده في بقية نصوص التوراة الكنعانية. نعثر في هذا النص على شيء من التشكيك الفلسفي، كما يقل فيه تدخل الالهة وحجم القيمة المعطاة للعبادة، خلافاً لما جاء في كتابات «ايلي ميلكو» الاخرى. قد تكون الاشارة إلى الوليمة المقدمة «للكاهن أو الساحر» وللنادبات ـ قد تكون دفاعاً شخصياً؛ ذلك أن الكاتب قام مراراً، على الارجح،

بانشاء نصه بنفسه، في مناسبات حزينة. تكثر الامثلة في النص دون أن يصل ذلك إلى تجاوز حدود المعقول. نلمس ابتكاراً في التعبير والوصف. كل ذلك يجعلنا نميل إلى الاعتقاد، بأن مساهمة الشاعر الشخصية كانت كبيرة، خاصة وأن بعض المقاطع (التي يكررها بلذة)، هي من تأليفه. التعابير الغريبة نادرة، تماماً كما هي الحال في IK.

رأينا أن IK تشابه، إلى حد ما، قصة يوسف. ويمكن القول أيضاً أن IIK تشابه موت يعقوب (تكوين ٤٨/ ٢١ ـ ٥٠). لدينا هنا نموذجاً لموت رب العائلة؛ ومن الارجح أن مثل هذه الاسطورة ـ كما هي الحال بالنسبة لقصيدة أقاهات ـ كانت تُنشد خلال أمسيات الاحتضار الطويلة. هناك فارق، بالطبع، في درجة الالم بين موت شاب لم يخلفه أطفال، وموت شيخ، رب عائلة كبيرة، يحيط به أبناؤه وأحفاده. أما العمل الأدبي، وهو مقسم إلى فصول بعدد الاعمدة تقريباً، فانه يشكل وحدة متكاملة هي بالحقيقة، من أروع ما كتبه «ايلي ميلكو».

نجد أن الكاتب خصص هنا جزءاً من النص لوصف الطقوس الجنائزية وللتعبير عن الحزن على الميت، لم نعثر في العهد القديم على ما يشبه ذلك إلا في وصف موت يعقوب:

تكوين ٤٩/ ٢٩ ـ ٥٠، / ١٤: يأتون على ذكر المرض الأخير للمحتضر، وتُعطى التعليمات المناسبة لدفنه، ولفترة الحزن قبل الدُفن (اربعون أو سبعون؟ يوماً)، وأخيراً لفترة الحزن والبكاء **بعد** الدفن (سبعة أيام).

ونجد هنا، على العكس، أن النبؤات والبركة التي تشغل، في العادة، حيزاً كبيراً في العهد القديم، نراها، وقد استُبدلَت هنا بعدد من التعليمات والنصائح والحكم (أمثال ١/ ١٠ ـ ٣٣).

هذا مع العلم أن بركة الأب المحتضر، كانت بالغة الاهمية لدى شعوب العهد القديم.

تكوين ٢٥/ ١١: عند وفاة ابراهيم «بارك الاله ابنه اسحق». ـ (بالنسبة لولادة اسحق: راجع تكوين ١٨/ ١ ـ ١٥؛ ٢١/ ـ ٥ ـ وأيضاً NK).

تكوين ٢٧/ ١ ـ ٤١ : يبدو أن وفاة اسحق وقعت بعد مباركة ابنائه. والراوي يجعلها تتم بعد عودة ابنه يعقوب (٣٥/ ٢٨). وعلى ذلك يكون الشيخ عاش ماية وثمانون عاماً.

وبالاضافة إلى استبدال حق البكوريّة وانتقال اليد اليمنى إلى الابن الثاني، بالاضافة إلى ذلك، نلاحظ حول بركة يعقوب(*) ما يلي: آ ـ وعد لسقوط الندى؛ ـ ب ـ وعد بكثرة الحبوب والخمور (مما يتناقض مع وضع البداوة)؛ ج ـ البشارة بالسيادة على شعوب منها الغريب ومنها الشقيق.

أما التنبؤات حول عيسو، فانها تحمل طابع المنافسة، التي ظهرت لاحقاً، بين فلسطين ومملكة ايدوم. وهي عبارة عن أمنية يُعرب عنها الكاتب، وليست عنصراً قديماً في الرواية. على أي حال، إن هذه النبؤات تكونها مقاطع أخرى من العهد القديم. أما نحن فالذي يهمنا هنا هو النبؤات التي تحققت دون سواها.

هذا، وإن الفصلين ٤٨ و ٤٩ من سفر التكوين، يتضمنان عناصر مختلفة، مأخوذة عن مصادر مختلفة:

تكوين ٤٨/ ٨ ـ ٢٠ : إن مباركة افرائيم ومَنَسِّي (مع استبدال حق البكوريّة، وانتقال اليد اليمنى)، يصعب تفسيرها، لأن ابني يوسف كانا متساويين من حيث المعاملة.

تجدر الملاحظة هنا إلى أن الافراميين، كانوا مثل البنياميين، يمتهنون الحرب، وكان شاوول بنيامينيا (صموئيل الاول ٩/ ١ ـ ٢) بينما كان داود افرامياً (صموئيل الاول ١٧/ ١٢). هذا ويتضح من نشيد دبورة (قضاة ٥/ ١٤)، أن افرام وبنيامين وماكير (منس) كانت شعوباً مقاتلة وهي تختلف عن قبائل اسرائيل السبعة (انظر فيما بعد).

تكوين ٢٩/ ٢ ـ ٢٨ : يُعتقد أن هذه النبؤات، أُعيد النظر فيها عندما تم تقسيم البلاد إلى مملكتين: يهودا واسرائيل التي كان يحكمها «ابن ـ يوسف» باسم جيروبوام الاول. هذا وانه، بسبب تحرير هذا الفصل في وقت لاحق، نجد أنه لا

(*) الفولكلور في العهد القديم تأليف J. GFRAZER.

يحتوي على معلومات دقيقة. على أننا نعثر فيه على ما يلي:

١ ـ رأوبين ـ وقد حُرم من حق البكورية لعلة الزنا
٢ ـ يهوذا ـ وهو موعود بالملك
٣ ـ زابولون ـ مختص بتأهيل البحارة
٤ ـ يساكر ـ خامل، يدفع الجزية للاجانب
٥ ـ دان ـ مختص بتأهيل القضاة
٦ ـ جاد ـ ؟
٧ ـ أشير ـ للقيام بخدمة البلاط (؟)
٨ ـ نفتالي ـ ؟
٩ ـ يوسف ـ موعود بالملك
١٠ ـ بنيامين ـ يعيش على الغنائم والحروب

أما «شمعون» و «لاوي»، فانهما «ينتشران في اسرائيل ـ لذلك يبدو أن «شمعون» هضمه «اللاّويون».

تثنية ٣٣/ ٦ ـ ٢٥: ونلاحظ هنا أن تنبؤات موسى تقتبس من نفس المصدر، ولكنها أكثر تحيزاً.

يوسف وحده موعوداً بالملك، أما يهوذا فإنه منشقّ ولا بد من «استعادته من قبل شعبه».

هنا أيضاً لا يرد ذكر إلا لعشر قبائل:

رأوبين ـ يهوذا ـ لاوي (يلقى التكريم نظراً لمساعدته في العبادة) ـ بنيامين (يدافع عن العقيدة) ـ يوسف ـ زابولون ويساكر (مجتمعين) ـ جاد ـ دان ـ نفتالي (مالك الأرض) وأشير (المبارك وحده).

تقرر (يشوع ١٨) تقسيم البلاد الى مملكتين: يهوذا في الجنوب ويوسف في الشمال. وتتقاسم القبائل التالية أرض فلسطين: بنيامين ـ شمعون ـ زابولون ـ يساكر ـ أشير ـ نفتالي ودان.

قضاة ٥/ ١٤ ـ ١٨: يشير نشيد دَبّوُرَة (كما اسلفنا) إلى وجود ثلاث قبائل مقاتلة:

افرائيم وبنيامين وماكير (منسيًّ) وسبع قبائل حضرية: يساكر، رأوبين، جلعاد (؟)، دان، أشير، زبولون، نفتالي. (كلمة زبولون هنا تعني «الدخيل» أو «ساكن البلاد الاصلي»). إن العلامات المميزة لهذه القبائل تنطبق على تكهنات موسى ويعقوب.

وعلى ذلك يمكن الافتراض أن فلسطين تم تقسيمها منذ القدم إلى سبع مناطق، حملت اسماء ابناء تيراح (IK). ويبدو أن العبرانيين حافظوا على هذا التقسيم كما حافظوا على التسمية. وتقبلوا فكرة وجود ثلاث قبائل مقاتلة في البلاد، بغية تأمين الحصول على مرتزقة عند الحاجة. ثم عاد العبرانيون فاضافوا إلى لائحة الاسماء العشرة (المتغيرة)، اضافوا إليها الرواد (يوسف) وجباة الضرائب (لاوي) فبلغ مجموع عدد القبائل، الاثني عشر.

وإذا عدنا إلى اسطورة كيريت (الهائم على وجهه ـ مثل يوسف)، فانه يصعب العثور على تكهنات شبيهة بهذه التكهنات. ومع ذلك فانه لا بد من الاشارة إلى انه كان لكيريت سبعة اولاد وأن سابعهم كان يتمتع «بمركز عظيم» IIIK، وان كيريت نذر ثالث ابنائه لخدمة الآلهة (مثل لاوي، الابن الثالث ليعقوب: تكوين ٢٩/ ٣٤).

III ـ أقاهات
(أناشيد للسهر في الليالي الحزينة)

نشر السيد ش. فيرولّو هذه النصوص تحت عنوان «اسطورة دانيل الفينيقية»، في منشورات رأس شمرا، في باريس عام ١٩٣٦. نعتقد أن المجموعة الأصلية تتألف من سبع لوحات، علماً بأن هناك لوحة رابعة مبتورة تم العثور عليها AO. 17,321 (IVD)، ولكنها لا تفيدنا في شيء. حافظنا على ترتيب اللوحات وعلى تسمياتها السابقة:

ID ـ لوحة اللوفر AO. 17,323
IID ـ لوحة اللوفر AO. 17,324
IIID ـ لوحة اللوفر AO. 17,324

ID

عن أقاهات:
. . . ؟ . . . للقتال على المياه.
سيجدونك خفيفاً. . . والقلب سوف تحطِّمه.
ما كُتب. . . سوف يحطِّمه.
الزيت. . . العذراء عناة.
سنعود. . . ؟
خط المحراث. . . بيده، جعله يزدهر.
قيثارة أصابعه مثل الحجر المنحوت،
فمه، أسنانه القاطعة والفك. ؟.
الفقرات، كأنها صُنعت من قلوب السنديان

وجَسَد كبير الحجم حتى كأنه تم صنعه من جسدين . ـ
أقاهات لم تنطق بكلمة واحدة، استولى عليها الانفعال، الغضب الشديد،
حتى كأن إيل ميّز كل شيء وحلّ العَدَم.
«خطيئتُه سوف أحطّمها؛ لقد رفع كتابته بما يكفي.
«سوف أحطّمه؛ وستقع الكوارث على أواخر أيامه.
«لن يظهر عليّ الغضب. كتابته لن تسلّمها،
«إنّها لي. ـ وإذا جاء الموت، . . . . ».
ـ . . . آخر الأمر، ثَقُل عليه الحِمل.
ظهر لك دانيل في عجزه.
مات العملاق. . . العون.
«زوجي ميت، فليُحْمَل
«لا يجلس أمام الباب، قرب
«المباني التي في الساحة. حيث تتم محاكمته؛
«بالنسبة لقضية الأرملة، سوف يحق الحق.
(ينقص ثلاثة اسطر).
إنّها تسير. . . . . وعندما ترفع
بصرها، تقترب طيور. . .
في حنجرتها يجفّ. . .
تلقى مساعدة فتنزع ثيابها، مستسلمة. . .
تصعد إلى بيت الأب. المقيَّدون. . .
إنه قطع الرباط، وهذا هو سبب الرُعب.
«تبكين وتتأوّهين، بأي قلب؟
«تزرفين الدموع، من أي كبد؟»
ـ العَرَق يكسو جسمها بكامله: «مات دانيل!

«الأطباء عاجزون؛ مات زوجي.
«أقفُ أمامك، لأن دانيل مات.
«اشفِه، انقُذْه: ـ لقد دخل الظلمات».
ـ الأب يغمره الحزن، وبَدَت جبهتُه النضرة
وكأن غيمة الخريف الدكناء، أخذت تغطِّيها،
وأخذ يتألم ألماً شديداً (أو لسبع سنوات؟).
حتى لو مسح بعل بالزيت عربته،
وأصبحت الغيوم لا تبعث الندى والمطر،
فإن دموع السيِّد كالسيل تظل تنهمر،
ـ العَرَق يكدُّه ـ وهو يحاول أن لا يصدِّق
أنّ دانيل العملاق، مات.
العون منعدِم، . . .
من أجل البيت أيضاً. . .
أصغِ إلى الآهات التي توقظ. . .
بعيداً عن العاصفة، هل تعرف الندى؟
ـ تمشي وهي كثيرة الآلام، وقد استولى عليها الفقر.
تصل إلى ب ح ل. «تلفَت كرومي، وذهب مالي،
«ذهب، يُغِظ. لعنتي، استمعوا إليها!
«حسرتي التي تستيقظ، من يبعدها؟»
ـ تنتبه إلى أنّها تسير، تتألّم ألماً. . .؟.
وقد استولى عليها العوز.
إلى متى ستظل مرتبطة بالـ ب ح ل؟
ـ رفع الأب صوته، بالأنين والشكوى إلى المرتفعات الجافَة،
لكي يبخِّر بالبخور الـ ب ح ل في المرتفعات.
ـ سوف يصدر حكم إيل؛ سيعيده بأعجوبة من أعاجيبه،

بواسطة ش ك ل جماله، بالأعاجيب، بواسطة ش ك ل
جماله، بالأعاجيب، بالـ ش ك ل سوف يتمسَّك به.
ـ وأخذت ابتهالات ش ك ل ترتفع:
ـ فلشُرق، على شكل أعجوبة، على شكل ش ك ل مضيء، فليشرق
العون.
أيها النور، ستتمركز حول أقاهات،
أيها «العون» ستشفي الأحشاء المريضة.
«سوف يحاكموه، سوف يبعدوه؛ إنّي أتلهف إليه، إلى جماله».
ـ أعباء الأنين، أعباء مُشعَّة؛
في فصول الحرّ، الأعباء....
وبدأت ترتفع شكوى...
«سوف تسطع، رغم ثقل الأعباء، ستسطع...
«أيّتها النور، ستتمركز حول أقاهات لمساعدتها؛
«فأنت أنت السبب فيما تعاني منه الأحشاء».
ـ من فمها لم تخرج صرخة، من شفتيها لم تخرج شكوى
ترفع بصرها، فترى الطيور وهي تقترب؟...
«أيتها الفتيات، لا تذهَبْنَ، نحو حبيبي...
«إنّه لن يخرج؛ وإذا خرج، على الفور...
«مصائب ثلاث، انقضّت على سعادتي...
«وها أنا ذا سجينة الحطام». ـ رأسه...
ترتفع والخراب لسَجْنِه...
تتحوّل؛ والدموع تتساقط
وكأنّها ارباع شاقل...
«من جهة الشمال الهائج، تتدلّى...؟
«قوّتي الحياتية، يملك...

«أحمِّلُكم نبأ طيباً لدانيل . . .
«الرأس . . .
«مثل شجرة الطَرفاء، التي تحملِ الحكمة . . .
«ستستريحون، ستذهبون . . .
«أنباء سيّئة عن دانيل: مات، العملاق،
«وسوف تموت أقاهات، ما لم يأتِ المَدَد . . . .
«العذراء عناة . . .
«مثل الطَّرفاء التي تحمل حكمتها . . .
(١٣ سطراً لم يبق منها سوى المطلع)
. . . وليعد إلى الحياة . . .
بعل مقيم، بعل . . .
إنّك تلعن: «بقدمي سوف أسحق . . .
«عذاب النار سيُسعدني. بواسطة عذاب النار الرهيب،
«سأجعل الشجر يبكي، وسأجعله يُدفن . . .
«سأفعل كل ذلك بمن اختارته الإيليم» . . . ـ استولى عليها الرعب،
من فمها لم تخرج صرخة، ولا من شفتيها شكوى.
أجنحة الكواسر، سوف يمزِّقها بعل؛
بعل سوف يمزِّق طيور الأنين. تلعنهم:
بقدمه سيسحق أكبادهم و. . .
ـ لا خراب هناك، ما لم تكن الأشجار التي تحمل العلاج؛
أمّا القوّة الحياتيّة على أجنحة الكواسر، فإن بعل سيراها.
بعل سوف يرى طيور الأنين، والكواسر،
ويقضي عليها ـ ترفع بصرها وها هي الكواسر تطير،
وتبتعد عن الأرض المعشوشبة.
سوف تحمل الشفاء والقوة الحياتية من أقصى طرف الأرض.

ـ لكن بعل هو الحاكم؛ بعل يمزِّق الطيور. . .
لأنّه تفوّه باللعنة: «بقدمي سوف أسحق أكبادهم
«والعذاب بالنار سيُسعدني. بواسطة العذاب بالنار الرهيب. . .
«سأجلب البكاء وسيتم الدفن؛ هذا ما سأفعله بمن اختارته جماعة
«الايليم. . . . . .
لو كانت شكواه في طرف الأرض، بعل سيمزِّقها.
بعل سيمزِّق طيور الأنين، لأنه تفوّه باللعنة.
بقدمه سيمزِّق أكبادها، وسيسعده ذلك.
ـ لا خراب هناك، ما لم يتواجد الشجر الذي يحمل العلاج؛
لكن القوة الحياتية ولو كانت في طرف الأرض، إن بعل سيراها:
بعل سيرى الطيور، وشكوى الأرض.
ـ ستهلكون وسيقضى عليكم، فيما إذا رفع بصره. ـ
حلَّقت الطيور. وبقيت وحيدة مثل الأم السجينة، الحزينة.
إذا حملت الطيور الشفاء والقوة الحياتية. بالنهاية
سيمزِّقها بعل، بعل سيمزِّق الطيور.
إنّه لعن بلؤم: «تحت قدمي سأسحق
«الكبد، وستُسعدني آلام النار. بواسطة النار المرعبة
«سأجعل الشجر يبكي، وليدفن،
«من اختارته جماعة الإيليم، سوف اضطهده». ـ من فمها لم تخرج
صرخة (توسُّل؟)
ولا من شفتيها شكوى. في نهاية الشؤم
بعل، مزَّق الطيور. بلؤم، أطلق اللعنة: ـ بقدمه سيسحق
كبده، وسيُسعده ذلك.
بنار الرُعب، بالنار، ـ سيُحْرَقون.
وأقاهات، قرب. . . ستبكي وتقوم بالدفن.

بين الآهات، والجزع والعويل، ستَدْفن . . .
وإذا جاؤا بالشفاء وبالقوة الحياتية على أجنحة الكواسر
بعل يمزّقها، بعلٰ كان سيمزّق الطيور.
ـ «سوف تحلّقنَ فوق قبر ولدي، وأنتنّ تتأوّهنَ،
«ستعبّرن عن الشكوى باستبعاد الصرخة . . .»
ـ الملك ظمآن: اذهبوا لجلب الماء، لأن . . .
ـ ابتعدي، أقاهات، عن بيت إيل، ولسوف أحدِّد العون
«هل تهرّبت عناة من مخلوقاتها؟ هل أدارت وجهها . . . ؟
«أطلق ما تخفيه عني، اثن يده،
«تلك التي تقيم على الكآبة، ادفع بها إلى النور
«ليجلبوا الشفاء والقوة الحياتية إلى تلك التي تسير وسط الكآبة؛
«ادفع بها إلى البهجة، فتقوم أقاهات الجريحة بتقديم القرابين إليك.
«بادر لمساعدة سَليلِك، واحنو على تلك التي تنتحب؛
«اجعل رأس ابنك يضيء؛ إنّها تتوجه وحيدة إليك.
«هل تهرّبت عناة من مخلوقاتها؟
«عناة، شقّي الزمن، أطلقي ما يخفون عنّي، اثن يده!
«فليتوقّف المحزون، قرب مدينة الأحزان.
«إلى المدينة سيأتون بالشفاء،
«ولتذهب القوة الحياتية إلى مدينة الأحزان.
«وهكذا ستقدِّم لك الذبائح، أقاهات الجريحة ـ وقد تلقّت العون.
«ستلقي غشاوة تشبه العمى على عيني بعل
«فيغضّ الطّرف. ـ عناة، شقّي الزمن!
«اطلقي ما يخفونه عني، اثن يده
«وليسترح دانيل في بيته، فليتمّ ذلك.
«ليعد دانيل إلى قصره، في المساء القادم

«إلى قصره، بينَ الذين يبكونه في الساحات . . .
«اسقطي عنه الجراح ؛ ـ هذه هي دموع أقاهات . »
المَدَد، ـ قالت والدموع تملأ عينيها ـ لقَرين الحبّ، دانيل .
مات، العملاق . خلال أيام، خلال شهور
خلال شهور، خلال سنين، ستسيل
ملأى بالحقد، دموع أقاهات .
ـ المَدَد، قالت وهي تبكي، لقَرين الحبّ،
لدانيل، العملاق الميت . ملأى
بالحقد . بدأت . . . . العملاق،
«سيظلّ ؛ ـ المَدَد . . .
«شفاء وقوة حياتيّة . . .
«كما يجب، في قصري، في قصر تلك التي تبكيه .
«في رحبتي . اسقطي عنه الجراح، وا . . .
ـ «تجربة الآلهة، التي أحملها لكي أتذكّر،
«في السماوات، إن ذكرى زوجي . . .
«في الآلام . . .
« . . . تفهم . . .
«حكمة . ؟ . . . . » ـ » . . .
«وتجيب بزفرة تحرّك المياه .
«لا بد لنا من الطاعة أمام تجارب الآلهة» .
ـ «ما حمّلوني، ما تحمّلت، فليتذكروه في المساء .
«ذكرى زوجي، ألم الآلام .
«من أجل أن تباركي، إليك البركات ؛
«لكي تحزني، ـ إليكِ الكآبة !
«سوف أجرح أخي جراحاً . . .

«سأقتل مراقبة عبيدي. ـ أجابت عناة:
« «. . . من لوحته، الأرواح. . . . . . .
«عند يعظة المياه، بعيداً عن العاصفة.
«تحميه المعرفة، يسير متألماً، آلاماً. . .
«الحقيقة لا تمحي، إذا أجرحت أخاكِ جراحاً،
«وإذا قتلت رئيسة عبيدك قتلاً.
«الخوف يأتي مع النهار. تخشين سِهام إيل
«وتصبحين رحيمة. حدود الصمت يغطيها البحر. . .
«مثل ثور الحقول، غائِطُه يطفو على سطح البحر.
«اكتسي بالحزن. واستعيني بالخمر.
«من يتمرد على السيف، يتعرض للموسى.
«إصعدي إذن، وارتدي الخَرق يا امرأة. . .
«جيوش الآلهة المبجَّلة تجلب نهاية الاعتداد بالنفس،
«وأنين اولئك الذين لا يمكن شفاؤهم، يلازم الأحشاء. . .
«نهاية الاعتداد بالنفس، في خشية الآلهة.
«أنين المشردين هو صراخ الأمل.
«بدون لوحته إذن، الدخول إلى حقلك. . .
«المدخل يصبح رهيباً.» ـ وتضيف عناة متنبِّئَةً:
«خذي جرة من الخمر وارتوي. . .
«قدَح واحد لا يكفي؛ خذي جرّة بيمناكِ
«ومع التنهدات، اشفي غليلكِ. . .».
ـ حاملة الجرّة بيدها، قالت للعرّافة. . .
شربت الخمر حتى ارتوت. نفذ صبرها. . .
وتجاسرت فمزَّقت صدرها بيديها. . .
ـ «المددا! ـ سوف تمزِّقين. الثيران طيِّعة. . .

«بقايا المشرَّدين . . . » .
ـ بلا قلبه ، كما في الحلم . . .
الأحلام : «اشربي خليط الخمر والألم ، اشربي . . .
وهذه هي القصة التي تروى في منزل الجالسين .

II D

(١٢ سطراً تقريباً ناقصة) .
« . . . نذَروا للإيليم ، مقاتلون
« . . . ابن قدّيس ، بيده
« . . . لكي ينام في مكان قريب
« . . . ؟ طلع الصبح
« . . . إيليم دانيل
« . . . المقاتلون المنذَرون .
« . . . ابن قدّيس ، ثلاثة ، اربعة أيام ،
« . . . إيليم دانيل ، المنذَر
« . . . محاربون منذَرون ، يصعد إلى السماء ، وبيد ابن .
« . . . خمسة ، ستة ، سبعة أيام : إنّه منذَر
« . . . دانيل ، الذي نُذَر للإيليم من بين المقاتلين
« . . . ولتقدَّم الذبيحة إلى السماء بيد ابنٍ قدّيس . »
. . . نحو إيل ، ارتفعت يدها بالضحيّة ، ثم ذهبت لتنام .
قضت الليل وهي تحمل حليتها . انهارت منذ سبهة أيام ،
اقترب بعل إلى المسكن المقبَّب ، الذي يسوده البؤس :
«إلى دانيل ، الميت ، العملاق ، سأنقل المَدَد . »
ـ «مات زوجي ، وليس له ولد

«مثل أبيه، ليس له ولد مثل تلك التي انجبته.
«ليس له ولد مثل ذلك الذي كوّنه، ليس له ولد
«مثل تلك التي حملته. ـ أيّها المُنذَرون للإيليم، المقاتلون
«المنذرون، فلتُقدِّم إلى السماء ذبيحة من أجل إبنٍ مقدَّس
«يستطيع مباركة إيل، أمير أبي.»
بكل جوارحها تتضرّع، من أجل أن تأتي بولد إلى هذا العالم؛
وبقلبها أخذت تداعب ابنَها، فلذة كبدها.
ـ تم تشييد قصره ليكون معبداً لإيلياب.
هذه شريعة شعبه: على مَن يغادر منزله، إلى بلاد غريبة،
أن يحتفظ بحفنة من تراب المنزل، تقيه من الخوف والرعب.
والذي يعمل وهو يتضجّر، يحتقرونه، ينبذونه.
ـ لقد تمكّنوا من يده، وهو في حالة سكر، وسيطروا عليه؛
بعد سبعٍ من الخمر (أو ارتوائه من الخمر) ـ قصُّوا شعره في معبد بعل
. . .؟ . . . معبد إيل، لكي يغطّي سطحه البحر،
غطسة الاحتقار، ـ لنثره في البحر المدمِّر،
. . . وإيل سيبارك عبده.
مات دانيل، العملاق؛ وأصبح المَدَد مريراً.
«لتعُد روح زوجي إلى الحياة. دانيل
«. . . حامل الحكمة، سيُعين الميت، زوجي.»
ـ . . . امّحت الشكوى. صعدت لفراشها.
. . . كم مرة كان يقبل زوجته،
. . . عندما كان يعانقها، بحرارة شديدة.
. . . كذلك متعة الحرارة.
. . . وتداعب ابنها،
. . . في قلبها. ـ قصره

. . . معبداً لإيلياب.
. . . من يغادِر،
. . . يحتفظ، لكي يقيه
. . .؟ . . .؟.

(نقص في النص)

. . . . . .
من التراب. . .
من الرعب. قد يحتقرونك. . ؟. . .
«بغية تحطيمك، قصّوا شعرك في معبد بعل. . .
«هيكل إيل. تمكّنوا من يدك وأنت مخموراً
«وسيطروا عليك، بعد سبعٍ من الخمر. . .
«سقفك، باحتقار، يُلقى في البحر،
«تنثُره في البحرِ المدمِّر.» ـ في ذروة حزنها
تنفرج أساريرها وتنسحب إلى زاوية في غرفتها.
«سينتزع نفسه من الفراش ويضحك؛
«يلقي قدمه على المنضدة، ويصدر حكماً؛ ثم يأتي
«الشفاء وتأتي القوة الحياتيّة. ـ عُد إلينا، أتوسل إليك:
«فأنعم بالهدوء، وتهدأ بدورك على صدري.
«يستريح كالطفل؛ ـ سوف يكون لي ولد، مثل الذي انجبني
«ومثل تلك التي حملتني.»
ـ ، سوف أشيّد معبداً لإيلياب.
، هذه هي شريعة شعبي، أن أحمل حفنة تراب لحمايتي
، من الرعب. أُصبح منبوذاً ومحتقراً،
، إن كنت من يعمل وهو يتضجَّر ـ سيطروا على يدي إذ
، كنت مخموراً، سيطروا علي، بعد سبعٍ من الخمر؛

، قصّوا شعري في معبد بعل . . .
، ؟ . . . هيكل إيل، يغطّي سطحه البحر، وباحتقار
، ألقيه وأبعثره في البحر المدمِّر،
«دانيل سيستريح في منزله،
«سوف يعود دانيل إلى قصره . »
ـ عند المساء، في المنزل تأوّهات الساهرات
بنات المدائح ، الصافيات : «أدعوك يا دانيل :
«إنّك ميت، أيّها العملاق، أليس من مَدَد؟ ـ إنّك ميت
«يا زوجي . » ـ سنذبح ثوراً للساهرات .
إنّهن يحرّرن الأموات ، الساهرات ، إنّهن يُطلن
الحياة، بنات المدائح ، الصافيات .
ـ يوم، يومان وهن يحرّرن ،
الساهرات، إنّهن يُطلن الحياة، بنات المدائح ،
الصافيات؛ ثلاثة، اربعة أيام
وهنّ يحرّرن، ويُطلن الحياة، الساهرات،
بنات المدائح ، الصافيات؛ خمسة ، ستة
أيام وهنّ يحرّرن ويُطلن الحياةَ،
الساهرات، بنات المدائح ، الصافيات .
خارت قواهنّ في اليوم السابع . ارتفع العويل في المنزل
عويل الساهرات، بنات المدائح ، الصافيات .
. . . . . فراش الموت، الراحة .
فليَبخَّر بالبخور فراش الموت المريح .
سيستريح دانيل ـ يمضي الشهر،
يغطّونه . . . . . ويذهبون .
ثلاثة، اربعة . . . .

أشهر يستريح . . . . . .

(نقص في النص)

عمودان ناقصان

. . . .

. . . كتابة . . .

قربان الخمر. جامَعَ أخيراً، ومضى أسبوع
منذ اليوم الذي ظهر لك دانيل العملاق،
ميتاً. ـ ، أعددتُ مشاريع جريئة للعون؛ ـ الميت، الزوج،
نقلوه ووضعوه أمام المدخل، قرب المباني
التي في الساحة. سوف يحاكَم:
دعوى الأرملة، وحقوق اليتيم.
ـ ترفع بصرها، آلاف الشياطين
تصل محلِّقة. جيش كثيف يقوم بالحراسة.
زهلت. ثم أخذت ترشّ (بالماء) الشيطان
الذي يسير في الطليعة، وهو يحمل «الكتابة»: «أليس هناك مكان
«من اربع زوايا يظهر فيه دانيل؟
«مات العملاق، ـ ومات المَدَد أيضاً.
«زوجي، إنّه قوة حياتية لزوجته.
«اصغِ، أترك لكَ عربوناً، ادوات زينتي.
«العلم مع الخوف، بمثابة حارس للروح،
«وهو مرشد يحمل الحكمة للتائه.
«إنّ الإيليم سيحرّرون بيدٍ صامتة، اولئك الذين
«يمدِّدون الحياة. باللعنات، بالأنين سيثقلون بعل.
«قوى إيل السماويّة، هل نضجت؟ ـ إصغِ،
«ادوات زينتي، اتركها لك، عربوناً. العلمَ مع الخوف

«حارس للروح، ومرشد
«يحمل الحكمة.» ـ المدمِّر بصمت؛
يده تتردَّد. ـ «استرح أيها الحارس
«أيّها الدليل، إبتَكِر المدائح لدانيل،
«من أجل أن تُستَبعد لوحة بركته.
«بالنهاية، سوف أظهر لك لاسترداد عربوني، زينتي.
«الإيليم سوف يحرّرون، سوف يمدِّدون الحياة؛
«سيلعنون ويثقلون بالأنين، بعل.
«قوى إيل السماويّة هل نضجت؟ ـ سَل، أيّها الحارس
«سَل عنه المحتَقَرين، قبل أن تبعد الدَّمار.
«لا بد من تملُّقِه: ـ إنّي أظهر إليك، أيّها العملاق
«الميت، دانيل؛ لكنّ العون مات أيضاً.
«زوجي، ـ اللوحة؟...
«تأثّر بقول أقاهات، لأن......»...
ـ هل أفلتوا، اولئك الذين كانوا يكيدون لك المكائد؟....
هل أفلتوا، اولئك الذين كانوا يكيدون لك المكائد؟....
ـ الفراش في قصره.......
(تشويه في النص)
(اربعة أسطر لم يبق منها إلا بعض الشارات)
... الخمر في كأس...
... مثل الوَهَن على القَذال.
... يوم، وتصعَد فتتسلّم،
... التدمير الذي أصاب الحبيسة.
... الزواج البائس يتقدم.
... يرفع بصره، وتصل محلِّقة

. . . ثقته. مثل البرق
. . . ؟ . . . ؟ الهاوية، البرق.
. . . كان قد تم تشييده. «الكتابة» في منزله
. . . ؟ أصبح بارداً، كأنّه في حلم.
. . . ألقت بمخدَّة على الأرض، هبة الموت.
«. . . ، عُد إلى الحياة، واصغِ إلى الأحشاء،
«. . . ؟ . الفضّة، وأنت؟ . . . ،
«. . . ؟ . . . ؟ . كتابة . . .
«. . . زوجتك سوف يزوِّجونها كخليلة غريبة وفق شريعة زواج السِّلْفَة.»
وأخذت أقاهات تقول: «إنّ العون أروع مكافأة،
«يا لروعة لبنان ، والماعز يرعى بين الظبى؛
«يا لروعة لمعان قرونها، بين الوعول الذكيَّة.
«إنها تسير في خط المحراث، مثلما يسير الثور الجميل تحت نير إيل، مندفعة.
«اسمحي إذن للحارس ـ الدليل أن ينظر في لوحتنا نحن.
إنّها نهاية الأزمان، أن تتزوج كخليلة غريبة.» ـ وتكلَّمت العذراء:
ـ «إن عناة تزوج الأحياء؛ ليس هناك، أقاهات من عون.
«إنّها تزوج الأحياء، وإصرارُك لا فائدة منه.
«وإن أنا منحتك القدرة، سيقطِّعني بعل إرباً.
«كراهية الدنيا تكمن في معرفة إيل. ـ سوف تعدِّدين الأشهر
«غير أن بعل سيهلك. أقول لك وأصرِّح بأنه سوف
«يهلك. تمرُّده سيقضي عليه، سيحرقه، وسيناله العقاب.
«أخبار سارّة . . . ؟ وتذكري دوماً تصريحاتي.»
. . . . . . أجابت أقاهات: «العون،

«إنّك لا تَجْدُليه. بكارتك خرساء، (أو صمّاء) للعون.
«إن ما تجدلينه، يأخذه الموت،
«مثل كل من يتمسك به الموت. أما الحي فيتجرع كوب الوحل.
«. ؟. محدَّد. إني أنهار من شدة الأسى.
«. ؟. الحقيقة كلُّها؛ وهم، في الحقيقة لم يموتوا.
«سوف أقيم الصلوات (أو: أبعث الصراخ). الكتابة
«... يرتمي فوقه. ـ أما تلك التي سوف تنجب، فأنك جعلتها غير قابلة للشفاء.»
... تضحك عناة، وبقلب سليم
... ؟ «ليس هناك، أقاهات، من عون ـ عودي إليّ وسيري
«لكي القاكِ في طريق الخطيئة،
«في طريق العجرفة. سأرجُمَك تحت
«....، ... جميل، من الأعماق إلى القمة.
«... وشريعة البلاد هي سبب تعاستك،
«... وقرب إيل ستعرفين المسرّات.
«... الهوّة ستكشف تماماً، وصدر إيل
«... الملك. كوني مطيعة لاولئك الذين يحقدون،
«... انحني بسرعة وبأصول،
«... ؟ أقاهات، العون.
«... مات دانيل، العملاق، تجيبين:
«... وسيعود إلى الحياة.» ـ الأغنية المأساوية
... أقاهات.......

(تشويه في النص)

ملحوظه: ...... أحجار كريمة.

III D

(نقص يقارب العشرين سطراً)

. . . سوف يحطِّم . . .
. . . الرُقَى، الصِّفير . . .
. . . العذارء عناة، من أجل أن تُتمِّم . . .
. . . ؟ . العذراء عناة . . .
بتنبؤاتها، سريعاً . . .
ويعود إلى الحياة . لتبق، لتتكهَّن . . .
من مدينة الآلام، الآلام . . .
كيف يمكن شتم القمر المتجدِّد . . .
والبرق في يمينها، والأذى . . .
هبطت (من علٍ) . أخذت تقول: «تكهَّن إذن . . .
أخبار العذراء عناة . أنتِ، عناة
تعملين على تحطيمه، آخر أيامه . » ـ الألم . . .
من أجل العون الجميل، تشرب شراباً يحرِّر، و . . .
حبلى، في الثديين؛ والطفل . . .
وسُمِعَت العذراء عناة، وقد عادت تتكهن و . . . :
«أما أنتِ، فستكونين حبيسة شِباكي .
«مثل الطير، يا ابنة سُهدي، أقاهات . . .
«من أجل إطعامه؛ وابن دانيل، ستجعلين منه «ساراً» .
«ستحلّق الكواسر فوقه، منعاً للدمار . . .
«فراخ الكواسر الرهيبة، سأجعلها تحلق فوقه . . .
«أقاهات، لقد ابتعد عنكِ النوم حتى الآن . غيوم ثلاثة
«هبطت على سعادتك . ـ ونهايتك، يا لها من نهاية مدهشة:

«سوف تهدئين كما يهدأ عصير العنب قبل أن تخرج منه البركة، مثل
«نفحة روحه، مثل شجرة الطَّرفاء، حاملة الحكمة. مثل البخار
«في أنفه، وجموحُه وحده هو ما سأُكافحه.»
ـ من أجل أن تستمر بالتكهن، تشربين بسرعة
شرَاباً. ـ مثل الحبيسة في شباكها، مثل الطير،
أقاهات، ابنة سُهادها، تبقى لتربية وتغذية
ابن دانيل، لرفعه إلى مستوى «السارات». أيتها الكواسر
ستحلِّقين فوقه، منعاً للدمار؛ طيور...،
أيتها الكواسر، عناة هي التي تجعلكِ تحلقين على...
لا تعرف النوم. غيوم ثلاثة، انقضَّت
على سعادتها...
مُدهِش هدوؤها؛ مثل...
مستخرجة؛ مثل نفحة الروح...
تحمل حكمتها. مثل البخار...
ـ سكتت عناة، فاستحثَّتها...
«أقاهات، ستبكين وتبكين...»
ـ سوف أُنجب، سأناضل وأرفع...» ـ
«آخر أيامكِ، أنتِ...
«والمتاعب...
(٢ ـ ٤ اعمدة، ناقصة)
(١١ سطراً لم يبق منها إلا اليسير):
«... من الأحشاء و...
«أقاهات، ستنجبين طفلاً...
«ولسوف تغنيكِ يد العذراء عناة.»
وأخذ إله الجدود، يتنبأ:

«معرفتكِ جلبت الحزن لبيتك، و. . .
«أصوات مَن تسأليهم، تدنّس البيت . . .
«أسرعي، لأن النار عندما تتكاثف، ستشربين . . .
«عشبَكِ سوف يخضّر اخضراراً؛ وعندما تدهمك غدراً. . .
«العذراء عناة لن تُدِر وجهها لمصابكِ
«وتتلقّى أقاهات المَدَد، على طريقة ثور الحقول.
«. . . وستضحك العذراء عناة.
- . . . ويعود إلى الحياة. اصغي. . .
«. . . أنتِ، وانتحبي إذن. . .
«. . . سبع من اقاربك الأقربين. . . .»
- . . . «سأناضل، رغم صدِّ أبي. . . »
-. . . ؟ ستذهب. ؟. . . .
. . . . . . الموت؟. . . .
. . . . . . سوف اعلِّمك. . . . . . .
. . . . . . مدينة الآلام. . . . . . .
. . . ؟ لأنّه بين الكبيرات. . . . . . .

(نقص في النص)

يعتقد أن اللوحات الثلاثة المبتورة والمترجمة هنا، كانت ضمن مجموعة من سبعـة أناشيد. وتشير ملحوظة هامشية، (اللوحة ID) إلى أن «هذه القصة تروي للجالسين في بيوتهم». هذا التعبير يذكرنا بعادة معروفة لدى اليهود «الدين يبقون جالسين في البيت» خلال اسبوع الحزن. ونصنا واضح: إن مجموعة أقاهات كانت تنشد للمحزونين؛ خاصة خلال اسبوع السهر على الميت.

القصة تشكل اطاراً للتعبير عن نظريات فلسفية، عن نظريات حول عالم آخر: - إليكم رواية هذه القصة كما نتصورها، رغم ما طرأ على النص من تشويه.

يبدو أن اسطورة دانيل كانت معروفة في رأس شمرا. هذه الاسطورة لم تصلنا

إلا من خلال ما نعرفه عن شعر أقاهات، ومن تلميحات نعثر عليها في العهد القديم، مما يمكننا من اعادة تشكيل بعض خطوطها. يُعتقد أن دانيل، ابن احد صغار الملوك الكنعانيين، كان قد نُذر، منذ الطفولة إلى الاله إيل. كان له أخاً يكبره سناً. غادر دانيل منزل العائلة مزوداً بكيس صغير يحتوي على شيء من تراب (اورما) المنزل. وكان يفرض عليه النذر، أن يناضل على الدوام من أجل الهه دون أي ملل، كما كان عليه الامتناع عن شرب الخمر، وعن قص شعره الخ . . . تزوج من أقاهات، وهي فتاة من صور أو من صيدا، وكانت من عبدة العذراء عناة المتشددين (تعتبر نفسها ابنتها). التحقت أقاهات بزوجها، واستقرا في منطقة قريبة نسبياً من «مملكة» أبيه، أي انها بعيدة عن مسقط رأس أقاهات. عناة هي التي عقدت هذا الزواج بين أقاهات وهذا الشاب الفارع القامة الذي ينتمي إلى شعب آخر، له معتقدات تختلف عن معتقدات أهلها. أحبت أقاهات زوجها حباً جماً. أحبت هذا الجسم المنتصب وكأنه صُنع من قلب السنديان؛ أحبت هذه القبضة القوية التي تشبه قيثارة (ربابة) من حجر، أوتارها الأنامل؛ أحبت هذا الفم ذي الاسنان المنتظمة، اللامعة.

وشيد دانيل داراً، قصراً صغيراً؛ وخطط أن يقيم في ساحته هيكلاً لايل، يتردد إليه ابناء دينه، الالياييون. سرعان ما صدر الأمر إلى دانيل بتدمير هيكل لبعل كان يتواجد على شاطىء البحر. كان عليه أن يحطم سقف الهيكل ويرمي به معبثراً في البحر، ثم يقيم مكانه هيكلاً لايل. قَبل المهمة دون تردد.

علمت أقاهات بالنبأ فذهلت. أوصاها دانيل خيراً بـ «كتابة» ما (روحه ترتبط بها؟) وذَهب. ورد نبأ مقتل زوجها في قتال غير متكافىء. بانتظار وصول الجثمان، أقاهات تصدر الأوامر: توضع الجثة في باحة الدار، تحت الافريز؛ ـ حيث تتم محاكمة الميت. . . رأت، فجأة، الطيور تحلق فتذكرت سبب نشاطها؛ جفت حنجرتها وانهارت مستسلمة لحزن الأرملة. مزقت ثيابها، وارتدت ثوب الحزن. أخذت تعدو نحو منزل حميها. الروابط التي تربطها بهذه العائلة قد انقطعت الآن؛ ولكن لا بد لها من المشاركة في أحزان أب فقد ولده. وصلت باكية يكدها العرق

والفم، ثم صاحت في وجـه الأب: «مـات دانيل». لا فائـدة ترجى من علاج الاطباء، لأن الميت دخل الظلام. ولكن هذا الاله المعبود إيل، ألا يستطيع الاتيان بمعجزة: لا بد من الرجوع إليه ـ قد يكون باستطاعته انقاذ دانيل.

اكفهر وجه الأب وهو الذي كان في العادة منبسط الأسارير. بعل نفسه لا يستـطيع ايقـاف الـدمـوع، وإزالـة غشاء الألم الذي حل بأب سيبكي ابنه سبع سنوات. إرتفع النحيب من كل مكان؛ بدأت أقاهات تشعر بأنها غريبة عن هذا الألم الـذي هو ألمها. شعرت إكثر فأكثر بكل ما يعنيه لها موت زوجها: ستترك كرومهـا التي كانت تتبـاهى بهـا، وكذلك أموالها. ـ كل شيء. ستواجه الكارثة وحيدة، دون أن يكـون هنـاك من يستمـع لشكـواهـا. اللعنـة؛ ـ الآلام والبؤس ينتظرانها. حموها أصبح غريباً عنها؛ سترحل قريباً إلى غير رجعة. لقد انقطعت الـروابط التي كانت تربـطهـا بهـذه العـائلة. بالطبع سوف تساعد حميها بالقيام بواجباته؛ ستصعد معه إلى «المكان المرتفع»، وتنظر من بعيد إلى البخور الذي يقدمونه في مثل هذه الحالة. يتوسل «الملك» إلى إلهه، لعله يعيد ابنه إلى الحياة؛ إيل لايزال مقتـدراً. إنـه يعرف أسراراً خفية، يمتلك س ك ل، يستطيع بواسطته التعلق بالميت واعـادتـه إلى الحياة. التقت آلام أقاهات بآلام حميها، كالحمل الذي يضاف إلى حمل، آخر؛ ـ آلام صامتة. لم تخرج شكوى من فمها. عذابها كان داخلياً: تتألم على فقد الحبيب، على حرمانها من زوجها الجميل. تجسدت آلامها حتى أصبحت تشبه الغيرة.

في السمـاء، فوق «المكـان المـرتفـع»، أخذت تحلق الكواسر. شعرت أقـاهات وكأن هذه الكواسر صبايا جئن لاختطاف حبيبها منها: خاطبتهن وكأنها لاتزال تدافع عن سعادتها. « لا تبحثن، أيتها الصبايا عن حبيبي؛ إنه لن يذهب معكن. » طبيعتها البشـوش أنستها، لحظة، المصائب الثلاثة التي انقضت عليها، كما انستها أنها أصبحت سجينة خرائب سعادتها الماضية. لكنها سرعان ما تعود إلى حزنهـا، وتسيل الدموع من عينيها. ثم أخذت تفكر، قد تكون هذه الطيور المحلقة، قد تكون حاملة للعون المنتظر؛ ـ أخذت أقاهات تشرح لهذه الطيور ما

تعرفه: هناك، بعيداً، بعيداً، في طرف العالم لجهة «الشمال الهائج»، توجد شجرة تحمل القوى الحياتية لكل البشر. وهناك أيضاً شجرة الطّرفاء التي تحمل الحكمة، والعديد من الاشجار العجيبة. فلتذهب هذه الطيور وتأتي ببعض قوة أقاهات الحياتية لكي ينتعش بها دانيل. سوف تكافىء أقاهات هذه الطيور كما يكافأ الرسل، حاملي الاخبار الطيبة. لكن الرحلة طويلة، وسوف تمر الكواسر ببلاد أقاهات، وتستريح على مقربة من بيت أهلها. لا شك أنهم سيسألون الطيور عما لديها من أخبار؛ ـ ستقول الطيور أن دانيل، العملاق، مات، وأن الفتاة أقاهات ستموت بدورها حزناً، ما لم تبادر إلّهتها العذراء عناة، لنجدتها.

. . . (نقص في النص). . . لكن «بعل» جالس على عرشه. رأى كل شيء، سمع كل شيء، وقرر منع وصول أي «عون» لأقاهات. عليها أن تدفن زوجها. عليها أن تبكي وتبكي ذلك الذي اختارته جماعة الإيليم. وإذا ذهبت الكواسر إلى طرف العالم، وعادت حاملة على اجنحتها الشفاء والقوة الحياتية، فإن بعل سيسحقها بقدميه. سيهلكها بالنار، وينظر إلى ذلك مسروراً. إن أقاهات تَعْلَم أن لكل داء دواء، وتعلم أيضاً أن هذه الطيور الضخمة تستطيع أن تجلب الدواء المألوف. ـ لكن لعنة بعل ستوقف الطيور عن تحليقها.

سبع (؟) مرات، حاولت الطيور التملص من رقابة بعل؛ لكنها خابت سبع (؟) مرات في محاولتها. ظلت أقاهات صامتة أمام انهيار آخر أمل لها؛ لم تخرج صرخة من فمها، لم تخرج شكوى من شفتيها. واقتنع الأب بدوره بأن «العون» لن يأتي من إيل، فأخذ يلعن الطيور التي لم تستطع من مساعدة ابنه. فلتستمر هذه الطيور بالدوران فوق ضريح دانيل معبرة بصوتها الأجش عن ألم الأب وكراهيته لبعل. جفت حنجرة الأب، وكان لا بد من اسعافه بالماء. تطوعت أقاهات للنزول إلى البئر. تصورت أنها، إذا ما غادرت هذه الأماكن الجافة، يمكن أن تظهر لها عناة. بالفعل، التقت أقاهات بإلّهتها قرب البئر. عندئذ، زال الصمت عن شفتيها، وانبعثت صلاة عميقة عن قلبها. «هل تخلت عناة عن مخلوقاتها؟» ـ إنها ستوقف يد بعل وتحل البهجة محل الحزن، ويعود دانيل إلى الحياة.

على أبواب مدينة الراحة الأبدية، تعرف عناة كيف تتمسك بمن أصبح على وشك دخولها. سيصاب بعل بالعمى والبلادة، ولن يرى العون الذي يصدر عن عناة. ـ وتستمر الصلاة لكنها تأخذ شكلاً جديداً؛ إنها امرأة تخاطب امرأة أخرى: ـ دانيل يمثل كل معاني الحب بالنسبة لأقاهات، وهي تود أن تراه في قصره، هذا المساء بالذات، يجب أن تتساقط عنه الجراح كما تتساقطط الأوراق اليابسة عن الشجر! ـ تنظر أقاهات الى هذا الجسم المشوه فيستولي عليها الألم من جديد. تبكي غيظاً وحقداً على من أساؤا لزوجها. ـ تبكي سوء طالعها وتثور فتشتم الآلهة. السماء نفسها يجب أن تحافظ على ذكرى آلام أقاهات! هل الألهة معدومة الشعور؟ عناة تستجيب للدعاء، ولكن كيف يمكن إقناعها بمشاركة أقاهات أحزانها؟ هل يتوجب على أقاهات أن تقتل أخاها بالذات؟ أم هل يترتب عليها من أجل ذلك، أن تقضي على رئيسة خادماتها؟

تجيب عناة: إن اللوحة التي نقشت عليها حياة دانيل، وضعتها الآلهة تحت المياه العريقة، بعيداً عن آلام هذا العالم، ولا يمكن لأحد أن يعرف مضمونها. لم يتغير الأمر، إذا قامت أقاهات بجرح أخيها أو قتل خادمتها. كل ما تحصده هو الخوف والنوم. إذا كانت تريد أن تصبح انسانة حقاً، فعليها تمجيد إيل وأسهمه الجارحة. مملكة الأموات، بلاد الصمت، يغطيها البحر؛ يستولي النسيان على كل شيء ماعدا الأعمال السيئة؛ فإنها تطفو مثلما يطفو غيط الثيران على سطح البحر. لا يجوز التمرد على عدالة الآلهة: أولئك الذين لا يرضخون للعدالة بالسيف، يتم تقطيعهم بالموسى. لابد لأقاهات من الخضوع والتسليم. يجب أن تعود وترتدي الملابس التي مزقتها عندما علمت كيف أن الآلهة تنقل الى البشر نهاية اعتدادهم بالنفس. إن التأوهات، صديقة القلب، هي صلوات الأمل؛ غير انه ليس هناك من أمل برؤية دانيل من جديد. أما إذا عاد، دون لوحته فستحل كارثة، من الأفضل عدم ذكر نتائجها. على أقاهات البحث عن السلوى في الخمر. عليها شرب كيلة منه، وعدم الاكتفاء بكأس واحد.

شربت أقاهات، لكن السلوان لم يأت. ازداد حنقها، على العكس وفكرت

بتمـزيق صدرها. ـ لماذا تؤذين نفسك؟ قالت لها الإلهة، ـ سوف يؤذيك الغير. لا تنسي أنك غريبة في هذه الديار، وعلى الثيران أن تكون طيّعة تحت النير. ارتدي ملابسك الممزقة، . . . ثم سمعت أقاهات ربّتها آخر الأمر، تقول وكأنها في حلم وكأنها فقدت قلبها: ـ اشربي خليط الحزن والخمر.

(اللوحة IID ، على الأغلب، تابعة للوحـة أو لوحتين لم يتم العثور عليهما. كما وأن بداية IID نفسها مبتورة.)

نجد الآن أقاهات في منزلها. جسد دانيل ممدد في الباحة، تحت الافريز. الساهرات (النادبات) حضرن، وتمت الطقوس المعتادة. في المساء، كالعادة، يرتفع الأنين رتيباً، ورائحة البخور تنتشر في البيت. ذلك أن الموت لا يصبح نهائياً إلّا بعـد مضي اسبـوع؛ هناك حياة كامنة تستمر مع نواح النادبات، وهنّ يتغنين بحسنات الميت ويمتدحن قوى جهنم (IID) . في اليوم السابع، يصدر الحكم على الميت. وعلى أقاهات، أن تتحمل طيلة أسبوع آلام هذه الطقوس الجنائزية.

كان لا بد من إطعام الوافدين فذبحت ثورا. ثم ذهبت فنامت في زاوية من غرفتها وبذلك تفسح المجال لمنامة النادبات.

قضت أقاهات ذلك الأسبوع متوسلة الى آلهة دانيل، هذه الآلهة التي دافع عنها ومات من أجلها. لم يترك دانيل ولداً يستطيع القيام بتقديم القرابين المعتادة. عادت أقاهات وتزينت بحليّها، فوق ثياب الحزن؛ ذلك انها لم تفقد الأمل بعودة دانيل، وهي تريد أت تكون جميلة عندما يعود. هذا الأمل في العودة تطور في ذهنها فأخذ شكلاً جديداً. العادة تقضي بأن ينتظروا الأرملة شهراً كاملاً بعد مضي أسبوع الأحزان، وذلك بقصد معرفة ما إذا كانت حاملاً فتصبح أماً بعد وفاة الأب. تعلقت أقـاهـات بهذا الأمل وتوقعت المعجزة (أشعيا ٩/١٦؛ ١٠/٢). تتوسل أقاهات مستنجدة «بإيل»، لكن بعل هو الذي يظهر لها. ما الذي يدفع هذا الإله الضار لتقديم العون؟ إنها لا تصدقه. طالما وأن دانيل لم يترك بعده ولداً، طالما وأنـه لم يؤسس سلالة مثل أبويه فإن ذلك يعني انه مات نهائياً. ـ هذا أمر فظيع ويترتب على الايليم أن يعوضوا أقاهات عن خسارة زوجها. استقرت هذه الفكرة

في ذهنها، فأصبحت فكرة ثابتة. أخذت تصيح وتطالب بولد ـ أخذت تتصور نفسها أماً فتكلم طفلها، وتداعبه، وتحنو عليه. سيترعرع متشبهاً بأبيه، سوف تكرر له كلما تعلمته من دانيل عن عادات بلاده. ستحدثه عن مشروع دانيل ببناء هيكل لأبناء دينه، الاليابيين؛ ستشرح له كيف يترتب على المنذور أن يحمل معه كيساً صغيراً يحتوي على حفنة من تراب المنزل، عند رحيله. ستحدثه عن الطاعة العمياء، التي هي مصدر قوة المقاتلين المنذورين. ستعلمه كيف يحتقرون ذلك الذي يتضجر عند صدور الأوامر. ستروي له كيف ذهب دانيل وحيداً لهدم هيكل «بعل»، مشيرة الى انه خالف التعليمات التي يلقّنها إيل للمقاتلين، فشرب الخمر. استفاد الكفّار من سكره فقصوا شعره الطويل مما أدّى الى فقدان قوته وموته. بدأت أقاهات تتحدث عن موت دانيل كأمر أصبح بعيداً. توقفت شكواها، ـ لكنها عندما يأتي المساء، وتأوي الى فراشها، تغمرها ذكرى ماضٍ سعيد، فتعيش من جديد لحظات السعادة التي قضتها مع زوجها، فتعود الى فكرتها الثابتة: الابن الذي لم يتكوّن.

(نقص في النص)

. . . في تلك الأمسية، شعرت أقاهات، لسبب غامض، بالحبور يملأ صدرها. أخذت تشعر بأن إيل بدأ يهتم بأمرها، لأنه «سينتزع» نفسه من مَحْمَلِه فيضع قدمه على المنضدة، ويصدر حكماً إيجابياً. إنها تعلم أن دانيل سيحاكم في ذلك اليوم، فأخذت تقنع نفسها بأنه «سيشفى» ويعود الى الحياة. نعم، سيعود وسوف تسند رأسه على صدرها ويهدأ، ومعه سيهدأ ويزول قلقها. لا حاجة بها لولد! سيكون هو ولدها المدلل. سيحدثها عن تقاليد بلاده، عن مشاريعه. أما إذا عاد وفكر بمغامرة جديدة، فإنها ستعرف كيف تحول دون ذلك هذه المرة. تسمع صراخاً مؤلماً في المنزل. انتهى اسبوع السهر على الميت. كل ما قامت به النائحات انتهى الى لا شيء. مات دانيل نهائياً. سيقدمون البخور ثم ينقلونه الى القبر. يتم الدفن ثم يذهب كل انسان في سبيله، وتبقى أقاهات وحيدة تعدّد أيام شهر الحزن.

(عمودان ناقصان هنا: الأرجح انهما يشكلان جزءاً هاماً بحكم وجودهما في وسط النص. يبدو ان اعجوبة ما قد حصلت وأن دانيل عاد الى أقاهات وحدثها عن مقر الأموات).

. . . أخيراً جامعها في نهاية اسبوع حزنها. فوجئت بمئات الشياطين يأتون محلقين أمواجاً متقاربة. أحاطوا بالمنزل إحاطة جيش محاصِر. علمت أقاهات ان مشاريعها وأمانيها بلغت حد النهاية. سيعود جثمان زوجها الى باحة الدار من جديد، ـ ولكنها تعلم هذه المرة ان محاكمتها كأرملة ستتم على أساس حق الطفل اليتيم الذي ستلده.

لم يستول الرعب على أقاهات عندما شاهدت الشياطين. رشّت مرشد الموتى (بالماء؟) وهو الذي كان يحمل لوحة زوجها. قدمت الضيافة لحارس الموتى وكلمته، ـ هل من المعقول ألّا ترى دانيل، ألّا تختلي به بعد الآن؟ وإلى الأبد؟ لا أمل لها بالحياة بعد موت زوجها؛ ستموت بدورها لأن الزوج هو القوة الحياتية لزوجته. تعرض على حارس الأموات أن تتنازل له عن كل ما تملك لقاء احتفاظها بدانيل. ليأخذ حليّها مقابل التخلي عن زوجها. ستحرس بنفسها هذا الزوج، لأنها أصبحت تدرك أن الخوف يدفعها لحراسة الروح بتصميم أكبر من حراسة حارس الأموات لها. أليس ان هذا الخوف هو المرشد الذي لا يقل قدرة عن مرشد الأموات، لإعطاء الحكمة لمن ينتابه الشك؟ ـ على الآلهة مد يد الغفران وإطالة حياة دانيل. إذا كان لايزاب للإيليم قوة سماوية، فإنهم سوف ينتقمون من «بعل» ويلعنونه. عادت أقاهات مع ذلك وجددت عرضها. تردد حارس الوتى بالاجابة، فدعته للجلوس والاستراحة. إذا وافق على تسليمها اللوحة التي تحمل بركة دانيل، فإنها ستتنازل له عن حليّها، عربوناً؛ على انها تتعهد بإعادة اللوحة اليه بنفسها عند النهاية. ولماذا لا يكون حارس الموتى إيجابياً بالنسبة لأقاهات؟ إنه يستطيع، نظراً لمعرفته بالقوى الجهنمية، أن يمتدح دانيل لديها ويساعد بذلك على تأخير نهايته، أكثر مما تستطيعه النادبات: تخاطب زوجها وتصفه بأوصاف رقيقة شتى . . .

(نقص في النص).

. . . لم يقترن إلحاح أقاهات بنتيجة ما، فعادت الى الخمر تستعين به للتغلب على وهن أثقل قذال رأسها. الخمر وحده يستطيع الآن أن يساعدها في محنتها، أن ينسيها حظها التعيس. ذلك انها، وفق التقليد السائد، ستتزوج من أخ زوجها، وتعيش معه كما تعيش الخليلة الغريبة. تم كل شيء بسرعة البرق، وفي لحظة أصبح دانيل بارد الملمس من جديد. لم تجدِ عروضها لمرشد الموتى. كل ما استطاعت الحصول عليه يتلخص في انهم سمحوا لها بتقديم هبة لزوجها، عبارة عن مخدة. أصبحت الآن وحيدة مع دانيل، دانيل الذي سيرتجف هولاً، فيما إذا استطاع رؤيتها من العالم الآخر، ـ سيرتجف عندما يرى ان زوجته أصبحت خليلة أخيه، تكاد أن تكون خادمته. استولى التفكير العميق على أقاهات حتى انها لم تشعر بوصول ربّتها. أخذت تخاطب نفسها بمرارة: انه جميل حقاً، هذا العون الذي تقدمه الآلهة! انه يسعف الماعز، وعنز لبنان البري! ـ أما بالنسبة للبشر حتى ولو كانوا من عبدة إيل المتحمسين، فإنهم لا يلقون من الشفقة أكثر مما يلقى الثور تحت النير. أهذا هو العون؟ أيظل ذلك الشيطان الرهيب، حارس الأموات ومرشدهم، متسلطاً على البشر؟ إن الأمور تسير بسرعة، وقريباً ستصبح أقاهات الخادمة ـ الخليلة لأخي زوجها.

عند ذلك تكلمت الربة وقالت: «عناة تعقد الزواج بين الأحياء فقط». ـ وإذا أصرت أقاهات على أن تبقى زوجة للميت، فليس هنالك من يستطيع مساعدتها. عناة تقوم بعقد الزواج بين الأحياء فقط؛ وإن هي وافقت على تلبية ما تطلبه منها أقاهات، فإن بعل سيقطعها إرباً، إرباً، وهي بالتالي ليست سوى ربة صغيرة. وإيل هو الذي يعرف كل ما ينطوي عليه العالم من شرور. إن سلطان بعل يقترب من نهايته؛ سوف يقضي الغرور على بعل فينال العقاب المناسب.

انفجرت أقاهات وقالت للربة: «إنك عاجزة عن تقديم أية مساعدة، ولكن أنّى لك أن تعرفي ما تقاسيه الزوجة من آلام وأنت لاتزالين عذراء. أولئك الذين تجمعهم يدك (برباط الزوجية؟) يأتي الموت فيأخذهم، الواحد تلو الآخر مثل بقية

البشر. تجمعين زوجين، فيموت أحدهما ويتجرع الثاني كأساً من الوحل. أتلقى المصيبة تلو المصيبة دون أن تستطيعي مساعدتي ـ حتى انك لا تقولين لي ان الأموات ليسوا، بالحقيقة أمواتاً. وجهت اليك صلواتي فجعلتِني غير قابلة للشفاء، وأنا المرأة التي ستصبح أماً عن قريب.

ابتسمت عناة: ـ لتبتعد أقاهات عن دروب الخطيئة والعجرفة. لتعد الى ربّتها. إذا قست عليها شرائع البلاد، فإنها ستجد في عبادة إيل الكثير من السعادة. سيكون صدر «إيل» الصخرة التي تتمسك بها لئلا تسقط في الهاوية. إذا سيطر الحقد على أقاهات فإنها لن تستطيع أكثر من الشتم؛ أما إذا تقبلت الواقع فإن خضوعها سيقودنا الى تلقي المدد. وإذا قيل لها ان دانيل مات، فبإمكانها أن تجيب ان دانيل سيعود الى الحياة (لعلها تعني انه يعود الى الحياة لأنه أنجب).

(نهاية النص غير واضحة).

(لا يستطاع معرفة عدد اللوحات المفقودة بين IID و IIID ، علماً بأن هذه الأخيرة، [وقد لا تكون الأخيرة في المجموعة] تعرضت لتشويه كبير بحيث لم يصلنا إلا قطعتين منها، الأولى تتعلق بالمطلع والثانية تتعلق بنهاية النص).

اقترب وقت الولادة. أخذت أقاهات تتألم. مرت الشهور، ورافق كل شهر متاعبه؛ ولكن هل يلام القمر لأنه يتجدد على الدوام؟ ـ كثيراً ما كانت تذهب أفكارها الى ذلك الذي يقيم في مدينة الآلام، ولكن أفكارها الآن تمركزت حول الوليد المنتظر. يجب أن تأتي عناة وتكشف لها الستار عن مستقبل ولدها. ـ ازدادت آلام أقاهات، فتناولت شراباً يساعد الطبيعة على القيام بعملها. أخذت هي أيضاً بدورها تتهيأ للقيام بعملها الجديد كمربية. ظهرت عناة وقالت: «أقاهات، يجب أن تكوني أمّاً قبل كل شيء». ستكوني مثل أنثى الطير التي تنتظر إشارة من صغيرها لإطعامه. سوف يترعرع ولدك وسوف أجعل منه أميراً. انقضّت ثلاث غيمات على سعادتك، فهجرك النوم. لكن بقية حياتك ستكون مدهشة. عصير العنب يرقد قبل أن يصبح خمراً، وأنت كذلك فإن البركة بدأت تظهر في نفحة روحك مثلما تنبت الحكمة على شجرة الطرفاء. سوف أكتفي بمقاومة نزق الشباب الذي سيعتري

ابنك مثلما يرتفع دخان البخور الى الأنف. ـ يجب أن تستمر عناة بالتنبؤ. تسرع أقاهات فتتناول كأساً من ذلك الشراب الذي جعلها تقترب من ربها. ـ نعم، إنها ستقوم بتربية طفلها، وستجعل منه «ساراً». الطيور التي تحوم فوقه، ان عناة هي التي تبعث بها لحمايته، لإبعاد الأذى عنه. ستتحقق نبوءة الربّة؛ لكنها يجب أن تقول المزيد. تلزم عناة الصمت ثم تعود فتقول: «ستبكين وتبكين، يا أقاهات». سيأتي ابنك الى هذا العالم وتقومين بتربيته، ولكنك ستتعرضين للمتاعب قبل بلوغ النهاية...

(٢ - ٤ أعمدة ناقصة).

... يأتي إله الجدود لزيارة أقاهات. انه مستاء جداً. لماذا حاولت أقاهات كشف الستار عن المستقبل؟ إن معرفة القدر تجلب الأحزان وتدنس المنزل. ـ نعم، إن أقاهات ستلد طفلاً ترعاه عناة. على أقاهات أن تستفيد حالياً من الهدوء النسبي الذي تنعم به، لأن نيران «بعل» سوف تنصب عليها من جديد، ستشرب كأس المرارة. ما أن ترى ابنها يترعرع حتى تفاجأ بالغدر. لن تستطيع عناة مساعدتها. لن تتلقى من العون أكثر مما يتلقى الثور الذي يعمل في الحقول. عناة نفسها ستضحك لشقائها. طالما وأن أقاهات تصر على أن تعرف فلتصغ إذاً وتنتحب. سبعة من أقاربها الأقربين (سيموتون؟)... سوف يصدها أبوها، والموت ستتوالى ضرباته حولها (؟)...

(النهاية غير متوفرة)

إن هذه اللوحات الثلاثة من مجموعة أقاهات تتضمن معلومات قيّمة؛ غير انه يصعب تصنيفها. ما هي نسبة الخيال فيها، ونسبة التقاليد القديمة، وأخيراً ما هي نسبة المعطيات الحقيقية؟ كل ما تتعلمه جديد عليها وغير متوقع الى درجة، يصعب معها، في الوقت الحاضر على الأقل، تقسيم عناصر هذه النصوص الى طبقات واضحة. على أي حال يمكن القول ان العمل بمجمله يعطينا صورة، مثالية على الأرجح، عن الأعراف والمعتقدات وظروف المعيشة في الزمن الذي تم فيه تحرير هذا النص.

البلاد والسكان: لا يرد ذكر لمدينة ما في هذه النصوص، مما يجعل وضع سير الأحداث ضمن إطار معين، من الأمور العسيرة. وعلى ذلك كان لابد لنا من اللجوء الى استنطاق بعض الاشارات الواردة في النصوص رغم قلة وضوحها:

آ ـ تعبير «ر ب ي» الذي يوصف به دانيل، ترجمناه «بالعملاق» ـ وقد يعني مقاتلاً اختاره إله ما. وقد يعني أيضاً «الشافي» («يشفي» البلاد من عبادة غريبة دخلتها، (أشعيا ٦/ ١٠، ١٩/ ٢٢؛ ٥٧/ ١٨)). هذا وإن العهد القديم يتضمن الكثير من المعلومات حول العمالقة، جاءت تحت تسميات مختلفة، نختار منها:

تكوين ٦/ ٤: في زمن كان فيه جميع سكان الأرض من العمالقة، قرر يهوه القضاء على مخلوقاته، باستثناء «نوح». **نوح إذاً كان عملاقاً** ـ في هذا المقطع يحمل العمالقة تسمية «نيغيليم» (الجبابرة).

عدد ١٣/ ٢٨ ـ ٣٣: أرسل موسى مبعوثين للتعرف على بلاد كنعان، حيث شاهدوا «بني عناق»، وكانوا من العمالقة.

عدد ١٣/ ٢٢: كان «بنو عناق» يعيشون في منطقة حبرون. وهم ثلاثة فروع (عائلات): أحيمان، شيشاي، وتلماي (تثنية ١/ ٢٨).

تثنية ٢/ ٩ ـ ٢٣: كان سكان بلاد موآب وعمّون من العمالقة وكانوا يسمونهم «الإيميّون» أو «الزمزميون». وكانوا مثل «بني عناق»: طوال القامة ـ أطلق عليهم العبرانيون أيضاً، تسمية «ريفاييم» (تثنية ٩/ ٢).

تثنية ٣/ ١ ـ ١٢: في «ربّاط» من بلاد عمّون كانوا يحتفظون بسرير الملك «عُوج» (ملك باشان) الحديدي. وكان هذا الملك آخر «الرغاييم». طول السرير كان تسعة أذرع وعرضه أربعة (يشوع ١٢/ ٤).

يشوع ١١/ ٢١-٢٢: قضى يشوع على «العناقيين» بشكل عام، ولم يبق إلاّ القليل منهم في غزّة وجت وأشدود.

يشوع ١٤/ ١٢: احتل كالِب جبل حبرون حيث كان يقيم العناقيون. وكان جد العناقيين اسمه «اربع» وهو أبو عناق الذي تحدر منه الشيشاي والأحيمان والتلماي (قضاة ١/ ٢٠؛ عدد ١٣/ ٢٢؛ يشوع ١٥/ ١٣-١٤).

تكـوين ١٤/ ٥: قبـل هجـومـه على سدوم، كان «كَـدُرْلاعُـومَر» قد انتصر على «الرفائيين»، و«الزوزيين» (تثنية ٢/ ٩) و«الإيميين»؛ ويقال ان الريفائيين كانوا في بيت شان وجزرائيل في سهل الجليل.

يشوع ١٧/ ١٤-١٨: طالب أبناء يوسف بأراضٍ أوسع، فاقترح عليهم يشوع قطع أشجار الغابة والاستقرار في بلاد «الريفائيم».

الى جانب هذه المجمـوعـات، وهي كنعـانية بالتـأكيد، نجـد أن بعض الريفائيم (أخبار أول ٤/ ١٢) يتحدرون من يهوذا، كما نجد أن «رافا» (أخبار أول ٨/ ٢) كان «أصغر أبناء» بنيامين.

إذا قمنـا بمقـارنـة هذه المعلومـات ببعض المعـطيات عن شاوول وداود وجَليات، نجد أن: شاوول (من بنيامين) كان جميلاً وطويل القامة: يزيد الآخرين بطول الـرأس (صمـوئيل أول ٩/ ٢) ـ وداود (أفرامي) كان الابن الثامن و«أصغر أبنـاء» عيسـو. أخـوه البكـر كان اسمه إلياب، وكان طويل القامة (صموئيل أول ١٦/ ١٧) أيضاً.

العملاق البنياميني (صموئيل أول ١٧/ ١٤) جُليات بن جاث، كان طوله ستة أذرع وشبر واحد، تحدى شاوول. هاجمه داود وقتله (صموئيل أول ١٧/ ٢٨-٢٩) رغم معارضة أخيه إيلياب.

على ان هنـاك أيضـاً رواية مختلفـة لهـذه القصـة (صمـوئيل ثاني ٢١/ ١.٥-٢٢)، جاء فيها ان جماعة داود قتلوا، أربعة من أبناء رافا وجاث هم: يشبي بينـوف، الـذي كانت زنـة رمحـه الفولاذي تعادل ثلاثماية شاقل، وساف وجُليات وأخيراً رابعهم الذي كانت له ستة أصابع في كل من يديه ورجليه (أخبار ٢٠/ ٤-٨).

طالمـا وأن العملاق لا يلد بالضرورة عملاقاً، فإنه لا يستغرب أن يتواجد العمـالقـة في أمكنة مختلفة، وفي أزمنة مختلفة، وأن يكونوا من شعوب مختلفة أيضاً. غير اننا اذا ما عدنا الى تاريخ النص الذي بين أيدينا، نجد أن المعلومات الوحيدة حول الريفائيين، والتي يمكن الافتراض انها مزامنة لنصنا (IIIRP;VAB)،

نعثر عليها في يشوع (١٧/١٤-١٨). ـ وهي تشير الى ان مكان تواجد «العمالقة» من الريفائيين كان سهل جزرائيل ومنطقة بيت شان.

ب ـ إيلياب ودانيل كانا يقطنان نفس المنطقة. ـ إذا اعتبرنا ان الاليابيين يتفرعون عن زبيلون (عدد ١/٩؛ ٢/٣)، فإن مكان إقامتهم هذا يتوافق مع المعطيات السابقة. ويبدو أن أفرامياً «طويل القامة» (قد يكون أخاً لداود)، حمل نفس الاسم، لأنه كان عملاقاً، على الأرجح.

ج ـ هناك إشارة في النص الى هيكل لبعل، أقيم على شاطىء البحر. ـ وعلى ذلك تكون هذه الأحداث وقعت في الجهة الغربية من سهل الجليل، على مقربة من خليج عكا.

د ـ يرد ذكر الكرمة مراراً وتكراراً في نصنا، ولايزال الناس يستثمرون الكرمة على سفح جبل الكرمل.

هـ ـ كانت أقاهات صيدونية (ترعاها عناة ربة الصيدونيين). وبلادها الأصلية تقع شمالي بلد دانيل.

كل هذه المعطيات تجعلنا نعتقد ان هذه الأحداث جرت في سهل الجليل، قرب خليج عكا؛ إننا بالطبع لا نستطيع الجزم مشيرين إلى اننا لا نرى ان ذلك ينطوي على كبير أهمية. كانت تقطن البلاد مجموعات مختلفة: إلياب (وعمالقتها)، خصوم لهم يعبدون بعل، غرباء موالون، عبيد وهم أيضاً غرباء على الأرجح.

الادارة: طبقة مالكي الأرض أو «الملوك» كما كانوا يلقبون أنفسهم، كانوا بنفس الوقت يقومون بدور الكهنة.

الحالة الاجتماعية: نعود فنجد «السار» في قمة الهرم الاجتماعي. هدف الأم هو أن يصبح ابنها «ساراً» (مزامير ١٧/٤٥). العبيد ملك شخصي لأسيادهم، وللأسياد على عبيدهم حق الموت والحياة. رئيسة الخدم هي الوسيط بين السادة والعبيد. مقرّبة من سيدتها وفقدانها يسبب لهذه الأخيرة حزناً يوازي حزنها على أخ

لها. زواج السِّلفة شائع عند الاليابيين، أما الصيدونيات فيعتبرنه موازٍ للعبودية.

الجيش: يترتب على كبار الملاكين، مثل دانيل، المساهمة في الدفاع عن البلاد، وفي إنقاذها (شفائها) من تسلل عبادات غير مقبولة اليها. يقاتلون مشاة (لا يرد ذكر لعربة قتال حتى كأن استعمالها كان امتيازاً لبعل). يتشاورون حول من يختارونه لمبارزة الخصم. من يخالف مثل هذا القرار يعرض نفسه للاحتقار (IK). ليس هناك ما يشير الى أن جميع كبار الملاكين يحملون لقب «سار». عادة «نَذر» الانسان شائعة، وهي عادة غريبة. المنذور هو مقاتل في خدمة الاله ايل وجماعة الايليم. لا نعرف من أية طبقة اجتماعية كانوا يأخذونهم ولكن دانيل كان منهم. يمتنع عليهم شرب الخمر وقص شعرهم.

موارد البلاد: أراضي دانيل كانت مزدهرة. يفلحون الأرض على البقر، والمورد الرئسي هو الزراعة. للكرمة دور هام في اقتصاد البلاد. زوجة «المنذور» تعتبر ان الكرمة ملكيتها الخاصة. يستعملون تعبير مثل «تخمّر الخمرة» كأسلوب بياني للتشبيه (أيوب ١٩/٣٢). يعرفون أنواعاً مختلفة من الخمور؛ بعضها يجود فيما إذا تم تعتيقه. يستخدمون البقر للأعمال الزراعية كما يتغذون بلحمه. فيما عدا ذلك، لا يرد ذكر للماشية باستثناء الماعز الذي يشبهونه بوعل لبنان وبالماعز البري الذكي (؟). يبدو ان البلاد كانت مغطاة بالغابات. يذكرون حرائق هائلة في الغابات سببتها الصواعق فأصبحت «الأماكن العالية» جرداء. المياه كانت على مسافة بعيدة، أما الآبار فكثيراً ما تغمرها الرمال. (هذا معْ العلم أن الفعل الوارد هنا يمكن ترجمته أيضاً بتعبير «حفر بئراً»).

«الأماكن العالية» الجرداء، ورد ذكرها في العهد القديم (أشعيا ٢/١٣)، وعلى ذلك فإن لعنة نبوية ما (ميخا ١٢/٣ - نحميا ١٨/٢٦؛ ١٨/٣٣) يمكن الآن ترجمتها بشكل أفضل:

«لذلك، وبسببك، ستحرث صهيون كما تحرث الحقول، وستصبح أورشليم وكأنها رجمة من الحجارة بينما يصبح جبل الهيكل أجرد كالأماكن

العالية . »

السكن: المدخل الخارجي يؤدي الى ساحة كبيرة تحيط بها الجدران. قد يقيمون معبداً في الساحة، يستفيد منه الجوار. بعد الساحة، يصل الزائر الى باب المسكن نفسه وفوقه «افريز»، كانوا يسمونه، على ما يبدو، «انف الباب». واجهة المسكن كانت مسقوفة، على الأرجح. المسكن الرئيسي يسمونه «القصر» وكان مقسماً الى غرف لم تكن بنفس العلو. بعض هذه المساكن كان مبنياً على طريقة العقد (مقبب) ويسمونها الغرف «الفقيرة» وهي تستخدم في الظروف العادية لخزن المؤن. قد يلجأون اليها، في حالة الحزن الشديد، طلباً للوحدة. الغرفة الرئيسية أعلى من مستوى الساحة ويصعدون اليها بواسطة درج، وهي واسعة ومربعة الشكل.

الأثاث: السرير مرتفع بعض الشيء لأنهم يصعدون اليه. وهو واسع، فيجلسون عليه نهاراً. يسندون رؤوسهم على مخدة ويلتحفون للنوم. لديهم أسرّة نقالة الخ . . . يبدو انه كان للنوم المريح أهمية غير قليلة، في هذه الحضارة. كان من الصعوبة بمكان إيقاظ ربٍّ ما وجعله يجلس. المَحْمَلْ (النقالة) الذي ورد ذكره في النص، كان يستعمل، على الأرجح لأغراض الزراعة في الأيام العادية. الإله إيل له منضدة يضع قدمه عليها عند إصدار أحكامه.

آنية المائدة: يشربون الخمر والماء بنفس الكأس، الكؤوس بأحجام مختلفة، هناك أيضاً الكوز.

اللباس: يعبرون عن الحزن بتمزيق الثياب. الثياب الممزقة توضع جانباً. الارملة ترتدي لباساً معيناً في حالة الحزن. ـ العودة إلى ارتداء الملابس الممزقة دليل على الاستسلام والخضوع.

الحليّ: حلي المرأة ثروتها الرئيسية وهي من الفضة في أغلب الأحيان. «التاف» الذي يرد ذكره في النص، عبارة عن نطاق يزنر الجبهة. قد تحمل المرأة حليها ليلاً نهاراً.

الحياة العائلية :

آ ـ **الولادة**: الانجاب واجب الانسان. عدم الانجاب كارثة. بكر الاولاد يتمتع بشيء من القدسية (كادوش)، وهو الذي يؤمن استمرار تقاليد العائلة. من الغريب أن لا نرى النساء يجتمعن حول المرأة إثناء الولادة، بل تُترك وحيدة مع آلامها وهواجسها. تشرب شراباً (نقيع أو خلاصة أعشاب) يساعد الطبيعة على القيام بعملها. يشيدون بدور الأم كمربية كما يشفقون عليها لأن نومها يصبح متقطعاً. في حال فقدان الأب، تستمر بتربية الطفل إلى ان يبلغ سناً يستطيع معها التصرف كما يشاء.

ب ـ **الزواج**: الزواج الخارجي كان القاعدة على ما يبدو. يغادر الشاب منزل أبيه فيتزوج ويستقر في مكان آخر. قد تنتمي الزوجة لدين آخر. الزواج يسيره القدر. بالنسبة للصيدونيين، الربة عناة هي التي تغزل روابط الزوجية. تغادر الزوجة ذويها ولكنها تبقى مرتبطة بهم عاطفياً. تشاركهم المصيبة فتتألم لموت أخ، أو لهجر الأم من قبل الأب. الاهل يسألون المسافرين عن أخبار ابنتهم. الزوجة لا تصبح جزءاً من عائلة الزوج؛ تنقطع صلاتها بهذه العائلة عند وفاة زوجها. بالجملة نجد انه قليلاً ما يتأثر الزوجان بذويهم.

ليس هناك ما يدل أن تعدد الزوجات لم يكن معروفاً؛ إذا كان معروفاً فإنه لم يكن شائعاً. الزوجان يخلصان لبعضهما. قد تحاول بعض الصبايا اقناع زوج صديقة بمرافقتهن في نزهة (؟)، وقد تظهر الزوجة من الغيرة ما يمنع الزوج عن تلبية الطلب. الخادمة تطيع الزوجة، ويبدو ان الزوج لم يكن، في العادة، يقيم علاقات استسرارية مع الخدم من النساء. الاليابيون كانوا يمارسون الزواج جماعة (؟)؛ على أي حال، كانوا يمارسون زواج السِّلفة، فيتزوج الاخ زوجة أخيه المتوفي (تثنية ٢٥/٥). يختلف وضع الارملة التي لها ولد عن الارملة التي لا ولد لها؛ ولكنها في الحالتين تتزوج من أخ الزوج، وذلك مهما كان فارق السن. هذه العادة غير مقبولة لدى الصيدونيات وهي تساوي العبودية في نظرهن؛ أقاهات تصرخ بأن زوجها لن

يرضيه أن تصبح تحت سلطان أخيه.

ج ـ **الموت**: يمزقون ثيابهم، عند اعلان الوفاة. ويرتدون ملابس الحداد (أشعيا ٣٧/١). الصيدونيات يجرحن صدورهن مما لم يكن مقبولاً في بلاد دانيل. الاليابيون يصعدون إلى «الاماكن العالية» ويصلون لايل كما يبخرون الـ ب ج ل؛ يستمر صراخهم حتى تبح الأصوات (أشعيا ١٥/٢). يدفنون موتاهم في مقابر تحلق فوقها الكواسر؛ القبور لم تكن عميقة ويبدو أنهم لم يكونوا يعرفون سراديب الدفن. يضعون الميت على مَحْمَل (نقالة) أمام مدخل البيت سبعة أيام، تتولى النادبات خلالها بالتناوب، حراسته والبكاء عليه وتعداد مزاياه، بعبارات مألوفة ومكررة. يسمونهن أيضاً «بنات المدائح» أو «الطاهرات» (؟). لعلهن كن يشكلن جمعية (؟). قد يبتكرن المدائح أيضاً، فيعتبرون ذلك لمصلحة الميت. وصف الميت بأوصاف لطيفة يساعد على عودته. خلال اسبوع الحداد، يقدمون البخور باستمرار. قد تترك الارملة الميت من وقت لآخر فتذهب إلى غرفتها أو إلى غرفة أخرى في المنزل؛ وقد تذهب فتجلس وحيدة في بيت المؤن. غير انها كانت تقضي الجزء الأكبر من وقتها وهي تستمع إلى أغانٍ وأناشيد من نوع قصة أقاهات. لا يأتي أهل الميت إلى منزله ولا يساهمون بالاحتفال الجنائزي. بنهاية اسبوع الحداد، يرتفع ويزداد عويل النادبات؛ يصرخن، يصفرن ثم يقدِّمن البخور للمرة الأخيرة قبل نقل الميت الى قبره. يضعونه أرضاً ورأسه على مسند، ومعه العطايا المقدَّمة اليه. ينتهي الدفن فيعود الناس الى بيوتهم ويبقى القبر دون حراسة. عند ذلك يبدأ عد «شهر الأرملة» وهو الشهر الذي يترك أكبر أثر على مستقبلها. لم يرد ذكر لتقديم الطعام للمشاركين؛ أما النادبات فيقدمون لهن اللحوم. في حالتنا هذه ذبحوا لهن ثوراً. لا يمتنع شرب الخمر، وقد ينصحون بشربه. يبدو أن شرب الخمر لا يحمل أي مغزى أو رمز معين. يبدو ان هذه العادات تحمل الطابع المصري وقد ترافقها تعابير مصرية أيضاً (انظر فيما بعد).

الحيوان والنبات: للحيوان والنبات روح؛ وهي تخضع لبعض الآلهة. الكواسر تأتمر، أحياناً بأمر عناة، وقد ترعى الأم وطفلها كما وأنها تقدم بعض الخدمات (نقل

الأنبـاء للأقـارب، جلب علاج من بلاد بعيدة على أجنحتهـا الـخ . . .) (أشعيا ٣١/٤٠). قد يطلبون من هذه الطيور البكاء على الميت: لذلك يسمونها أيضاً «طيور الشكورى» أو «طيور الآلام»، ويشبهونها بالنساء (الأمهات أو الفتيات) (تثنية ١١/٣٢). فراخهـا لهـا سمعـة مرعبة (أمثال ١٧/٣٠) ـ وسر حياتها يكمن في كبدها. الماعز البري يعتبر فهيماً. أما الماعز الداجن فإنه قليل الحظ لأنه لا يتمتع بحـرية التنقل في الجبال مثل وعل لبنان. لبعض الأشجار تاريخها، وهو تاريخ لا نعرفه. الطرفاء، شجرة الحكمة وكذلك الشجرة التي تحمل كل القوى الحياتية تتواجدان في منطقة صاخبة الى الشمال، قرب حدود نهاية الأرض. الشجر، بشكل عام، مفيد؛ جذوره تشفي من الأمراض. الأشجار تتمتع بشيء من الحساسية، وتستطيع البكاء. النار هي العدو المرعب، وخاصة نار «بعل»: الصاعقة. العشب صورة الحياة ويخشون جفافه قبل الاخضرار.

جسم الانسان: حياة الانسان كحياة الطير تكمن في الكبد. الموت مرض قابل للشفاء ما لم يتم سحق الكبد. لا يبقى أي أمل بعد سحق الكبد. بعض الدموع تصدر عن الكبد ـ غير أن الحياة العاطفية عموماً تكمن في الأحشاء وفي القلب ـ والـدمـع والأنين يصـدران عن القلب والأحشـاء. قد تصاب الأحشاء بمرض ما فتتألم. القوة الجسدية مركزها الفقرات. اليد هي العضو النشيط، واليمنى تمتاز عن اليسـرى. «وَضَـعَ قدمـه» على شخص أو على جماد، تعبير يرمز الى القوة والسلطة. النـظر قوة فعـالة، و«رفع» النظر يعني ممارسة سلطة ما. لكنها سلطة يمكن إيقاف مفعولها ـ يقولون عند ذلك ان المرء أصيبَ بالعمى؛ بالخَبَلْ. اعتداد الانسـان بنفسـه مركـزه القذال، والخضوع للنير تعبير شائع. التعب والمصائب يثقلان القذال. الغضب والهيجان يظهران في الأنف (أشعيا ٢٢/٢؛ ٥/٦٥). قوة المنذورين تكمن في شعرهم الطويل.

الطب والسِمامة: المرض عنصر إيجابي يمكن التخلص منه. الجروح يمكن أن تسقط عن الجسم (على صورة القشرة الدموية التي يلتئم الجرح تحتها؟). الطبابة تعتمـد على المعـالجة بالنبات. يعتقدون أن لكل مرض نبات يلائمه. للجذور

بشكل خاص قدرة على الشفاء، علماً بأن العلاج المفضل يأتي من بلاد بعيدة تقع الى الشمال. بعض أنواع الشراب تفيد العضلات (نقيع الزعفران، نقيع الارطماسية العطرة، الخ. . .) وهي تسهل الوضع. تأثير الخمر معروف: قليله يجلب الهدوء ويساعد على النسيان ـ أما شرب سبعة أكواب (؟) منه، فيؤدي الى السكر، ـ تناول كمية أكبر منه يولّد تخيلات ويشجع الانسان على إيذاء نفسه (تشويه جسمه بنفسه). الثُفل (الرواسب) يجلب المرارة. (بالنسبة لتأثير الخمر انظر: أشعيا ١٧/٥١؛ مزامير ٤/٤٢؛ ٦/٨٠؛ ١٠/١٠٢؛ أمثال ٦/٣١-٧).

مفهوم الجمال: يطلقون صفة الجمال على الفضائل أيضاً. جمال الرجل في قوته، (يشبهون القبضة القوية بقيثارة صنعت أصابعها من الحجر المنحوت)، وفي قامته المنتصبة (الفقرات مصنوعة من قلب السنديان)، وفي جمال فمه وبياض وانتظام أسنانه. لا نعثر على وصف لجمال المرأة، وأقاهات نفسها ليس لها وصف مادي. يحبون العطور والطيب والبخور. الدخان المتصاعد من البخور يصبح مزعجاً عندما يصعد الى الأنف بكثرة. هناك حلية واحدة مذكورة باسمها. فن نحت الحجر والخشب كان معروفاً. الموسيقى شائعة وخاصة الرباب ذي الخمسة أوتار. نوح النادبات كان يغنّى أو يرتّل على الأرجح.

الحياة العاطفية: نادراً ما استطاعت قطعة فنية، التعبير عن الحياة العاطفية بمثل هذه الواقعية. مظاهر الحب المختلفة، بدءاً من عاطفة الأمومة، وانتهاء بالوجد الشهواني المتدفق؛ بدءاً من الشفقة والرحمة، وانتهاء بالغيرة ـ مظاهر الحب هذه تم التعبير عنها بعنف يغني عن كل تعبير. جميع مراحل الألم أيضاً، جاءت مدروسة وموصوفة بشكل رائع. أول الأمر، نرى الدهشة والوهن يستوليان على الفتاة، ولكن سرعان ما يحل محلها الغضب الشديد، وحاجة التحرك والتمرد؛ ثم يأتي الخَوَر والشك والحاجة الى إدراك ما يجري. يتوقف البكاء ليحل محله الحنين، ثم يأتي الرضوخ للأمر الواقع، فالأمل كنهاية لمراحل الآلام. الحياة العاطفية تسود هذه النصوص بكاملها ويتم التعبير عنها بالدموع والأنين وصرخة الألم وحتى الصفير ـ وسائل التعبير عن الألم هذه لا تزال مألوفة شرقي المتوسط.

العـرق (النـاتـج عن الضيق) يعبـر عن الارهاق. أما الضحك فإنه يرد في هذه النصوص بشكلٍ غير متوقع، ويبدو انه لا يعبر عن السرور بل يعبر، أحياناً، عن العطف، وأحياناً أخرى عن التفوق. وقد يعبر الضحك عن اللامبالاة وحتى عن الازدراء (مـزامـير ٢/٤؛ ٣٧/١٣؛ ٥٩/٩ ـ أشعيا ٦٦/٤؛ ـ أيوب ٩/٢٣).
الغضب حالـة نفسية لابـد من السيطرة عليها، تماماً كالحقد. وهما يؤديان الى ارتكاب أفعال تستوجب اللوم.
الروح: الروح مركّبة من عناصر متعددة، لِحْمتُها «القوة الحياتية». كل كائن حي يحمل شيئاً من هذه «القوة الحياتية»، وهي معلقة على شجرة كبيرة في بلاد شمالية بعيدة جداً، على تخوم المعمورة. بعض الطيور تستطيع الوصول اليها كما تستطيع نقـل شيء منهـا على أجنحتها. القوة الحياتية ملكية خاصة يمكن التخلي عنها لشخص آخر في تلك البلاد البعيدة الغامضة ينمو أيضاً شجر الطرفاء، وكل انسان يرتبط بشجرة تحمل ثمار «حكمته». لا يمكن التنازل عن الحكمة للآخرين، على ما يبـدو، فهي ترتبط بقـدرة الطرفاء على النمو والإثمار. على انها تتأثر بسلوكية الشخص أيضاً (أيوب ٢٨/٢٠-٢٤).

العنصر الخالد هو النفس (ن ف ش) ولكنه لا ينشط ويعمل إلّا بوجود الروح (رواح). يبـدو انه بالإمكان تحسين طبيعة الروح وتنميتها بالمزيد من الحكمة. الـروح بحـاجـة الى حارس ومرشد في هذه الحياة، أي إلى التمسك بالمبادىء الأخـلاقية، وخشية الإلـه وعبـادتـه. أما النفس فإنها ترتبط بلوحة مكتوبة تحمل «بركتها». المعارف التي يكتسبها الانسان في هذه الحياة يتم تدوينها أيضاً على اللوحـة. فقدان اللوحة أو تحطيمها يؤدي الى أفظع الكوارث، علماً بأنه لا أمل للميت إطلاقاً بالعودة الى الحياة ما لم تكن له لوحته. عند الوفاة ينطلق قسم من الروح نحو الغيوم المظلمة «فيدخل الظلمة». أما النفس (ن ف ش) فتتبع حارس الأموات الذي يتسلّم لوحة الميت ويقوده إلى أعماق المحيط «البتهوموت». في أعماق البحر تُحفظ لوحات الموتى كافة، ولا يُكتب عليها شيء بعد ذلك. وقد يمكن إضـافـة أعمال الأحياء الحسنة الى لوحة الميت في بعض الحالات. أما

الأعمـال الشـريرة فإنهـا «تعـوم» على سطح المـاء كما يعوم غيط البقر» (أشعيا ٢٠/٥٧ ؛ أيوب ١٨/٢٤). بعد ذلك ينتقل النفش الى مدينة الراحة وهي بنفس الوقت مدينة الآلام ـ تحت الماء حيث تجري المحاكمة. المحاكمة تجري خلال الاسبـوع الـذي يتبـع الوفاة، وبنتيجتها يصبح الموت نهائياً أو يبقى للميت أمل بالعودة الى الحياة. قد تتأثر الآلهة بعويل الأحياء وبالمدائح التي يطلقونها على الميت، فتُفرج عن النفش ليعود الى الجثة ويعيد اليها الحياة. إذا كان الحكم سلبياً يتم دفن الجثة في بطن الأرض. أما إذا حصلت الروح (بشكل استثنائي جداً) على الاذن بالعودة الى الجسد لمدة محدودة؛ فإن حارس الأموات ودليلهم يقوم بمرافقتها ثم يسلّم اللوحـة الى صاحبهـا، على أن يعـود ويأخـذهـا منه عند انتهاء المدة المحددة. عند ذلك تصبح الجثة باردة هامدة.

الأخلاق: مستوى العواطف هنا أرفع مما هو عليه في أسطورة كيريت. يتم التعبير عنها بواسطة أمثال وحكم أو بواسطة رموز. وقد يتم ذلك بنصائح مباشرة. أوّل هذه الأمثال: «خشية سهام إيل تجعل منك إنساناً» ـ السهام هنا تعني عقاب الآلهة.
وثانيها: «من لا تردعه عقوبة خفيفة «السيف» يعرض نفسه لعقوبة أشد (الموسى): كذلك:

مزمور ٧/ ١٣: وترجمته الصحيحة كما يلي:

إذا لم يهتدِ بسيفه
فإنّه يشحذ قوسه، فيوتّره ويسدّده

أشعيا ٧/ ٢٠: أيضاً وترجمته الصحيحة كما يلي:

في ذلك اليوم سوف يستعمل السيد الموسى
سيأخذ بواسطة من يعبرون النهر ـ (بواسطة ملك أشور)
الرئيس كتابع له، ـ لأن دمشق هي رأس سورية
ورَصِين هو رأس دمشق، والسامِرة هي رأس أفراييم
وابن رماليا هو رئيس السّامرة (أشعيا ٧/ ٨-٩)
والطفل الذي بدأ يمشي مع الشيخ، سيجتمعان على طريق المنفى.

إن الآلهـة تضـع نهـاية لاعتداد الانسان بنفسه. طاعة الآلهة واجبة وعلى الانسان الطاعة مثل الثور الذي يحمل النير. الآلهة تمقت الغرور بشكل خاص، وبعل نفسه سيلقى العقاب بسبب غروره. يجب أن يكون الانسان طيباً، معواناً دون توقع أية مكافأة، تماماً مثل وعل لبنان. مقابلة الشر بالشر لا تسوّي الأمور؛ وقتل أخ أو خادم لا يعيد الميت الى الحياة. لابد من تجنب الحقد والشتيمة. قد يكون وضع الثور تحت النير متعباً جداً، لكن الانسان يبقى له اللجوء الى الأنين، فلأنين خليل القلب ومبعث الرجاء. الاخلاص للآلهة صخرة يمكن التمسك بها لتـلافي السقـوط في الهاوية. السعادة في التقرب من إيل، في حجر إيل. هذا المزيج الغريب من الرضوخ والقدرية يؤدي الى أسلوب أخلاقي متماسك، ينعكس على العمل الشعري بكامله.

الآلــهــة: إيل هو الإلـه الرئيس للإليابيين. نجده هنا إلهاً طيباً ولكنه ضعيف. يؤازره على الأرض مقاتلون منذورون يأملون عونه: ـ ولكن كثيراً ما يخيب أملهم. في العالم الآخر، يبدو إيل عاجزاً عن مواجهة بعل وقوى الشر التي يمثلها. قد يأتي بالمعجزات ويتصرف بقوى سماوية الخ . . . ـ ولكننا نراه لا يتدخل إلاّ في القليل النادر؛ إما لضعفه أو لسوء نيّته، وحتى لفتور همّته (يصعب إقناعه بالنهوض من فراشه ووضع قدمه على المنضدة). مع ذلك يفترض انه الملجأ الذي تأوي اليه النفوس المعذبة، والصخرة التي يتمسك بها من يخشى السقوط في الهاوية. قد يكون طبيعياً أن يتعرض بعض مريديه الجدد للشك في قدراته، أما الآلهة فتعرف ان إيل سينتصـر في النهاية، ويتغلب على بعل. إيل يعرف المستقبل ويستطيع كشفه ولكنه لا يستطيع تغيير شيء فيه. نبوءات إله الجدود حزينة على الأغلب، وهو لا يحب كشف المستقبل.

عناة، ربة صيدون، تحب الضحك. وهي فتاة، قد تتصرف بجدية أحياناً، ولكنهـا لا تعـرف الـوقـار ـ تضحـك كثيراً وقـد تضحـك في حالات ليس فيهـا ما يضحك. وعناة بالنتيجة إلهة خيّرة، وستظل عذراء على الأغلب؛ لذا فإنها تعمل جادة على إنشـاء روابط زوجية. تغزل الروابط الزوجية، لكن هذه الروابط تبقى

هشّة، إذ أتي الموت فيفرّق من جمعهما الحب. تعطف بشكل خاص على نساء بلادها وتذهب لمساعدتهن حتى ولو كنّ في بلد أجنبي. كثيراً ما تتواجد قرب الآبار، علماً بأنها قد تأتي الى المنازل. ترتاح للتمجيد والمديح، لكنها لا تتحمل العتاب. تصر على أن تكون لها اللكلمة الأخيرة في المناقشات. تتباهى بمعارفها وتنقل المناقشة الى مستوى العموميات، فتنطق بالحِكم والأمثال بالإضافة الى أشكال أخرى من الحكمة الشعبية. جوابها على رأس لسانها وتدحض الحجّة بالحجة ثم تنتهي بالحض على الاستسلام. تظل ربة صغيرة بالمقارنة مع آلهة أقوى (مثل بعل) يستطيعون تقطيعها إرباً فيما إذا قرروا ذلك. تحضّ المعذبين على شرب الخمر. تعرف المستقبل ولكنها تتردد في كشفه. لا تستطيع تبديل شيء مما رسمه القدر، مثلها في ذلك مثل بقية الآلهة؛ لذا فإن رعايتها غير مجدية. تسيطر على الزمن (؟) فتستطيع تقديم وتأخير الأحداث، وهذا كل ما تستطيعه. قد تبعث الطيور للتحليق فوق سرير طفل ترعاه، ولكنها تبقى عاجزة عند وقوع الأحداث، تدير بصرها عنها... وتضحك، كما يقول عنها رب الجدود. تعرف الكثير عن الطبابة مثل كل النساء؛ وهي خبيرة بشكل خاص بأنواع الجذور التي تشفي (؟). قد تشعر مع البشر بآلامهم، ولكنها، وهي التي لم تعرف الحب، تبقى فاترة المشاعر بالنسبة لجانب هام من مشاعر المرأة. ـ وهذا أهم ما يأخذه عليها أتباعها. تعرف ما يجري في العالم الآخر كما توافق على تقديم العون للمحزونين. لا تهتم بالأموات، بل تتجه حيويتها الى الأحياء دون سواهم.

بعل إله ضارّ. يسيطر على تقلبات الطقس، ويطلق الغيوم. قد يُسمع ضجيج عربته الصاخب على الأرض. يعتلي عرشه فيسند قدميه على الغيوم. يستطيع سحق كواسر الطير بقدمه. يحمل الصواعق بيمناه، ويستطيع إطلاق نار السماء التي تحرق الشجر. آلام البشر تبعث السرو ر في نفسه. يرى كل ما يجري في السماء وعلى الأرض، ولا أحد من الآلهة يستطيع منعه من ذلك. يتحكم بمدينة الأموات. يستطيع الافراج عن الروح، ولكنه لا يفعل، والأمل في إقناعه ضعيف جداً. الأمل الوحيد يكمن في أن يقوم في عرض المساعدة. نعثر في

نصوصنا أيضاً على إشارة الى «ب هـ ل» وهي، على ما يبدو آلهة عائلية، سوف نتوسع في دراستها في قسم الأنباء التاريخية (ص:).

الشياطين: يساعد بعل، وهو ربّ الجحيم، جيش من الشياطين يقوم بالسهر على الموتى. يستطيع هذا الجيش مغادرة العالم الآخر، أحياناً، ـ بطريق الجو. رئيس الشياطين له صفـة «حارس الموتى ومرشدهم»، وهو الذي يحتفظ بلوحة الميت ويقـود روحـه الى مقر المحزونين، بلد الراحة الأبدية، في قعر المحيط. هناك مجموعة أخرى من الشياطين، وهي تتمتع بسلطة أكبر، تقيم في العالم الآخر أيضاً وتحمل تسمية «المحتَقرين». قد يتصل حارس الموتى بهذه المجموعة فيحصل على تأجيل للتنفيذ لصالح الميت. ليس للشياطين شكل مرعب. يحاولون إبعادهم برش (الماء؟) أو يدعونهم الى الجلوس ويحاولون استعطافهم. العمل على تحرير الميت يذكرنا بالعمل على إطلاق سراح المحكوم عليه (السجين؟) عن طريق دفع العـربون، والكفالة. قد يتم دفع العربون بالتنازل المؤقت عن بعض المنقولات (فضة، أدوات زينة، حليّ الخ. . .) (أيوب ٣٣/ ٢٤). أما الكفالة فإنها تستند الى سلوكية وأخلاق الكفيل. بالطبع يمكن رفض هذه العروض.

العبـــــادة: يظهر من نصوصنا أن «بعل» هو الإله الوحيد الذي يمتلك هيكلاً (بيت بعل). الهيكل عبارة عن بناء مسقوف يقع على شاطىء البحر. عبادة إيل كانت تتم على المرتفعات (الأماكن العالية) المخصصة مبدئياً للآلهة العائلية الـ (ب هـ ل)، وهي عبارة عن قطعة أرض مسوّرة، غير مسقوفة، (بيت ـ إيل). كان لكل «ملك» صغير مرتفعه، يخاطب منه الآلهة ويقدم البخور لل (ب هـ ل). لا يجوز للمرأة الغريبة دخول السور (أشعيا ٥٧/ ٧؛ ٦٥/ ٧). قد تتواجد معابد لإيل في ساحات المنازل، تقدم فيها القرابين ويشارك فيها أبناء الدين الواحد. يقدِّم القربان رئيس العـائلة، ويحـل محله ابنه البكر «القادوش»، بعد وفاته. القرابين على نوعين: القرابين حرقاً بالنار والتبخير. مريدو إيل كانوا في العادة من المقاتلين، ويشكل المنذورون بينهم فئة «مستقلة» نوعاً (بسبب تقليد عرفي أو بنتيجة النذر)؛ ولا يجوز للمنـذور شرب الخمر أو قص شعره. وعليه أيضاً الاحتفاظ بكيس صغير يحتوي

على حفنة تراب من مسقط رأسه كتميمة تذكره بنذره. عناة تقبل القرابين النارية من النساء؛ ويبدو ان ذلك كان يتم مقابل خدمات سبق لها وقدمتها. عبادة عناة لم تكن مرتبطة بمعبد أو مرتفع ما. لم تتضمن هذه النصوص ما يشير الى عبادة الأموات، رغم ما هي عليه من وضوح بالنسبة لنقاط عديدة. يمكن القول ان كل ما كان يتم قبل الدفن كان يهدف الى الحيلولة دون الموت النهائي. أما بعد الدفن فيترك الميت دون كبير اهتمام.

المعتقدات:

آ ـ **القدر**: هو عبارة عن برنامج يفرض على الانسان مع الولادة. قد تعرف الآلهة تفاصيل هذا البرنامج ولكنها لا ترغب بالكشف عنه. محاولة الانسان معرفة قدره تدنّس المنزل، ولا ينتج عنها إلّا الأسى والدموع. قد تنقل عناة النبأ الجيد، ولكنها تقول أشياء محزنة عندما يطلب اليها الاستمرار بالتنبؤ. مما يساعد عناة على التكهن، أن تشرب السائلة كأساً من الخمر.

ب ـ **روحانية الأرقام**: هنا أيضاً نجد أن الرقم /٧/ يتمتع بدور رئيسي. سبعة أكواب من الخمر قضت على دانيل. سيبكيه أبوه سبع سنوات. يستمر السهر على الميت سبعة أيام. تحاول الطيور التحليق سبع مرات (؟). الرقم /٣/ يحمل الشؤم: ثلاثة غيوم انقضت على سعادة أقاهات، علماً بأن المعلومات الواردة في هذه النصوص لا تكفي لمعرفة المعنى الدقيق لهذا الرقم. يرد ذكر «الشهر أيضاً في هذه النصوص. يبدأ حساب هذا «الشهر» يوم دفن الميت. يحسبون أيضاً الأشهر التي تسبق مولد الطفل. مقياس الزمن هو القمر، الذي يتجدد بانتظام وبشكل حتمي. لعله أيضاً يمثل فكرة الاستقرار الدائم ومفهوم القدر.

الأسلوب والشعر

كثيراً ما يتردد في مجموعة أقاهات تعبير «شكوى»، «أنين». تعابير الشكوى

والأنين أصبحت تعابير تقليدية يقومون «بإنشادها» في الأماكن العالية، ويرتلونها عند السهر على الميت. ويبدو أن المدائح نفسها لا تخرج عن هذا النطاق. نجد العديد منها في نصوصنا، علماً بأنها كانت معروفة قبل صياغة هذه النصوص. ويمكن أن نقول نفس الشيء عن الأمثال والحكم والرموز الخ . . . مما نعثر عليه في كتابات أخرى. أكثر أساليب التعبير استعمالاً: المقايسة والتناقض. الصور مأخوذة، بالطبع عن البيئة: الحياة الريفية والزراعة. مقارنة فكرة مجردة بفكرة مجردة أخرى من الأمور النادرة. جسم الانسان هو الذي يوحي بأكثر التعابير البيانية، ومن المفروض أن تكون هذه الصور دخلت الحياة اليومية. تعبير «أنف الباب» في الأوغاريتية لا يختلف كثيراً كصورة عن «فن الباب» بالعبرية. «رفع عينه»، «انثى تحت النير»، «سحق بقدمه» الخ . . . تعابير مألوفة، على الأغلب، في الحياة اليومية؛ بينما نعتقد ان تعابير مثل «عبء» بمعنى الحزن الخ . . . عبارة عن صيغة شعرية.

إن قصائد مجموعة أقاهات، بقدر ما يسمح لنا الظرف بتكوين الرأي، هي أيضاً من شعر إيلي ميلكو، كاتب اسطورة كيريت ومجموعة أخبار الملك ـ الكبير. إننا نتعرف هنا أيضا، على بعض خصائص أسلوبه، سيّما وأن الاشارة الهامشية ب ر ل ن (راجع IID) تشير إلى أن المؤلف حرص على تدوين «درر» الآداب الكنعانية، ومجموعة أقاهات جزء منها. نعتقد ان هذا الشعر يعتبر إحدى قمم الآداب الكنعانية، رغم ما يتخلله أحياناً من ضعف في المفردات وحتى في الوزن انه عبارة عن دراسة سيكولوجية دقيقة جداً، لنفسية المرأة، في زمن شاع عنه ان الفتاة فيه لم تكن أكثر من سلعة للمقايضة في يد أبيها. تظهر لنا هنا المرأة الكنعانية بشعورها المرهف وحتى بشهوانيتها. سيبقى هذا الشعر من أجمل ما كُتب عن الحب، وهو بالتأكيد أقدم ما كُتب عنه، رغم مسحة الحزن التي تغلفه.

ان طبيعة هذه النصوص تفرض علينا الاشارة للطقوس الجنائزية المصرية. هناك عدة مقاطع تبدو وكأنها نسخة ـ معدلة بعض الشيء عن «عويل إيزيس ونفتيس» الذي ورد في المخطوطة الشهيرة رقم /٣٠٠٨/ في متحف برلين، وهي

التي أصبحت نموذجاً لكل حالات شكوى الأموات. عثر إيزيس ونفتيس على جثّة أوزيريس فأطلقا هذه الزفرات:

«عد الى منزلك، أيها الإله أون. عد الى منزلك، يا من ليس له أعداء. أيها الشاب الجميل، عد إلى منزلك، حيث ستراني. أنا أختك التي أحببت، لا تبتعد عني. أيها الفتى الجميل، عد الى منزلك... اني لا أراك، ومع ذلك، قلبي يتجه نحوك بشوق شديد، وعيناي تتلهفان الى رؤياك... عد الى تلك التي تحبك، انت يا «اونوفري» السعيد. عد الى اختك، عد الى زوجتك؛ عد الى زوجتك، انت، يا من توقف قلبه. عد الى ربة بيتك. أنا أختك لأمك، لا تبق بعيداً عني. الآلهة والبشر يديرون وجههم اليك، كلهم يبكيك... أناديك وأبكي. دموعي وأنيني تصعد كلها الى السماء، ولكنك لا تسمع صوتي، أنا، أختك، من أحببتها على الأرض...».

ويمكن مقارنة هذا النص ببعض مقاطع شعر أقاهات:

«ليسترح دانيل في منزله (ID) ـ ليعد دانيل الى قصره هذا المساء (ID) ـ لقد أُفرج عنهم، أولئك الذين كانوا يقيمون في وجهك المكائد (ID) ـ أناديك يا دانيل (ID) ـ المدد لمن هو قرين الحب، لدانيل (ID) ـ عد إلينا، أتوسل اليك، سأعيد إليك الهدوء، ستهدأ على صدري (ID) ـ ألا يوجد مكان من أربع زوايا، أستطيع أن ألتقي بك فيه؟ (ID) ـ التجربة التي حمّلتني إياها الآلهة لكي أتذكر أن في السماء ذكرى لزوجي...» (ID) ـ الخ....

واضح أن كاتب مجموعة أقاهات كان يعرف «عويل إيزيس»، كما كان يعرف بعض النصوص الحزينة المصرية الأخرى. فالشمال كان بالنسبة لعقيدة قدماء المصريين، المنطقة السماوية المحيطة بنجمة القطب، وهو بنفس الوقت المنطقة التي يقيم فيها الميت «قرب المبجّلين، الخالدين الذين يقيمون في شمال السماء» (مخطوط / ١٢٢٠/). ـ ويتضح من نصوصه أن الطرفاء، حاملة الحكمة، وشجرة الحياة، تنمو في هذه المنطقة. نجد أيضاً أن صورة هذا الشجر لم تكن غريبة عن مصر (مخطوط /٩١٦/ وأيضاً /١٢١٦/). ويقال نفس الشيء عن تشبيه الأم

بعض الطيور (مخطوط /١١١٨/). كذلك بالنسبة «للكتابة» التي تعود الى الميت، نجد أن تعبير «كتابة» (ك س ت) هو الشائع في نصوصنا. إلا أننا نلاحظ وجود تعبير آخر في حالتين فقط، هو «لوحة، ورسالة» (أ ج ر ت). ونعثر على كتابة مماثلة إذا ما عدنا الى النص المتعلق بهرم أوناس (ل. /٥٨٣/):

«. . . اللحم والعظم اللذان ليس لهما كتابة يتلفان؛ لكن انظر، ان كتابة أوناس توجد تحت الخاتم الكبير (؟)، انظر، انها ليست تحت الخاتم الصغير».

هذا النص غير واضح تماماً، لكنه يساعد على التوصل الى منشأ هذا الاعتقاد لأن الميت يرتبط «بكتابة» ما. كذلك، ان الاعتقاد بمحاكمة الميت وباللجوء الى النادبات الخ . . . يمكن أن تكون عادات مصرية في الأصل. هذا بالاضافة الى ان مهمة «الحارس المرشد» تذكرنا في بعض نواحيها بأنوبيس.

وعلى ذلك تكون بعض معتقدات رأس شمر، شبه ـ الدينية، دخلتها خلال فترة السيطرة المصرية عليها، فأثرت تأثيراً عميقاً في العادات الكنعانية. لا شك أن الشعراء المنشدين لعبوا دوراً كبيراً في إدخال العادات المصرية في إطار المعتقدات القديمة. ذلك ان السهر على الميت لفترة طويلة، يتطلب وجود أناشيد، يشرحون فيها رحلة الروح، ويجمعون فيها المعتقدات القديمة والدخيلة على السواء، بغية تسلية الأحياء وتشجيعهم. لابد أن مجموعة أقاهات نشأت على هذا الأساس. ويعني ذلك أن العنصر الكنعاني في أسطورة دانيل، لم يردنا صافياً. هذا ويبدو ان هذه الاسطورة كانت معروفة من كاتب سفر حزقيال، وقد تتضمن قصة شمشون إشارة الى دانيل:

قضاة ١٣-١٦ : «كان والد شمشون من عائلة دان، وكانت زوجته عاقراً فجاءها ملاك وأنبأها بأنها سترزق ولداً **إن هي امتنعت عن شرب الخمر**، وأن ابنها سيكون منذوراً قبل ولادته **ولا يجوز إطلاقاً قص شعره**. ثم ولد شمشون في ماهاتي ـ دان وكان **يتمتع بقوة هائلة**. ولكنه فقد قوته عندما **قص شعره**. أصيب بالعمى، ثم عادت اليه قوته عندما نما شعره من جديد، فقام **بهدم هيكل داجون**ولكنه **مات بسبب ذلك**. جاء ذووه ونقلوا جثته فدفنوها في **بلاد دان**».

قد تكون هناك عناصر أخرى من أسطورة دانيل، دخلت قصة شمشون ولكننا في الـوقت الحاضر لا نستطيع التعرف فيها إلاّ على العناصر التي نعرفها بفضل مجموعة أقاهات.

غير ان الأمر يختلف بالنسبة لأقوال الأنبياء:

حزقيال ١٤/١٢ - ٢٣ : «أعلن النبي الكوارث التي ستحل بالأرض (أورشليم) وقـال بأن ثلاثـة رجـال، دون سواهم، كان يمكن أن يستحقـوا الخـلاص نظراً «لعدلهم»، فيما لو كانوا في المدينة: نوح ودانيل وأيوب».

حزقيال ٢٨/ ١-٢٣ : قال النبي، مخاطباً ملك صور الذي ادّعى أنه إلهاً (إيل) وأنه يقيم في مقر الإيلوهيم، في قعر البحار: «**ها أنت أحكم من دانيال ومادونك سرّ مستور... بما أنك جعلت قلبك كقلب إله، لذلك ها أنذا أجلب عليك الغرباء، معتزي الأمم، فيجرّدون سيوفهم على بهجة حكمتك ويدنّسون بهاءك. ينزلونك في الهوة فتموت موت القتلى في قلب البحار. أفتقول إني إله أمام الذي يذبحك وأنت بشر لا إله في يد قاتلك. إنك تموت موت الخلق بيد الغرباء**».

ويستمر النبي فيلقي مرثاة على ملك صور ثم يعود الى المقارنة مع دانيل (دون أن يذكر اسمه):

«**كنت في عدن، جنـة الله، وكـان كل حجر كريم كساء لك من الياقوت الأحمـر والياقوت الأصفر... وصنعت بيوت حجارتك من ذهب. أنت كَروبٌ منبسط مُظلِّل. أنـا أقمتـك وقد كنتَ في جبل الله المقدس وتمشيتَ في وسط حجـارة النـار. كامـل أنت في طُرُقـك من يوم خُلقت... قد صِرتَ الى العدم فلا تكون إلى الأبد**».

مقطعان يشيران الى اسطورة دانيل بوضوح. مما يدل أن هذا النبي كان على علم بها. ونلاحظ هنا:

آ ـ ان دانيل كان عادلاً، مثـل نوح (الـذي نجـا من الطوفان) ومثل أيوب (انظر فيما بعد ـ أيضاً اشعيا ٥٣/٢-١٢).

ب ـ كان دانيل حكيماً، واسع المعرفة في أسرار العالم الآخر الخفية.

ج ـ ان دانيل هبط الى الجحيم (مسكن الآلهة في قعر البحر) وعاد منه، وانه كان شجاعاً ورائع الجمال.
د ـ ان مسكنه على الأرض كان مثل جنة عدن، يحوي الكثير من الأحجار الكريمة والذهب (بينها «تاف» ذهبي).
هـ ـ ان دانيل كان يدافع عن العقيدة، وإنه كان حائزاً على ثقة إيل.

هذا ويبدو لنا أن الصورة التي يرسمها عيسو «لخادم الإله» الكامل تنطبق على دانيل.

أشعيا ٥٢/١٣-١٧٠٥٤ : «هوذا عبدي يعمل بالحزم. يتعالى ويرتفع ويتسامى جداً. كما ان كثيرين دهشوا منك... وأمامه يسدّ الملوك أفواههم، لأنهم رأوا ما لم يخبروا به، وعاينوا ما لم يسمعوا به»..(يتبع ذلك مقطع [٥٣/٢-١٢] يتعلق بحكيم آخر قد يكون أيوب). ثم يخاطب النبي الأرملة قائلاً:

«رنّمي أيتها العاقر التي للم تلد، اندفعي بالترنيم واصرخي، أيتها التي لم تتمخّض، فإن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل، قال الرب... وسّعي موضع خباءك... لا تخافي فإنك لا تخزين، ولا تخجلي فإنك لا تفتضحين، لأنك ستنسين خزي صبائك ولا تذكرين عار إرمالك من بعد... هنيهة هجرتك وبمراحم عظيمة أضُمّك. في سورة غضب حجبت وجهي عنك لحظة، وبرأفة أبدية أرحمكِ. فذلك يكون لدي كأيام نوح إذ أقسمت أن لا تعبر مياه نوح على الأرض فيما بعد وكذلك أقسمت أن لا أغضب عليك ولا أنتهرك. هاأنذا أرخّص بالإثمد حجارتك وأُؤَسسك باللازورد، وأجعل شرفك ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمان وجميع حدودك حجارة أنيقة. وكل بنيك يكونون تلامذة الرب... تُثبَّتين في البر وتُبعَدين عن الجَور. فإنك لا تخافين وعن الهول فإنه لا يدنو منك».

نتعرف في هذا النص على بعض الجمل التي تأثرت بالتأكيد بشعر أقاهات:
آ ـ ان خادم الإله (مثل دانيل) طويل القامة.
ب ـ انه «حكيم» كبير ويعرف أشياء لم يسمع بها من قبل.

ج ـ إن الله أهلكه فترملت زوجته وليس لها ولد ـ هناك إشارة الى نوح الذي سلم من الطوفان.

د ـ إن الإله أشفق عليها؛ وإنه سوف يكون لها ذريّة كثيرة (!!) بعد الوفاة وإن جميع أبنائها سيحصلون على مراكز عالية.

هـ ـ إنها سوف تجد مسكنها مجهزاً بالأحجار الكريمة، وإنها لن تعرف القلق مستقبلاً.

وهنا لابد من الافتراض ان التقاليد الكنعانية (التي أخذها عنهم العبرانيون) كانت تعرف فيما كانت تعرفه، ثلاث أعاجيب:

١ - قصة نوح «العادل» ـ وقد سلم من الطوفان عندما هلكت البشرية بكاملها.

٢ - قصة أيوب الضعيف، وكان رجلاً عادلاً ـ تحمّل كل الخطايا والعار، فتألم طويلاً وهو صامت حتى اعتبروه ميتاً (أشعيا ٥٣/٨؛ أيوب ٢/١٢-١٣) ـ ولكنه عاد الى الحياة (؟) واحتل مكانته بين العظماء (؟).

٣ - قصة دانيل «العادل» العملاق الحكيم، الذي ارتفع الى صفوف الملائكة، والذي سكن جنة عدن ولكنه تعرض لغضب إله. مات دون أن ينجب فأشفق الإله على أرملته. عاد دانيل الى الأرض، بعد هبوطه الى الجحيم فرزقت الزوجة أولاداً، وعاشت بالرفاه الذي اعتادته بحياة زوجها ونعمت بمجوهراتها.

بمناسبة قصة دانيل، كثيراً ما يشيرون الى ان العمالقة «الريفاييم»، قضوا وانقطعت ذريتهم عن الأرض:

أشعيا ١٤/ ٩-٢٠: خاطب النبي الطاغية القتيل قائلاً: «**الجحيم من أسفل تزلزلت لك في تلقي وفدك وأنهضت لك الجبابرة جميع فحول الأرض... فأجابوا جميعهم قائلين لك انك أنت أيضاً قد جرحت مثلنا وصرت مماثلاً لنا...**».

أشعيا ١٦/ ١٤: أعداء الشعب سيهلكون: «**الأموات لا يحيون والجبابرة لا يقومون فإنك قد افتقدتهم ودمرتهم وأبدت كل ذكر لهم.**»

أشعيا ٢٦/ ١٨-١٩: ولكن، رغم ذلك، لن يتم إنقاذ البلاد: «**حبلنا وتضورنا وكأنا ولدنا ريحاً فلم نجعل خلاصاً للأرض ولم يسقط سكان المسكون. ستحيا موتاك**

وتقوم أشلائي. استيقظوا ورنّموا يا سكان التراب. نداك ندى النور والأرض تسقط الجبابرة.»

مزامير ٨٧/ ١١-١٣: «ألأموات تصنع المعجزات أم يقوم الجبابرة ليعترفوا لك. أفي القبر يُحَدَّثُ برحمتك وفي الهاوية بأمانتك؟ أفي الظلمة تُعرف معجزاتك وفي أرض النسيان عدلك؟» (المؤمن يخاطب الإله).

أمثال ٢/١٦-١٩: النباهة مرشد: «ينقذك من المرأة الأجنبية، من الغريبة التي تتملق بكلامها، التي تركت مرشد صبائها ونسيت عهد آلهتها. فمال الى الموت بيتها والى الجبابرة مناهجها. جميع الداخلين اليها لا يؤوبون ولا يتمسّكون بسُبل الحياة» (l'AB).

أمثال ٩/١٣-١٨: المرأة الجاهلة، الصاخبة، تحوّل الرجل فاقد اللب عن طريقه: «وهو لا يدري أن الجبابرة هناك، وأن ندماءها في أعماق الجحيم».

أمثال ٢١/١٦: «الانسان الذي يبتعد عن طريق التعقّل يسكن في مجمع الجبابرة».

أيوب ٢٦/ ٥: أيوب يسأل مخاطبه: «لمن بيّنت الكلم... هل أنجب الرفائيون من تحت الماء ومثلهم الزوزانيون في هام».

إذن فإن عدة مقاطع من التوراة العبرية تتواجد أيضاً في نصوص رأس شمرا. غير أننا لا نستطيع أن نعرف لماذا تخلى عن دانيل إلهه طالما وأننا لم نطّلع على النص الكامل لمجموعة أقاهات. هل خان زوجته، هل أحبّ بنات الآخرين (تكوين ٦/١) أم أنه عرف امرأة أجنبية، جاهلة وصاخبة (مثل الملك ـ الكبير ـ مجموعة AB). غير انه لا يستبعد أن يكون محرّرو العهد القديم قد خلطوا بين أساطير مختلفة، أو أضافوا عناصر من هنا الى عناصر من هناك فكتبوا النص الذي بين أيدينا اليوم.

من الواضح، على أي حال، أن أسطورة دانيل كانت شائعة في عهد الأنبياء، وأن الناس كانت تخشى عودة العمالقة المتعصّبين الى الوجود، أولئك الجبابرة الذين يعيشون في ظلمات الجحيم.

القسم الثاني

نصوص تشريعية

قرارات وتعليمات

لوحة من عمود واحد مستعملة على الوجهين، قام بنشرها السيد ش. فيرولُّو بعنوان «ولادة الآلهة اللطيفة، الجميلة»، في مجلة «سورية» XIV عام ١٩٣٣ ص /١٢٨/.

SS.

ابتهل إلى الآلهة المحسنة...
وإلى المسيئة أيضاً. بين الـ...
هي التي تهب المدن الى أولئك الذين يصعدون...
في الصحراء. فلتصبح عتبات بيوتهم...
إلى رؤوسهم، ولـ...
يتغذُّون بخبز الـ... ويشربون خمر الكرمة.
لكي يجعلوا عهد السلام، يعم السلام، (وهم الذين يستطيعون أن يكونوا الطيبين والشريرين على السواء).
فليمت ويبقى بعيداً، ذلك الذي تركوه، الخاطىء الذي لا ولد له،

ذلك الذي تركوه.
الخاطىء الذي لا ولد له (الأرمل؟)، فليُرجم، كما تُرجم الكرمة.
ولنرتبط بهم كما يربطون الكرمة التي تم تخليصها من الحجارة،
حجارة سدوم،
مثل الكرمة.
قدّم القرابين على الدوام، والطيّبون ستسمعهم.
والقرار، قرار الآلهة، فليكن قرار سعادة وغفران؛
قدم الذبائح (حرقاً) طلباً للمدد، اذبح جدياً! مع الحليب؟، مع القشدة.
ارفع الحوض، حباً بأولئك الذين...
الذين يتوجهون نحو الرُّحماء، الذين يتوجهون...
ويتمنطقون بالعون الجميل...
ونفحة الطيبين، يـ...
منازل الآلهة، بالدسَم...
أفواهُهم شبِعت.
كونوا مندفعين، من أجل أن يصبح الميت...
... ؟ ...
لنبتهل إلى الآلهة الطيبة، التي تفصل يوماً عن آخر.
الآلهة التي تنتقم لكل جريمة. ـ السعادة...
نهاية الاعتداد بالنفس لمن يحتقر أبوابهم...
ويحافظون على المُسالم. إنهم يُحسنون...
أولئك الذين يواجهون التجربة بإخلاص.
من أجل أن تكون قرارات الآلهة قرارات سعادة وغفران،
... يبقى.
أولئك الذين... شواطىء البحر ويسيرون قرب الأمواج،

. . . ضريبة قرابينهم، ضرائب قرابينهم على رأس الحوض.
فليُمتَدَح من أجل . ؟ . ـ فليمتدح، ذلك الذي يقيم، ـ ليمتدح ذلك الذي يعيد الى الحياة.
فليمتدح إذن، ذلك الذي يبعث الأمّة. الأمة التي ستتعاظم، على يد إيل، وتصبح كالبحر.
لأن يد إيل هي القوة، إنها توسّع، يد إيل، مثل البحر.
لأن يد إيل هي القوة. إيل سوف يقبل أضاحيهم،
أضاحيهم على رأس الحوض، يتقبلها، يـ . . . في معبده.
إيل سينقضّ على المسيء، ـ إيل سيرفع (يُبعد) يده عن المستقيم.
ـ سيفـرج عن أمـطار سمائه؛ تلك الأمطار المحجوزة في السماء، ويأسف لما حصل.
نساؤهم يشبهن إيل، إنّهن جميلات. نساؤهم تعيد الحياة
لمن مات موتاً. ـ لتسترح خطاياك! أبعد عنها يدك!
ـ أليس الحرمان يولد حرارة كالجمر، ألا ينشِّف الريق كالفحم؟
نساؤهم زوجات لإيل ـ زوجات إيل وأسراره الخفية. وهنَّ
يُعِدن الى الحياة، هذا أو ذاك. . ـ فلتسترح إذن، خطاياك!
ارفعِ يديك عنها! ـ ألا يولد الحرمان حرارة كالجمر،
وينشف الريق مثل الفحم؟ ـ منزلهم منزل إله، ـ منزل إله،
وأسراره الخفيّة ـ نساؤهم تعيد الى الحياة، آه، من يوت موتاً.
لتهدأ خطاياك! عنها ارفع يدك! أليس الحرمان
يولّد الحرارة كالنار ويلوّن بلون الجمر؟ ـ نساؤهم زوجات إله،
زوجات إله وأسراره الخفية. ـ شفاههن خبيرة. ـ تحمل
الثروة، شفاههن. ـ لها حلاوة الرمان. . .
يحملن بن كثرة القبل، من حرارة الحر؛ ـ أمل الإزهار. ومن أجل أن تلد «الخصب» أو «السلام» صلاة تقدم لإيل. ـ وللزوجة،

فليَمْنَح إيل الحكمة، ـ فليمنح الحكمة لأي كان، من أجل أن تضع الزوجة «خصباً» أو «سلاماً».

دع التخريب جانباً! ـ اترك المنازعات لمن شارف على نهاية الاعتداد بالنفس، لمن يتألم آلاماً.

شفاههن تصبح خبيرة ـ ولتحمل الثروة، شفاههن العذبة...

كثرة القبل تؤدي الى الحمْل، بالعناق وبحرارة الحر. إبقَ إذن،

وليقولوا للشرير، لـ... الذي يتباهى بالمذابح،

أن أمل الإزهار، ومن ستلده، يبعث به الى هذا العالم، الآلهة المحسنون. يجددون يوم الولادة، يوم الوليد ـ ولتتواجد في كل صدر، الصلاة الموجهة الى إيل.

إيل سوف يمنح الزوجة الحكمة، إلى كل زوجة سيمنح الحكمة. ـ الآلهة المحسنون...

يحددون يوم الولادة، يوم الوليد. ولتتواجد في كل صدر الكلمات الموجهة الى الأرض، الكلمات الموجة الى السماء؛ أما بالنسبة لأولئك الذين يتكلمون بأفواههم، فإن السماء ستبقى مغلقة.

إخشَ اليوم، ولتتوارى... وليُهجر من سبّب الرعب،

أولئك الذين أذنبوا بالشتم بأفواههم. ـ وإذا وضعت في الشهر السابع، أو تأخرت في الولادة بسبب سوء المعاملة، ـ لا تعد لبيتك بل اذهب الى الصحراء المقدسة.

وهناك تقيم، كالغريب، على الحجارة وعلى الشجر، يلازمك الحقد.

أما إذا مُتَّ هناك، مع الزمن، فاستشهد بالآلهة المحسنين الذين قرّروا رحيلك، الذين طردوك الى الصحراء، الذين يلاحقونك بالعذاب.

خالٍ من البذور وجافّ.؟. الشعب الذي لا بذور له، آه، خالٍ

مثل ذلك الذي طردوه خارج الأبواب . ـ ولتُفتَح الأبواب لمن كان ،
بين الجماعة ، كثير النسل .
وفي المساء خذ حقَّ الخمر . . . . . . والخبز وأعطهم
وليأكل من كان عذاب النار . . . ، أعطهم وليرتووا
والبؤساء ، الذين خلوا من البذور . . . . . .
خمر المساء من نار . مع السكر . . .
يوهن . ـ أعطِ من كل «هين» «لوجاً»* من الخمر . . .
ولأصدقائه ، يملىء بالخمر . . .

يحتوي هذا النص على عشرة مقاطع ، تفصلها الأسطر عن بعضها البعض ، كما يحتوي على فصل واحد طويل ، يمكن تقسيمه الى خمسة أقسام . وهو عبارة عن مجموعة قرارات وتعليمات تشبه الى حد كبير الشرائع الدينية الواردة في التوراة العبرانية :

١ - توجّه الصلوات الى الآلهة المحسنين (محسن = جميل) (مزامير ١٢٥/٣) وإلى المسيئين أيضاً (تثنية ٦/١٠) (مسيء = ساخر) . ذلك ان الآلهة هي التي أعطت المدن الى الشعب الذي جاء من الصحراء (تثنية ٦/١٠) كما أعطته الخبز (الذي يأتي من حقول لم يزوروها) ، والخمر (الذي يأتي من كروم لم يغرسوها) (راجع تثنية ٦/١١-١٢ ؛ يشوع ٢٤/١٣) ، لعلها تأمر بأن يسود السلم وهي التي ستطيع أن تكون طيبة أو سيئة حسب رغبتها .

٢ - الرجل الذي لا ينجب عن قصد (تكوين ٣٨/٩) ، يموت طريداً ، بعيداً عن المجتمع . يجب أن يرجم كما تُرجم وتُغطى بالحجارة الكرمة التي تنبت فيها شتلة سَدوم (تثنية ٣٤/٤٢ ، أشعيا ٥/١-٢) . والآلهـة على العكس ترعى بقية البشر

(*) وحدة كيل الخمر تسمى «الهين» . «اللوج» جزء من اثني عشر من «الهين» .

وتساعدهم. فهي تخلّص المجتمع من الشرّيرين تماماً مثلما يبعدون الحجارة عن كرمة جيدة (أشعيا ٥/١-٧؛ ١٦/٨؛ نحميا ٨/١٣؛ مزامير ٨٠/١٥-١٦ وأيضاً أشعيا ١/٩؛ ٣/٩؛ ملاخي ٣/١١).

٣ - تقديم القرابين شهرياً واجب (في غرّة الشهر؟) لازب (عدد ٢٨/١٤؛ هوشع ٩/٤؛ مزامير ٦٦/١٣، ١٥).

٤ - من أجل أن تقترن قرارات الآلهة بالسعادة والرحمة (مزامير ٢/١٤؛ أشعيا ٢٦/١٢)، وبغية الحصول على العون، يتوجب تقديم جدي، وحليب (الأحشاء؟ الدهن؟) والقشدة (أفضل نوع؟) (قضاة ١٣/١٩؛ مزامير ٦٦/١٣، ١٥ تثنية ٣٤/١٣-١٤ وأيضاً لاويين ٣/١٦، خروج ٢٣/١٩؛ ٣٤/٢٦، تثنية ١٤/١٢).

٥ - عندما يرفعون حوض القربان، فليكن ذلك تمجيداً للآلهة التي . . . (خروج ٢٤/٦).

٦ - من يسلّم قياده الى إله رحيم، ويتبع الطريق الصحيح، يحيط به (يزنّره) العون الإلهي (أمثال ٣١/١٧) وتحيط به أيضاً نفحة الآلهة المحسنين . . .

٧ - لا تحتاج الآلهة الى القرابين وحدها. منازلها ملأى بالدهن وأفواهها شبعت (أشعيا ١/١١؛ نحميا ٦/٢٠).

٨ - الاندفاع (الحماس) مطلوب، لكي يصبح الموت . . .

٩ - يتوجب توجيه الصلوات الى الآلهة المحسنين الذين يسيطرون على الزمان، الذين يفصلون مابين يوم وآخر، الذين يميزون بين الصالح والطالح. ينتقمون لجريمة اليوم في يوم آخر، وكل جريمة تلقى العقاب المناسب من قبلهم (أشعيا ٣٤/٨؛ ٦١/٢؛ نحميا ٤٦/١٠؛ ٥١/٦). الآلهة تجلب «نهاية الاعتداد بالنفس» لمن يحتقر أبوابها؛ وهي تمنح، على العكس حمايتها وإحسانها لمن يخضع لها، لمن يرضخ للتجربة (مزامير ١٠٠/٤ وما يليه).

١٠ - من أجل أن تكون قرارات الآلهة قرارات سعادة ورحمة، يجب البقاء . . . (نقص في النص).

١١ - قبل القيام برحلة طويلة، قبل السفر بحراً، يتوجب عليك القيام بالواجبات

الدينية، كما يتوجب دفع الضرائب المتوجبة للآهة (مزامير ٨٠١/٢٣-٣١). لابد من تمجيد الإله الذي . . . ، الذي يعيد الحياة من قرر إنقاذه (مزامير ١٦/١٠-١١). يجب تمجيد الإله الذي يعيد الحياة الى الشعب بأسره. بإرادة إيل. بقوة يده، سيزداد عدد أفراد الشعب حتى يصبح كالبحر (أيوب ٩/١١؛ تكوين ١٣/٣٢). وذلك لأن يد إيل قوية: هي القوة بعينها. إنها كبيرة وتستطيع أن تجعل الشعب كبيراً مثل البحر (أشعيا ١١/٢٦)

إن إيل يتقبل القرابين المقدمة اليه على رأس الحوض (أمام حوض المذبح)، كما يقبل القرابين التي تقدم اليه في معبده.

الإله ينقض على الخاطىء لكي يعاقبه (أيوب ١١/١؛ مزامير ٩/٢١) ولكنه يرفع يده عن العادل والمستقيم. ومن أجله سيجعل الإله أمطار السماء تهطل، ويبدي أسفه لأنه حسبها في الفيوم (أيوب ١٥/١٢؛ ٨/٢٦).

١٢ - نساء كنعان جميلات وكأنهن آلهة (تكوين ٢٦/١؛١٢/١١)؛ وهن خبيرات فيستطعن إعادة المشرف على الموت الى الحياة.

ولكن لايجوز لأحد الاقتراب منهن وهو يحمل نوايا سيئة: لابد من السيطرة على الأهواء (أمثال ٢٥/٦؛ لاويين ١٨/٢٠؛ ١٩/٢٠)؛ ورفع اليد عن زوجة الغير. الحرمان يسبب الاضطراب ويجعل الانسان حاراً كالنار، وينشف الريق (أمثال ٢٦/٦-٣٢؛ صموئيل ثاني ٣٢/١٣؛ نحميا ٨/٥).

ومع ذلك لابد للرجل أن يكون عفيفاً ومتحفظاً مع النساء، لأن الزوجة تشابه زوجة إله: وهي تعرف أسراره الخفية (أيوب ٣١/٩-١٢؛ خروج ١٧/٢٠؛ حزقيال ٦/١٨)، منزلها مقدس كالهيكل، وهو مكان الأسرار المقدسة، وهي نفسها تشابه مسكن إله من الآلهة.

الحكمة على أفواه النساء. يجب الدعاء والتضرّع الى الآلهة من أجل أن تصبح شفاههن، وهي حلوة كالرمان (أمثال ٣/٥؛ ٢١/٧ - مزامير ٣/١٢٨ - أناشيد ٣/٤- ٦/٧) - لكي تصبح ينبوعاً تتدفّق منه الحكمة التي تؤدي الى الثروة (أمثال ١٦/١١؛ ٤/١٢؛ ٢٢/١٨؛ ١٤/١٩).

١٣ – عنـدما يقبّل الرجل المرأة أو يعانقها «بحرارة شديدة» تصبح حاملاً (أمثال ٦/١٠؛ ٢٤/٣٣ – جامعـة ٤/١١). يجب عند ذلك، التوسل إلى الإله لكي يمنح الزوجة الحكمة المناسبة، فتستطيع إنجاب «أمل الإزهار»، المؤتمنة عليه. لا يعنّف (يضرب) المرأة الحامل إلّا من اقترب من «نهاية الاعتداد بالنفس» وهو يتعـرّض «لأشد الآلام» (خروج ٢١/٢٢). ساعة الخلاص يجب انتظارها بصبر (أيوب ٣٩/٢). أمّا الرجل العنيف الذي يتباهى بالقتل، فليعلم أن الآلهة وحدها هي التي توصـل الى البلوغ ما لايزال «أملاً بالإزهار» (أيوب ١٠/٨؛ ١٠/١٨؛ ١٤/١). الآلهـة تفعل (تخلق) ما تشاء؛ هي التي تحدّد جنس الطفل، وتاريخ ولادته. الصلوات للآلهة، يجب أن تصدر مع «نفس الصدر» وليس من الفم وحده؛ وبذلك تمنح الآلهة الحكمة للزوجة ـ الآلهة الرحيمة التي تحدد تاريخ الولادة. ـ أما ذلك اللذي يصلي بفمه فقط، بدون إيمان عميق، فإنه سيجد أبواب السماء مغلقة.

١٤ – مَن أرهب امـرأة حامـلاً فليهرب خوفاً من العقاب. ذلك أن الزوجة التي تتعرض لسوء المعاملة خلال فترة الحمل، قد تضع قبل الأوان ـ في الشهر السابع ـ أو قد يتأخر تاريخ خلاصها. من ارتكب مثل هذه الأعمال يصبح غير جدير بالعودة الى بيته، فيطرد الى البادية حيث يعيش بين الصخور أو على الشجر، إلى أن يشفى من غلّه، أو لسبع سنوات. وإذا مات خلال هذه الفترة فليُشهد على نفسه الآلهة، وهي التي أمرت بطرده وإرساله الى البادية انتقاماً منه. الشعب الذي لا يتكاثر، «الذي أفرغ من البذور وجف» (أيوب ١٨/١٩)، يصبح خاوياً، يصبح مثل الرجل الذي ألقوا به خارج الأبواب. ويجب، على العكس، فتح الأبواب على مصراعيها أمام الرجل الذي يكثر الإنجاب (مزامير ١٢٧/٣-٥؛ أشعيا ٢٦/٢؛ أيوب ٢٩/٧).

١٥ – غير أن الرأفة واجبة، بالنسبة لمن لا ينجب لسبب خارج عن إرادته. مساء كل يوم يتم توزيع الخمر والخبز على البؤساء «المحرومين من البذور» (من لا أولاد لهم)، فيأكلوا ويشربوا (إذا لم يكن لهم من يعتني بهم في شيخوختهم؟) (أشعيا

٧/٥٨؛ مزامير ١٢/١٣٥). على انه لا يجوز المبالغة في شرب الخمر (لاويين ١٠/٩؛ عدد ٣/٦؛ أمثال ١٧/٢١؛ ٢٠/٢٣ وأيضاً ٣١/٢٣ - وهي ترجمة سيئة). والخمر الذي يشربه الانسان عند المساء يشبه النار، إذ انه يُضعف ويُسكر. لذا يجب أن تكون الكمية قليلة فلا يقدم الى «الاصدقاء (؟) إلّا جزء من اثني عشر مما يحتفظ به الانسان لمائدته، أي «لوج» واحد من كل «هين».

لاشك أن هذا النص هو من أحدث النصوص التي تتشكل منها التوراة الكنعانية. ويبدو أن هناك وثائق قديمة جداً تتواجد إلى جانب وثائق أحدث منها (NK مثلاً، موغلة في القدم). وهذا النص، بالتأكيد، ليس من إنتاج الحضارة التي نتجت عنها أعمال «إيلي - ميلكو».

البلاد والناس: هذه الوصايا تردد صدى تقاليد ما، ولابد انها تكرر المفاهيم الدينية والأخلاقية لشعب «صعد» ومنحته الآلهة المدن. ثم يأتي ذكر «الصحراء». ونفترض أن شعباً جاء من الصحراء فاستولى بالقوة (بمساعدة آلهته) على المدن الكنعانية. على أنّ المدينة الوحيدة التي سمّيت هنا باسمها هي سَدوم؛ ويبدو ان الكاتب كان يعرف تاريخها كما كان يعرف سوء سمعتها (يتضح ذلك من مجمل النص)، فنراه يستعمل نفس الصور التي وردت في العهد القديم (تثنية ٣٢/٣٢). ويبدو أيضاً أن مفهوم البلاد أخذ يتسع حتى تجاوز الحدود الاقليمية؛ ذلك أننا نرى أن حدود البلاد تصل الى صحراء من الحجارة (فيها شجر يمكن تسلّقه - النخيل على الأرجح)، بينما يحدّها البحر من الطرف الآخر.

الوضع الاجتماعي: إن ما يلفت النظر هنا، هو مفهوم «الشعب»، وهو مفهوم مختلف كلياً عن المفهوم الذي عرفناه في الأساطير الأوغاريتية. الصلوات جماعيّة وهي تقوم على شكر الآلهة على ما أعطوه لهذا الشعب، لكل فرد فيه. الأمنية الكبرى هي أن يتكاثر هذا الشعب حتى يصبح كالبحر. يبدو أن النظام كان جمهورياً، لأن الإله وحده هو الملك. القرارات والأحكام تصدر عن «جمعية» ما، تقرر ما هو الأصلح للمجتمع من الناحيتين المادية والمعنية. قد تأمر بطرد شخص تعتبر وجوده في المجتمع ضارّاً. كما تأمر بتكريم الرجل الصالح. لا يرد ذكر

لطبقات أو لنبلاء في هذا النص.

مفهوم «ج ي ر» (الغريب) أيضاً يختلف هنا كثيراً عما هو عليه في IK . ليس للغريب أن يعيش في المدن، بل يطردونه الى الصحراء. وقد يتواجد في المدينة المتسوِّل «المحتَقَر» الذي يستعطي عندما لا يكون له أولاد يعتنون به.

موارد البلاد: موارد البلاد تقوم على زراعة الحبوب والكرمة. وجود نظام متري دقيق يدلّ على أهمية المبادلات. وحدة كيل الخمر هي «الهين»، والـ«لوج» جزء من اثني عشر جزءاً من «الهين». العناية بالكرمة فائقة، يبعدون عنها الحجارة بانتظام ويربطون النبتة الصغيرة الى دعامة تعتمد عليها في نموّها. كثيراً ما يشبهون الشعب بالكرمة (مزامير ٨٠/١٥-١٦؛ أشعيا ٥/٧؛ ١٦/٨). بالنسبة لري الأرض يعتمدون على الأمطار ويفترضون أن الآلهة «تحبس» الأمطار عقاباً للمسيئين. الماشية تقوم على الغنم والماعز. يستخرجون من حليب الغنم، على الأغلب، نوعاً من القشدة (؟). الأشجار المثمرة كثيرة. يشبّهون ولادة طفل بازهرار الشجرة. يقدّرون كثيراً طعم الرمان الحلو. الفحم الحجري معروف، ويستخدمونه لصهر المعادن، على الأغلب. يعتبرون الفحم العادي غاية في «الجفاف» - فيقولون «جافاً كالفحم» - استطاعوا أن يصلوا بنار الفحم الى درجة التوهج (بواسطة منفاخ). غير أن الأهمية الكبرى في البلاد تبقى للتجارة. السفر بحراً ينطوي على مخاطر كبيرة، ولكنه أيضاً كثير الأرباح. التمنيات تتجه نحو الغنى والوفرة أكثر مما تتجه نحو الصحة وطول الحياة.

المسكن: يظهر لنا مفهوم جديد من خلال هذا النص: مفهوم قدسية المسكن. المنزل يشبه الهيكل ولا يجوز تدنيسه. المنزل ملك للزوجة، والزوج المشاكس يمكن طرده من البيت. لا يجوز للرجل دخول منزل امرأة غريبة عنه. لأبواب المسكن أو الهيكل أو المدينة، مصاريعها. للآلهة أيضاً مساكنها (وهي غير الهياكل). مساكن الآلهة تتواجد في السماء أو تحت الأرض (؟). كثرة الشحوم (الدهون) في المنزل تعني الثروة.

آنية المائدة: بالإضافة الى «الحوض» (المخصص للعبادة)، يرد ذكر آنيتين (؟)

لشرب الخمر: الهين واللوج.

الحياة العائلية:

آ ـ **الولادة**: هدف العائلة هو الإنجاب. الرجل يلقى التكريم بنسبة عدد أولاده (مزامير ١٢٧/٣-٥). من يمتنع عن الإنجاب، لا يستحق أن يكون عضواً في المجتمع، ويُطرد منه. الانحراف الجنسي (اللواط، الدعارة، الاستمناء) يستوجب اللوم. الشرائع تعاقب بشدة من يلجأ الى العنف أو من تدفعه السادية، فيسبّب الإجهاض أو تأخير الولادة. حياة الأمة مرتبطة بنسبة الولادة، لأن الأمّة يجب أن تصبح «كبيرة كالبحر». الحَمْل لا يعتبر حادثاً خارقاً (خارق للطبيعة)، بل هو نتيجة طبيعية للجماع، والآلهة لا تتدخل إلا بقصد إنضاج الثمرة (أشعيا ٤٤/٢٣-٢٤؛ ٥١/١٣) علماً بأنها هي التي تحدد تاريخ الوضع («يوم الوليد»)، وجنس الطفل. ولادة ذكر تعتبر فأل خير وسلام. على الزوج رعاية زوجته خلال فترة الحمل وعليه التضرع الى الآلهة من أجل أن تمنحها «الحكمة». نستخلص من ذلك انهم كانوا يعتقدون ان وضع الزوجة النفسي كان يؤثر بشكل أو بآخر في ولادة الطفل. الوليد يرضع من ثدي أمه، والأب يحتفي بقدوم ابنه بتوزيع الخبز والخمر على الفقراء.
ب ـ **الزواج**: واضح جداً ان هذا النص تم وضعه في زمن أخذ فيه الشعب (الشعب الغازي) ينتقل من مرحلة زواج الضُعالة الى مرحلة الزواج الخارجي. الوصية بعدم التعرض لزوجات سكان البلاد الأصليين تكرر ثلاثاً، وذلك رغم ما تتمتع به هذه الزوجات من جمال وحكمة. ولعل تفسير هذا التشدد يكمن في ظاهرة الاغتصاب وخطف النساء التي تلازم الشعوب التي تأخذ بنظام زواج الضعالة. ويبدو ان المرأة الغريبة تثير غرائز هؤلاء الجنسية بشكل يفقدهم السيطرة على أنفسهم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الاطناب بنساء سكان البلد الأصليين يعني انهن يمكن أن يصبحن زوجات مثاليات مما يدل على وجود فكرة لتشجيع الزواج الخارجي. مهما يكن من أمر، فإن تأثير المرأة «البلدية» على «الغازي» تم وصفه هنا بأروع

وصف: تشبه نساء الآلهة، شفتاها لذيذتان مثل الرمان. على انه، رغم صعوبة التقشف والحرمان، لابد من السيطرة على النفس والامتناع عن الزنى مع زوجات الآخرين. الزوجة مقدسة مثل زوجات الآلهة. إنها مؤتمنة على سر الخلق، وهي كالآلهة تمنح الحياة (تكوين ٤/١). بيتها أيضاً مقدس مثل الهيكل الذي يحتوي على الأسرار الإلهية الخفيّة.

إن هذه التعابير، تذكرنا بالكتابة المسمارية السومرية التي تم فيها تشكيل تعبير «أم» (AMA) بدمج لفظة AN «إله» بلفظة MAL «منزل، مكان». أي ان الأم كانت تعتبر وكأنها تحمل إلهاً، وهي مثل البيت الذي يتواجد فيه إله ما.

ج ـ **الموت**: الموت لابد منه، وكل انسان يموت. غير ان النساء لهن قدرة على إعادة الحياة ـ فهناك تلميح الى قدرة النساء «المحليات على ذلك». وهذا مما يصعب تفسيره.

إن موت أدونيس (الذي بكته النساء) وعودته الى الحياة عبارة عن «خرافة تعددت محاولات تفسيرها. بعض المحللين النفسيين رأوا فيها خشية المرأة من أن يفقد إله الحب قدرته على الحب نهائياً. أما في نصنا فنلاحظ أن النساء «المحليات» عليمات، خبيرات يعرفن كيف يُعدن ما هو مائت، الى الحياة. تتكرر هذه الملاحظة ثلاثاً في النص؛ ويرد ذلك خلال الحديث عن الحياة الجنسية. لذا فقد يكون المقصود أن الكنعانيات كنّ خبيرات بفن بعث الرغبة مجدداً في الحب. لعل مثل هذا الاعتقاد يصبح وارداً.

والموت، على أي حال، يمكن أن يكون عقاباً. الرجل العنيف، الذي يطرد الى الصحراء، قد يلقى الموت فيها بإرادة الآلهة. هذا مع العلم أن تنفيذ الحكم بالموت كان يتم، عادة، بطريقة الرجم.

الأخلاق: الناس على نوعين: الخاطىء والمستقيم. المستقيم هو الذي يخشى عقاب الآلهة ويسعى للتكريم «في أبواب» المجتمع. القرابين تقدم للآلهة بقصد الحصول على شيء ما بالمقابل: العون، الحكمة، الثروة الخ... جريمة شخص ما قد تجلب العقاب للمجموعة بكاملها: الجفاف مثلاً. لذلك كان لابد

من التخلص من العناصر الشريرة بطردها، أو حتى بموتها. النهي عن الزنى هو المبدأ الوحيد المعطى هنا صراحة. كل ما يتعلق بأخلاقية الجنس يتسم بالصلابة: مَن لا ينجب يصبح محتقراً، والمنحرف يعاقب بشدة. العنف والغضب والحقد، أمور ممقوتة يجب تجنبها. الرجل العنيف يطرد من منزله لكي يعيش في الصحراء، بعيداً عن الجماعة. واجب الصَدَقة يرد ذكره في النص وهو عبارة عن جزء من اثني عشر جزءاً من الانفاق اليومي.

على أن المشرّع يوافق على التمتع ببعض ملذّات الحياة: الطعام، وبعضه يعتبره نوعاً من الترف وهو جدير بالآلهة مثل حليب الماعز، القشدة، الدهن، لحم الجـدي، الثمار الحلوة الطعم مثل الرمان، الشراب، علماً بأن كثرته تؤدي الى السُكْر وهو ممقوت كما تؤدي الى الوهن. يجب تجنب السكر عند المساء بشكل خاص ولعلّ السبب في ذلك تحاشي فقدان الوقار أمام الزوجة. والحب، يعتبرونه مصدراً للعديد من ملذات الحياة: من القبلة الى العناق، ومن العلاقة الجنسية حتى ولادة الطفل. جميع هذه المسرّات كانت مقبولة طالما هي في نطاق الزواج. خارج نطاق الـزواج هذا، يتعـرض المرء لإشكالات الحرمان: النار في داخله، الاحمرار مثل وهج الجمر، جفاف الريق في حلقه. وعليه تحمّل ذلك كله والتحلي بالصبر لئلا يقع في خطيئة الزنى.

العدالة: الآلهة هي التي تحاكم البشر، وقد تتأثر أحكامها بالقرابين والصلوات. السلطة التنفيذية تعود للشعب، وهو أداة تنفيذ إرادة الآلهة. إذا أدّت العقوبة الى موت الجاني الذي لم يحكم عليه بالموت، فمعنى ذلك ان الآلهة هي التي شاءت ذلك.

جريمة شخص ما، قد تجلب العقاب لشعب بكامله. العقوبة المفروضة على الجاني هي الطرد أو الرجم حتى الموت. والطرد على نوعين: الإبعاد عن الجماعة أو الطرد خارج المدن، الى الصحراء. في الحالة الأولى يستطيع «البائس» أن يعيش على الصدقة؛ وفي الحالة الثانية يعيش المجرم حياة «ج ي ر»، أي انه يعيش في الكهوف (بين الصخور) أو على الشجر (النخيل؟)، مقتاتاً بما يمكن أن

يعثـر عليه في هذه الأماكن. يرجمون البشر كما يرجمون الأشياء، وقد يرجمون الكرمة لسبب نجهله.

الآلهـــة: الإله إيل والآلهة «ي ل م» هي الوحيدة التي يرد ذكرها بالاسم في هذا النص، علماً بأنـه لم يرد أي ذكـر للشياطين فيه. الآلهـة هنـا تتصف بالجمال والاحسان والرحمة. لكنها قد تصبح «ساخرة» (مسيئة)، إن هي لم ترض عن موقف البشر منها.

لعلها المرة الأولى التي لا نجد فيها ازدواجية بين الآلهة؛ ازدواجية تقوم على وجود آلهة محسنة من جهة (يسعى البشر للحصول على بركتها بالتكريم والتبجيل) ومن جهة أخرى آلهة مسيئة (يخدمها البشر أيضاً خشية غضبها). نعتقد أن هذا المفهوم الجديد القائم على التوحيد ليس كنعاني الجذور.

هذه الآلهة «تحدد الأيام»، وتنتقم للجريمة، وتقضي على من لا يكرمها. «تنقضّ» على الخاطىء، وتترك الانسان المستقيم يعيش بسلام. إيل (كبير الآلهة) يملك القـدرة. قبضته هي القدرة بعينها، وقدرته واسعة كالبحر. يريد لشعبه أن يتكاثر. منحه المدن وحقول القمح والكروم. يستطيع حبس الأمطار في السماء أو تركهـا تهـطل على الأرض. الآلهـة تقطن السماء أو تعيش تحت الأرض(!؟). منازلها تتواجد في هذه الأمكنة وهي ملأى بالدهن، وهي تعيش في بحبوحة (أشعيا ١/١١؛ مزامير ٩/٣٦؛ ١٢/٥٠؛ ٧/٤٠).

العبادة: أمكنة العبادة هي الهياكل والمداخل (مداخل الأبواب). لم يرد ذكر لكهنة ما في النص. ولكن يعتقد أن هناك كهنة يقومون بطقوس العبادة وجباية الضرائب وتقديم القرابين. يبدو أن الضرائب كانت تجبى بانتظام، وكان من الخطأ السفر بحـراً قبـل تسديد الضرائب كافة (مزامير ١٠٧/٢٣-٣١). لانعرف كيف كانت تجبى هذه الضرائب. ويبدو انها كانت توضع في الهيكل، على «رأس الحوض». القرابين متنوعة. الأضحية تحرق في مطلع كل شهر (مع الهلال؟) بقصد الحصول على حكم إيجابي من الآلهة. وقد يكون القربان ذبيحة (جدياً) أو حليباً أو قشدة (مزامير ١٣/٦٦، ١٥) والقصد منه الحصول على «عون» الآلهة ولابد من وجود

كاهن يتلقى هذه القرابين ويتولى «رفعها» الى هذه الآلهة.

غير ان هذه الآلهة تفضل المدائح والصلوات على القرابين. يمتدحونها على إحسانها وعلى الحياة التي تهبها للأمة. القرابين التي لا تقدمها أيد صادقة غير مقبولة. الصلوات التي تصدر عن الشفاه وحدها لا تجدي، يجب أن تصدر من أعماق القلب والصدر. كل هذه التفاصيل تفترض وجود طقوس ثابتة، كما تفترض وجود صلوات معروفة. على اننا لم نعثر على وصف لهيكل ما، باستثناء «حوض القرابين».

قيمة الأرقام الرمزية: نلاحظ هنا ان التعليمات الهامة تكرر ثلاث مرات. هناك إشارة أيضاً الى الرقم /٧/. أما بالنسبة للمقاييس فنلاحظ ظهور النظام الاثني عشري.

على العموم، تمتاز لغة هذا النص بأنها أكثر تطوراً من بقية نصوص التوراة الكنعانية. نلاحظ هنا استعمال عدد من التعابير المستحدثة والتي تتواجد أيضاً في اللغة الآرامية. نلاحظ أيضاً أن تركيب الجملة، بالنسبة لتأخير أو تقديم اللفظ، لغاية بيانية، أصبح مدهشاً. هناك أشكال جديدة من قواعد اللغة أيضاً تظهر بوضوح. الأسوب نفسه يختلف كثيراً عن أسلوب زمن «ايلي ميلكو». كل ذلك يدفعنا الى القبول بأن هذه الوثيقة تعود إلى أواخر أيام أوغاريت، بعدما أخذت الحضارة الكنعانية تتأثر بعناصر أثنية جديدة تسربت اليها. ومما يزيد في ترسيخ هذا الاعتقاد ما نراه من تغيير واضح في العادات وحتى في الشؤون الدينية. ذلك اننا لم نعد نجد ذكراً للشياطين ولا لبعل وعشتارت وعشيرات وعناة وايلات. العبادة تتم الآن حول الهياكل و«الأبواب» بدلاً من الأماكن العالية والـ ب ح ل. ـ الحياة العائلية نفسها تبدلت بشكل جذري. الوضع الاجتماعي أخذ أشكالاً جديدة. مثل هذا التغيير لا يمكن تفسيره إلا بتبني نظرية، سنراها فيما بعد من خلال دراستنا للأخبار التاريخية الكنعانية. عند ذلك سنرى صدى الكفاح المرير الذي أدّى الى تحرير البلاد من الاحتلال المصري من جهة، كما أدى، من جهة ثانية الى استقرار العبرانيين في أرض كنعان. صحيح ان الحضارة الكنعانية استطاعت امتصاص

العبرانيين الذين جاؤوا من ميزوبوتاميا (؟) على الأغلب (أشعيا ١٩/١٨)، ولكن هذه الحضارة بدورها قد تأثرت بالغزاة وبعاداتهم ومعتقداتهم. هذا التكيف المزدوج، أخذ بالطبع ينحسر مع الزمن وكثرة الزواج المختلط، لكن الطابع الغالب بقي قطعاً الطابع الكنعاني. هذا وقد يكون طبيعياً أن يتبع الغزو العبراني، اهتمام من قبل الكتبة الكنعانيين بشرح ونشر عادات الغزاة ومعتقداتهم للسكان الأصليين. في اعتقادنا، هذا النص قد تأثر (وقد يكون مترجماً) بنص عبراني. إن تحليل هذه الوثيقة يبين لنا ان العبرانيين حملوا معهم عادات وتقاليد محددة. إن معرفة الإرث الكنعاني من جهة، وفك الرموز الهيروغليفية النيو-حثّية من جهة أخرى، يسمحان لنا اليوم بمعرفة وتحديد التقاليد المحلية التي أخذها العبرانيون وبالتالي معرفة وتحديد العنصر العبراني البحت في العهد القديم. مراجعة بسيطة لنصنا هذا تجعلنا نكتشف العناصر العبرانية البحتة الواردة في سفر التثنيةلله، وذلك لدرجة تجعلنا نفكر بأن هذا السفر أقدم بكثير مما يُعتقد عادة»*.

لابد من الملاحظة هنا أيضاً ان اسم «يهوه» لم يرد في نصنا، علماً بأن الاعتقاد السائد يقضي بأن هذا هو الاسم الذي كان يطلقه العبرانيون على إلههم عندما دخلوا أرض كنعان. والحقيقة هي أن المعطيات التي حصلنا عليها بنتيجة حل الرموز الهيروغليفية النيو-حثّية، تجعلنا نعتقد أن اسم «يهوه» الذي أطلقه العبرانيون على إله الجيش لم يكن موجوداً قبل زمن إيليا، أي في منتصف القرن التاسع. ويستنتج من مجمل النص أن آلهة العبرانيين كانت تشكل مجموعة واحدة، مما يتناقض مع ثنائية الآلهة في المعتقدات الكنعانية. ومن المرجح، على أي حال، أن إلههم الرئيسي لم يكن اسمه إيل، ولكنه يرد في النص في عبارة يمكن ترجمتها بكلمة «إله» هذا مع العلم أن هذا الإله يختلف كثيراً عن إيل، زوج عشيرات وأبو إيلات وعناة، إله الكنعانيين الرئيسي. وقد يكون تم الخلط فيما بعد بين إيل وإله العبرانيين، ثم تم الخلط من جديد، في فترة لاحقة، بينه وبين

(*) أنبياء اسرائيل تأليف لودز LODS باريس ١٩٣٥

يهوه، إله الجيش. على أي حال، إن هذا النص يثير تساؤلات عديدة لابد من تركها معلقة، في الوقت الحاضر.

القسم الثالث

النصوص التاريخية

ا ـ أبناء عهد الملك ـ الكبير
١ ـ رواية ايلي ـ ميلكو
الفصل الاول

تم العثور على خمس لوحات تتعلق بهذا الموضوع نعتقد أن أهمها اللوحة VAB. وهي لوحة من ستة أعمدة تتواجد في متحف اللوفر (AO.16,638 - 16,639) نشرها السيد ش. فيرولّو تحت عنوان «الإله عناة» في المجلد الرابع من منشورات بعثة رأس شمرا، باريس، ١٩٣٨.

إن حجم هذه المجموعة وتنوع المعلومات التي تحتويها جعلنا نقوم بدراسة كل لوحة على حدة، مما أدى إلى تكرارٍ، لم نعمل على تحاشيه لأنه يساعدنا على إبراز بعض التفاصيل وعلى تجنب كثرة الإحالة إلى نصوص أخرى.

VAB

(٢١ سطراً تقريباً، مفقودة).

مثل الثور، يعمل العالي ـ الرفيع.
بعل لَعَنَ منزل السيّد؛

وقام بتقدير كميّة القمح في البلاد.
أرسل جيوشه
أرسل الخراب كالبَرَد لكي يُشوِّشه
بجفاف الصحراء المالحة.
عند نهاية التمرّد، يُهلك
الهارب، ينقضّ عليه مُدمِّراً.
ـ ليعطَ مقعداً تستريح عليه أعضاؤه
لأنه تعبَ من منعِ يده؛
بواسطة الكروبيم سوف يجندلنا! ـ
ـ المباني التي تكسوها القداسة، تهدَّمت
والتقت كنوزها الثمينة إلى المرأة. إنّه مُتعب ـ
ومن أجل أن تُستهان عشيرات، ـ ألف
جرّة ملأى بالخمر، أخذ؛
الشِّقاق خَلَطَه مع الخمر.
الخصوم يهلكهم عند القتال؛
الاحتقار العميق يجلب لنفسه السرور؛
والعقاب يعينه. ـ الصوت
رفعه السيّد، وقد أقلقه الخوف
المكتوم. غَضب السيّد؛
صاح قائلاً: «سوف أفتح
بيت اللعنات، في الوقت المناسب، سوف ألقي
(١٧ سطراً ناقصة).
(٢١ سطراً ناقصة).
من أجل الشبل الشبعان، طعم الجدايا.
وإذا لقيَهم، فالمذبحة رهيبة

عندما يهاجم التعساء، ويلتقي بالفتيان.
يسعده تدمير الأعداء. الشقاء يعمّ.
يحقّق القسمة (التوزيع) في السهل؛ يستولي على تسيف. » بين
سكّان المدن، يوزّع كل شيء. شعب شاطيء البحر،
قضى عليه؛ الإنسان أصبح منهكاً، أصبح كالغيط.
مثل الكرة تتدحرج تحته الرؤوس؛
وفوقه تتطاير الأيدي وكأنها الجراد، ومثل ثمر
الدُنلب تتساقط الأيدي. يتسارعون لـ. . .؟. . .
الرؤوس إلى الأماكن العالية، لكي تصبح شارة
ترفعها الأيدي تأكيداً بأن المباركين، قد أهانهم.
«شمرون» في الدم تسبح، حقولها دُمِّرت،
أهلُها طُردوا من تِلالهم، تحت النير؛ -
بقدرة قدسية، استولى على المقاطعات.
ثم استراح في بيته، متباهياً بالبؤس الذي خلّفه.
رفع صوته وخاطب إيلات، في قصره،
لم يرتوِ بعد. بالكامل قام بتقسيم -
ما استولى عليه في «تسيف» - في السهل، بين سكّان المدن.
تم إحصاء المقاعد بسرعة، وإحصاء المناضد
والأسرّة. أكثر من ذلك:
بكاملها تمّ إذن تقسيمها وإذلالها،
«تسيف» المحتلَّة، وأسعده هذا الإذلال.
تجمَّعت كبِده فامتلأت بالضَحِك؛
وقلبه الذي يغمره الفرح زاد في البؤس.
نسي أنَّهم مباركون أولئك الذين أهانهم.
في «شمرون»، الحقول دمِّرت، والتلال،

وكل شيء تم توزيعه ـ في البيت،
تحت الفِراش، بين المناضد، أخذ بمحو
. . . دم «شمرون» الذي سفكه: رمز
السلام. مختالاً، أَخَذ يغسل بيديه المنزل،
. . . من الهون؛ بأصابعه أخذ يغسل
يدي الخليلة الأجنبيَّة، من دم «شمرون».
بأصابعه، بين خرائب تلالِهم،
أمر بتوزيع الحصص: المقاعد مقابل المناضد
المناضد مقابل المقاعد. ما تبقّى لهم من مناضد،
. . . من عتباتهم. ـ كائن من كان، فليغتسل إذن:
ندى السماء سوف يكون رمز ازدهار الأرض.
راكب الغيوم، بندى السماء سوف يغطّيها؛
سوف تزدهر (؟)؛ وسوف يحميها من شديد الآلام.
(١٥ سطراً ناقصة).
. . . اللؤلؤ
من صوره، تقترب لمداعبة السيد الأعظم
ـ «بيدي فتحت بيت اللعنات»؛
«الحب، رفضه. فتيات عديدات، رغبت بمداعبتهن».
ـ المنزل تغطيه الغيوم الكثيفة. مثلما يفعل الشبّان،
هكذا، يضع عربوناً على قدمي عناة، لكي ترتبط به
وينحني، ضعيفاً، لينال الحظوة.
يتوسّل الى العذراء عناة،
يكرّر إلى ي م م ت الشعوب
شكواه، السيد الأعظم، بحزن
كبير: «المتمرّدون الأقوياء، في البلاد،

«هم الذين سبّبوا الحرب. بأمراض كالرصاص
«أثقلوا السلم. تكريماً للأرض،
«بالغي في الملاطفة، تكريماً للحقول.
«إليك ألجأ، أطلب النصح، أ. . . ؟
«شعبي، قدماك يـ. . . ؟. . . ، شعبي،
«يـ. ؟. تلالك. ـ صامتة هي الصلوات! ـ
«لكن النار في جسدي، وصراخي أوجّهه إليك
«حزيناً، مكرراً صلاتي.
«الخشب والحجر
«يتضرعان الى السماء. شعب البلاد
«أصبح في الهاوية؛ شعبنا يعاني أشد الآلام،
«بسبب البَرد، والصاعقة والبؤس. ولتدرك السماء
«صلواتنا. ألا تعرفي إذن، ما هي التجارب، ألا تسمعي
«إلى ضجيج الأرض؟ ـ إني أصبحت منهكاً، مغلوباً.
«إني أتوسل اليه من أعماق شدتي، ذلك الإله الخفي؛ ـ
« ـ وفي خراب ميراثي ـ بقدسية ، بجمال،
«بشهامة، سوف تساعديننا.

«بضربات من الشؤم، ضجت الآلهة؛ بـ. . ؟. . أقدامها
«تحطمت الثقة، وكُنست، بالحبور.
«إلينا سيدير وجهه، لابد وأنه يعلم. لكنه مغلق، وجه الإله،
«للمطرودين، للسيئين، بحكم شدته. ـ ليُحْمَل الشفاء،
«لتُحمل القوة الحياتية؛ وإلّا، كيف تستقرّ الكرمة، كيف يرتاح الحقل؟
«أصدر أمرك، ولكي يوافق على الإشعاع، إلى سيد الكرب

«إلى راكب الغيوم، لابد من إعداد ملجأ».
ـ فليُلعَن يوم نهاية المسرات، لعناً كثيراً!
لكي يتم حرقه من قبلهم (؟)، تذمّر. ؟. جيوشه.
ـ لقد اختبأ، خجلاً، ذلك المراوغ
الطاغية، سيد الرؤساء السبعة،
اختبأ! لكن الأرض تعرفها الآلهة.
دُمِّرت «عجلون»، اللعنة على زمنك.
المخابىء أصبحت أقفاصاً؛ ـ وحُرقت الآلهة.
وبتدميرهم الهياكل المجاورة، قضوا على الحقيقة.
وتقرّر المصير؛ ـ وصعق السيد.
في موريّا الشمالية، العبودية والظلم يجتمعان.
تخلّى عن سعادته للحصول على عرش مليكه؛
وسلوكه يقوده الى درب الكذب.
يصلّون من أجل أن يوافق على الفرج، سيّد القلق، راكب الغيوم،
ورفع الشبان صوتهم من أجل أن يوافق على الانارة،
سيّد القلق والكرب، راكب الغيوم.
وبحزن عظيم، انطلقت شكوى السيّد الأعظم:
«القادرون المتمردون، في البلاد، هم سبب
«الحرب. بأمراض كالرصاص، أثقلوا السلم.
«إكراماً للأرض، بالـغي بالملاطفة، إكراماً للحقول.
«أبحث عن ملجأ لديك، أطلب النصح، أ. ؟. شعبي، قدماك
«سوف يـ ؟ شعبي يـ. ؟. تلالك.
«. . . . . . صائحين بحزن
«ونكرر لك الصلاة. الخشب والحجر
«. . . ألا تدركين انها التجارب، ألا تسمعين

«ضجيج الأرض ؟ . . . . . . شعب البلاد
«أصبح في الهاوية، البَرَد، الصاعقة، البؤس
«تلحق بشعبنا شديد الآلام. ولتعلم السماوات أننا هُزمنا، أنهكنا.
«من أعماق محنتي، أيها الإله المستتر،
«بكل قدسية، ـ من خلال تدمير ميراثي». ـ
ـ وتكلمت العذراء عناة: «ستبقى.
« . . . . . الشعوب، . . . . سوف أنادي.
« . . . . . . الحروب . . . . بالرصاص
«الأمراض تغطي السلام. إكراماً للأرض
«سوف أبالغ بالملاطفة، إكراماً للحقول؛ ولكن ليلقِ
« . . . . . . ـ السيد يحترق من فقره.
« . . . . . . ؟. الذي ألقاه.
« . . . . . . على الأرض، الحروب.
«تثقلني الأمراض كالرصاص، وأنت السبب.
«أعد السلام إلى البلاد إكراماً للأرض. وسأبالغ بالملاطفة
«إكراماً للحقول. بتكرار الصلوات
«جعلوني أصلّي إليك. اذهبي واجمعي غيوم الآلهة.
«يكسوكم العار، ويمتلكني الغضب!
«اكسحها، ولتبتعد، تلك الآلهة الجوفاء! ـ
« من أجل أن تبتعد الـ . . ؟ هناك طريقتان:
«ذلك أنّه تحت شقاء الأرض، تتواجد ثلاثة أغطية.
«لمُصابك، لن يُدر وجهه، شعب بعل؛
«في مموريّا الشمالية، مثل ألف شيطان، جيش من الشياطين
«يسير، يرافقه الرعب. فليبدأ السيد برشّ
«المحظيّة، فتوافق على الرحيل. هذه المرأة بلآلئها،

«تظهر أمامه بمظهر الصديق، لكن وجهها
«مرّ وقاس . فلتبتعد، كائن من كان ذلك الذي غسلها .
«من أجل أن يصبح ندى السماء إشارة إلى أن الأرض قد تغطت، وأن
السماوات تحميها،
«ولتزدد قرابينه، ذلك الذي يتألّم أشد الألم .
«وليقرع الطبل، إذا لقيهم، مثل ألف شيطان . . .
(/١٦/ سطراً ناقصة) .
كإبنٍ . . .
ذكاؤه (؟) . . .
كافر، لقد فَتَح . . .
البيت تغطّيه . . .
البيت تغطيه الغيوم الكثيفة . . .
. . ؟ . . وأجاب . . .
«سيظل بالنسبة لي، أيها الأمير الإله . . .
«سيظل بالنسبة إلي . وله . . .
« . . . الجبهة . الشكوى عبارة عن درس يعطى الى الأرض .
« . . . قَدَره . الأقدار صامتة، وهي غاضبة عليه .
«من أجل أن يُلجم البؤس، يجب إعداد هيكل لبعل، مثل بقية الآلهة
«وساحة، مثل أحد أبناء عشيرات . . . الرجل
« . . . أن يلتفت لمصابه .
«شعب إيل سيعود إليك مسروراً . تقدم بحذر!
«إلجم الأمواج، إيل واكشف عن صدرك!
«لقد انهار، الملك . ـ وافق على . . . ، إنه في ضيق شديد .
« . . . ؟ . . . .
رفع صوته متوجهاً نحو الإله، سيّد أبيه . . . « . . .

«في الغرف الملأى بالدهن، حتى الاشباع
«إنها مغلقة . . .
«أجب، أيها الأمير . . .
«علينا . . . » .
على قدميه، الفتيان . . .
أكثر من ذلك، . . .
«إذن، في خشية الآلـهة، نهاية الاعتداد بالنفس . . .
«لقد تعبت السماء! ـ والموت بيد أبناء الإيليم» .
أجابت العذراء عناة: « . . . .
«لأن القرارات التي تجلب البكاء، مُخزية . لا يَسُرَّنَك،
«لا يسرنّك أن . . . . . .
«لا تسرع إليهم بيد . . .
«شهامة، أصبحتُ رحيمة . . .
«سقوطك، أ . . . ؛ في الأحشاء، تلقيتُ الإهانة،
«أيها الإله الذي يعيش متخماً، وغرفه ملأى بالدهن!
«ومع ذلك، معارفك تبقى محجوبة، والمنزل لايزال حزيناً بفعلِك .
«ذلك انه ليس بين الآلهة . ؟ . من يعرف أصول عقد الخطوبة
«مثل العذراء عناة» . ـ وأضافت العذراء عناة: ـ
«عتابُك، إيل، هو رأس الحكمة .
«الشعب سيظلّ حياً، على الرغم من سهام عتابك .
«لكن الملك، هو السيد الأعظم، القاضي،
«وهو يفقد الحكمة، عندما يتمرد على القسوة؛
«يصبح غبياً عند ذلك؛ والغباء يكسوه .
«أتطلع إلى عودته إلى الحياة، أيها الأمير إله أبيه، يا إيل
«الملك . ـ مضى عليه وقت طويل وهو يشكو؛ فليعد إلى الحياة،

يا عشيرات،
«وليولد من جديد، يا إيلات؟ و . ؟. واجعلوه يسير قدماً».
ـ هكذا، لا هيكل لبعل، مثل الآلهة،
ولا ساحة، مثل أحد أبناء عشيرات. ـ من تخلّى عن إيل،
يخيّم الظلام على عقله، على عقل المرتدّ، بسبب عداوة عشيرات.
يوم خيانته، فُتح باب اللعنات؛
مظلم ومغطّى . . . بالشقاق، ذلك المرتد.
(/٢٠/ سطراً ناقصة)

(/١٠/ أسطر ناقصة؛ وخمسة لم يبق منها إلا نهاياتها)

. . . . . عندما يقتربون
العبرانيون، ضع حدوداً للعبرانيين.
لتكن قعيلة للعبرانيين،
المرتفع الأجرد، شمشيراي
لاداكي، عشيرات
من آي حتى قادشِ عمورُّو.
إلى محنتك، لن تُدر وجهها،
مصر القاسية.
باللعنات، دمّروا «كافتور»؛
«بالقوات السماوية»، غطّوا منازلها،
أرض ميراثها
بواسطة ألف شيطان، يقاتلون
مثل جيش شياطين، على الأقدام أسقطوها.
بالسرعة أجبروها على الانحناء

تثقلها المصيبة.
توسّل إذن إلى حارس الموتى
ومرشدهم، من أجل أن يضاعف
خرابها بأيد خفيّة.
ـ شكوى السيد الأعظم . . .
(٢٠ سطراً تقريباً، ناقصة)

رواية ايلي ميلكو «لأخبار الملك الكبير» مؤلفة من خمسة فصول مستقلة عن بعضها البعض. ويبدو أن الترتيب المتبع جاء وفق تسلسل الأحداث، علماً بأن الكاتب كثيراً ما يذكّر بأحداث سابقة أو يشير الى أحداث لاحقة. لذلك فإنه لا يمكن اعتبار تتابع الأحداث دقيقاً كل الدقة بالنسبة للتسلسل الزمني.

«أنباء عهد الملك الكبير» تعرّفنا على صفحة من التاريخ الكنعاني. انها، بالطبع، أقرب الى مفهوم «الرواية التاريخية» مثلما هي الحال بالنسبة لحوليات مورسيل الثاني أو لبعض محتويات العهد القديم. إن تدخل الآلهة المستمر، والتطرق الى حياة الملك الخاصة، لا يؤثران في الاهتمام بالأحداث الخطيرة التي جرت في ذلك الزمن. سنحاول، ما أمكن، رواية القصة على الرغم مما أصاب النصوص من تشويه.

في مدينة ما من بلاد كنعان، كان يعيش حاكم يلقبونه «بالسيد الأعظم» أو الملك ـ الكبير. يلقبونه أيضاً «بالسيد» أحياناً، وأحياناً «بالملك» أو «القاضي». وقد يلقبونه بهذه الألقاب جميعاً في نفس الوقت.

يبدو ان بلاد هذا الملك تعرضت لهجوم، أو حلت بها كارثة ما. عندما تبدأ قصتنا نجد الملك ـ الكبير مشهوراً بمداواة جراح الحرب. ذلك ان لعنة بعل، حلّت في منزله، فعرفت البلاد المجاعة، والبَرَد والخراب وأخيراً الجفاف. تمرد الملك ـ الكبير، وقد أثاره هذا الواقع الأليم، على بعل. وكان هذا الأخير متعباً، فأمر مساعديه بملاحقة الملك والقضاء عليه. هنا ظهرت أول بادرة كفرَ مَن الحاكم

الـذي كان يعيش مع خليلة أجنبية من أتبـاع بعل. تأثر بخليلته فارتد عن عبادة عشيرات وهـدم الأبنية المخصصـة لعبـادتها، فاستولى على ما تحتويه من كنوز ومجوهرات وقدمها هدية لخليلته. ثم ذهب الى أبعد من ذلك فقرر إبادة خصومه (أتباع إيل وعشيرات)، «فمزج الفتنة في خمرهِ» وفتح «بيت اللعنات» موغلاً في عداوته لعبادة عشيرات. . . (نقص في النص). . . ولعل ما يفسر هذه الردة أيضاً ان شعباً غريباً، العبرانيين، قام باجتياح جنوب مملكته، مما اضطر الملك ـ الكبير الى الانسحاب نحو الشمال حيث كانت عبادة بعل، شائعة. في الشمال هاجم الملك بعض الشعوب المسالمة، التي تقيم فيها من قديم الزمن، واستولى على أموالها وأراضيها.

عاد الملك ـ الكبير وهـاجم شعبـاً يقيم على شاطىء البحـر، قرب سهل «تسيفـ» (؟). وكانت معركة ضارية أخذت الرؤوس فيها تتدحرج مثلما تتدحرج الكـرة، أمـا الأيادي فكـانت تتـطاير في الجو مثل الجراد ثم تتساقط وكأنها ثمر الدّلب. قام بعد ذلك بتوزيع الأراضي على سكان المدن (الـ ك ر ت ي م)؛ نهب مقـاتلو الملك ـ الكبير كل شيء وتقاسموه فيما بينهم: هذا يحمل سريراً، وذاك يحمل منضدة أو مقعداً الخ . . . لم يبق في مكانه إلاّ عتبات المنازل المهدمة. ومن بقي من الأهالي على قيد الحياة، تعرّض للعبودبة والنفي. عاد الملك، وقد أسعدته هذه الانتصارات التي جلبت على البلاد المزدهرة، الخراب والدمار، ـ عاد الى منزله للقيام ببعض الطقوس التي من شأنها أن تعيد السلام والرخاء. غسل يديه من الدم المسفوك، وبمنتهى التواضع طهّر بيته وغسل بنفسه يدي خليلته، ثم فرض على جميع مقـاتليه الاقتداء بسلوكه. توقع من بعل أن يبعث بالندى من السماء ليغطي الأرض فيعود اليها الازدهار من جديد، كما أمر بقرع الطبول لكي تهرب الشياطين.

لكن أعماله الشريرة، مثل الغيظ الذي يطفو على سطح البحر . . . (نقص في النص) . . . (نقص آخر في النص) . . . كان على الملك، في رأي الكاتب، أن يعود لعبادة إيل وعشيرات. سيطر الندم على الملك وأصبح شديد الحزن. أخذ

يمقت خليلتـه نفسها، على ما تزدان به من مجوهرات. ذلك انه، عندما تخلى عن عبادة عشيرات، تخلى، بنفس الوقت، عن الحب. إن عبادة بعل وعشتارت، التي اعتنقهـا عندما «فتح باب اللعنات»، تنادي بمداعبة العديد من الفتيات، تنادي بالبغاء المقدس، على الأرجح.

طالبت شبيبة البلاد الملك بإعادة مؤسسة الزواج، فاقتنع بذلك وتوجه الى العـذراء عنـاة، الخـطّابة، متوسلاً. الحرب، الأمراض دمرت البلاد، ولن يعود الازدهار إلا بعودة الحب وكثرة الانجاب. إذا ما قامت عناة بتأمين عدد كبير من الزيجات فإن الخصب سيعود الى الحقول مع تكاثر النسل. الكوارث أنهكت هذا الشعب؛ الشجـر والحجـر يشـاركـان الانسان في البكاء. على الآلهة أن تكون متفهمة، عليها أن تستمع لشكوى الأرض. من أعماق محنته، يتوسل الملك الى الإله المجهول، الخفي، لعل هذا الأخير؛ وهو الجليل، العظيم، المقدس؛ لعله يعينه.

طعنات القدر كانت قاسية: فُقدت الثقة واختفى (مات) السرور. عامل بعل الكنعانيين معاملة المنبوذين، معاملة السيئين. كان عليه أن يكون إيجابياً مع ذلك الذي اعتنق مذهبه. لابد من تدخل الإله المجهول الآن لإقناع بعل بأن يترك البلاد تعيش بسـلام؛ فتعـود اليهم «القـوة الحياتية والشفـاء»، وتصبح من جديد ملاذاً للشعب. أخذ الملك ـ الكبير يلعن اليوم الذي قرر فيه نهاية السرور (فتح منزل اللعنات). منذ ردته، أخذت المصائب تنهال عليه. العديد من ملوك كنعان لم يتبعوه عندما قرر تغيير عبادته. كان يعتمد، بشكل خاص، على «ملك الرؤساء السبعة» وهو من أقوى الملوك؛ لكن هذا الأخير أخذ يتردد ويوارب. عند مواجهة العدو، اختبأ من خجله. ـ ولكن ليس على الأرض من مكان يمكن الاختباء فيه؛ فالآلهة «قامت بمسح الأرض». مدينة عجلون تم احتلالها وتدميرها؛ أما «ملك الرؤساء السبعة» فقبضوا عليه في المخبأ وكأنه في قفص. الغزاة يدمرون الهياكل في جنـوب البـلاد ـ وصار الحق مفقوداً (أشعيا ١٥/٥٩). ولم يكن الوضع في الشمال أفضل من ذلك، فالملك ـ الكبير استولى على عرش حاكم محلّي (ملك

تسيف ؟ شمـرون؟) وقاد الشعب على طريق عبادة بعل الكاذبة. تدخلت شبيبة البلاد، فأخذ الملك ـ الكبير يتوسل الى عناة، لعلها تتدخل مع الإله المجهول، ذلك الإله الخفي الذي يستطيع رد عدوان بعل.

سمعت عناة الصلوات، هذه المرة، فتدخلت لدى إيل. ـ ذكّرته بما حلّ بالكنعانيين من كوارث، وطلبت منه أن يجمع غيوم الآلهة بعد استبعاد الزائف منها؛ أعلمت أن الآلهـة يجب أن تخجـل ممـا فعلتـه، وأنها هي عناة، غاضبة غضباً شديداً. ثم توجهت الى الشعب وخاطبته فأطلعته على ما تعلم: ـ أمران لا ثالث لهما، يمكن أن يعالج بهماالوضع. من جهة كانت الأرض محمية بثلاث أغطية؛ وانتـزعت هذه الأغطية فتدفقت أفواج الشياطين على الأرض؛ لا مجال لمحاولة استعطاف الشياطين، جماعة بعل، الذين اجتاحوا الآن بلاد موريّا أيضاً، ونشروا الرعب فيها. يتوجب على الملك ـ الكبير طرد عشيقته وهي المرتبطة بالمتمردين (؟) (أو الشياطين). هذه المرأة، التي يزينها اللؤلؤ، تظهر له الاخلاص، ولكنها في حقيقتهـا كاذبـة ومتحجرة العواطف. صحيح أن الملك ـ الكبير قام بغسلها وتطهيرها بيديه؛ مع ذلك لابد من رشها (بالماء) كما يرشون الشياطين (راجع IID). هذه المرأة يجب أن ترحل. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، لابد من الاكثار من القرابين، وقرع الطبول من أجل أن تهرب الشياطين، عندما يتم ذلك كله، سوف يتساقط الندى من جديد و«يغطي» الأرض، فتحميها السموات... (نقص في النص).

... عندما نعود الى نصنا نجد أن عناة لاتزال تتوسل الى إيل... شرحت له كيف أن البـلاد تلقت درسـاً مفـاده ان التعصب لا يؤدي إلا الى الدمار، وأن المصـائب كانت كبيرة الى درجـة أصبـح معهـا من الصعب التكهن بما يحمله المستقبل، ثم اقترحت عليه مايلي: ان الكوارث تلاحقت لسبب واضح، هو عدم وجود هيكل، مكانٍ ما يمكن «حبس» هذه الكوارث فيه؛ فليشيد هيكل لبعل مثل الهياكـل التي تبنى للآلهة من أبناء عشيرات؛ ولتخصص له ساحات بحيث يتم تنظيم عبادته. لا حاجة لإيل «بكل» هذه القرابين، فليتنازل عن بعضها من وقت

لآخر لبعل. ذلك ان مسكن إيل يغص بالدهن والإله نفسه أصبح متخماً.

لكن إيل رفض هذا الاقتراح. ما الذي يضمن له أن عبادته لن تُمنع مستقبلاً؟ وكان، على أي حال، لابد له من الاجابة بأن عناة كانت من مجموعة الآلهة التي تنتمي اليه: أجاب بشكل قاطع: «ان نهاية الاعتداد بالنفس ترتبط بخشية الآلهة». السماوات تعبت من كثرة الرحمة. انه قرر اللجوء الى القسوة، انه قام بتسليم الموت الى الملائكة، ابناء الإيليم.

حاولت عناة التخفيف من غضب الإله: «لا تفرح بالسوء الذي تسببه، لا تتسرع بإلقاء قبضتك على هذا الشعب، بل ارحمه وليهدأ غضبك». ان قرار إيل ما هو إلّا إهانة موجهة إليها هي، عناة ـ إهانة تصيب أحشاءها. لكن إيل بقي على عناده، وبؤس الآخرين لا يعنيه، ومنزله يغص بالدهن. أما منزل الملك ـ الكبير فيخيم عليه الحزن بمشيئة الآلهة، وعناة تشاركه هذا الحزن.

ولكن، إذا توقفت عبادة إيل في البلاد، فإن عبادة عناة ستتوقف معها؛ فيعم عهد عشتارت وتعم معه الاباحية؛ ذلك ان عناة وحدها هي القادرة على عقد الزواج. لابد لها من الاعتراف بأن إيل محق في لومه، لكن هناك واقع يتوجب التعامل معه. مهما فعل إيل فإنه لا يستطيع القضاء على الشعب بكامله؛ ويُخشى أن يتصرف السيد الأعظم، الملك ـ الكبير تصرفاً لا رجوع فيه. إنه عنيد، والتهجم عليه يزيده عناداً: وقد يصبح غبياً. الأصح أن يبعث إليه الإله إيل بالعشاء، وأن تبادر عشيرات بالمساعدة في إنقاذه، ثم تقوم إيلات، بتسديد خطاه على طريق الحق.

إن عبادة بعل ليست منتظمة مثل عبادة بقية الآلهة. والملك ـ الكبير الذي سيطر الظلام على عقله لا يقتنع بضرورة دمج طريقتي العبادة، وإقامة هيكل لبعل كما لو كان أحد أبناء عشيرات، بدلاً من ذلك قام «بفتح بيت اللعنات» يوم ارتداده، واستمرت الفتنة... (نقص في النص)...

عندما نعود الى النص نج إلهاً ما ـ إله الجدود على الأرجح ـ يعطي نصائح عملية للملك ـ الكبير:

الأخـطار التي تهـدد البـلاد كثيرة، لكن أهمهـا خطر الاجتياح العبراني. لا مجـال للتفكير بالـدفـاع عن البلاد بكاملها، بسبب تخاذل البعض من جهة، وبسبب عدم وجـود حلفـاء يمكن الاعتماد عليهم من جهة أخرى. من الأفضل والحالة هذه، رسم حدود للعبرانيين، والتخلي لهم عن «قيلا» (قعيلة؟)، «والمرتفع الأجـرد»، و «شمشيراي» و «لاداكي» (؟) ـ التخلي لهم عن المنطقة الواقعة بين «آي» و «قـادش أمورّو». لا فائدة ترجى من الاستنجاد بمصر، فمصر بلد قاسي القلب لا يشعـر بآلام الآخـرين. لدينـا مثـال على ما نقـول هو مثـال «كـافتور» (كـريت؟). قاتلوا من أجـل هذا البلد قتال جيش من الشياطين، واستولوا عليه بالسحـر، بمسـاعدة قوى سماوية وشيطانية. أصبحت كريت تابعة لهم وأخذت مصائبها تزداد باضطراد منذ ذلك الحين. على الملك ـ الكبير الآن أن يتوسل الى الشيطان الرهيب، حارس الموتى ومرشدهم، أن يعيد الى مصر الدمار الذي سببته مضاعفاً . . . . (النهاية مفقودة).

واضـح أن الأحـداث المـروية هنـا، تعرضت لشيء من التحوير لأسباب تعليمية على الأرجـح. ـ ويتضـح ذلك من الرجوع الى الملاحظتين الهامشيتين الواردتين في IAB و IIAB. هناك فترة زمنية لابأس بها، جرت بين وقوع الأحداث (عهد الملك ـ الكبير) وبين تدوينها؛ فترة زمنية كافية لأن تتكون الاسطورة حول المـوضوع، على حساب اختفاء بعض التفاصيل التاريخية الدقيقة. وإذا أخذنا مثالاً على ذلك أنباء الحثيين وحالات أخرى مماثلة (سوف نتعرض لها أثناء التعليق على IAB)، امكننا تحديد هذه الفترة الزمنية بما يقارب نصف قرن. وعلى ذلك يمكن القول ان حكم الملك ـ الكبير كان في الثلث الأخير من القرن الخامس عشر، بينما تم تدوين هذه اللوحات في حوالي منتصف القرن الرابع عشر.

البـلاد والسكان: المقصود بالشعب هنا، سكان بلاد كنعان الأصليين في الفترة الزمنية التي شاهدت وصول العبرانيين. كانوا يطلقون على أنفسهم تسمية «شعب إيل» وأيضاً «سكان المدن» (ك ر ي ت م). في بداية عهد الملك ـ الكبير كانت المملكة تشمل، على الأغلب، سورية وفلسطين؛ وكان الكنعانيون، يميزون، في

جنوب بلادهم، بين منطقة أمورّو، في شمال فلسطين (موريا الشمالية) وفلسطين نفسها التي كانت تحمل اسم (م ر ي م) - «موريّة» العهد القديم (تكوين ٢٢/٢). وعلى ذلك فإن سهل «تسيف» يقع في جنوب فلسطين. وفي العهد القديم يرد ذكر لمنطقة تسمى صبوئيم، وهي على تخوم الكنعانيين (تكوين ١٠/١٩)، علماً بأن أحد ملوك صبوئيم كان حليفاً لملك سدوم (تكوين ١٤/٢-٨) ويقال ان بلاد صبوئيم وآدمة لقيتا نفس مصير سدوم وعمورة (تثنية ٢٩/٢٢). يرد ذكر تدمير (هوشع ١١/٨) صبوئيم وآدمة دون أن يرتبط ذلك بتدمير سدوم وعمورة، علماً بأن صبوئيم لم يرد لها ذكر عند تدمير سدوم (تكوين ١٩/١٢-٢٩). لذا يمكننا القول ان «تسيف» هي نفس صبوئيم المذكورة في العهد القديم. هذاوقد يكون استعمال صيغة الجمع في التعبير العبراني دليلاً على اتساع المنطقة. وكانت «شيمير» (شمرون؟) إحدى المدن الهامة في منطقة تسيف. غير انه يبدو ايضاً ان أكثر من مدينة كانت تحمل هذا الاسم، ذلك ان العهد القديم يذكر لنا انتصار يشوع على ملك شمرون (يشوع ١١/١؛١٢/٢٠) - وهذه المدينة كانت في بلاد زبلون (يشوع ١٩/١٥) أي في جنوب فلسطين حيث يحدد النص مكان شيمير. وهناك مدينة أخرى وهي تحمل نفس الاسم: السامرة وكانت عاصمة اسرائيل. - غير ان المعلومة الوحيدة في النص التي تساعدنا على تحديد مكان سهل تسيف ومدينة شيمير، تفيد بأن المنطقة كانت تمتد حتى شاطىء البحر، وانها كانت غنية، خصبة، كثيرة الوديان، يقيم فيها شعب مسالم من أتباع إيل. نعتقد بأن المنطقة المقصودة هي الجليل.

لا يرد ذكر للعبرانيين صراحة، في هذا النص، إلا في المقطع الأخير منه، ولكن التلميح اليهم يرد أكثر من مرة. وجد العبرانيون في البلاد من تآمر معهم؛ و«سيد الرؤساء السبعة» انضم اليهم. نلاحظ هنا ان هذا اللقب الأخير وصفة «المراوغ» لقِّب بهما أيضاً الملك - الكبير (I'AB) ، ولكن المقصود هنا هو شخص آخر، هو على الأرجح من يذكره العهد القديم باسم «الجبعوني» (يشوع ٩/٣)، علماً بأن العهد القديم لا يأتي على ذكر أكثر من أربعة مدن تتبعه؛ وهو «حُويّ»،

احتال على حلف ملوك الكنعانيين ثم لجأ الى العبرانيين وطلب حمايتهم (نلاحظ ما جاء في نصنا عنه: اختبأ خجلاً فلقبوه «بالمراوغ»). وجاء في العهد القديم ان الكنعانيين توجهوا بعد ذلك لمواجهة «جبعون»، حيث وقعت معركة كبرى قام بنتيجتها يشوع باحتلال وتدمير «عجلون» (يشوع ١٠/٣٤-٣٥). إن نصنا، على الأرجح يشير الى هذا الحادث عندما يقول ان مدينة «عيجل» تم تدميرها و«تدمير زمانها». ويستمر العهد القديم في الرواية (سفر يشوع) فيبين كيف اختبأ خمسة من ملوك كنعان في مغارة في «مَقيدة» حيث عثر عليهم أحياء، (يشوع ١٠/١٦-٢٧). ولعل نصنا يشير الى هذا الحادث عندما ترد الجملة التالية فيه: «المخابىء هي أقفاص». ـ هذا واننا نجد العبرانيين يتباهون كثيراً بأنهم قاموا بتدمير أماكن الكنعانيين كافة؛ وهذا يتوافق مع ما جاء في النص من الأسى لتدمير الهياكل في كل أنحاء البلاد. وينصحون الملك ـ الكبير، بالعمل على إيقاف الحرب بين الكنعانيين والغزاة العبرانيين، بالتخلي للغزاة عن المنطقة الواقعة بين العيّ (يشوع ١٨/١) وقادش أمورّو (يشوع ١٢/٢٢) ـ أو من دان إلى بير ـ شيبا كما يقول العبرانيون. وتشتمل هذه المنطقة على قعيلة (يشوع ١٥/٤٤) و«المرتفع الأجرد» ـ الجبل الأملس (يشوع ١١/١٧)، شامشيراي (تسمية حملها فيما بعد سبط النيامينيين (أخبار أولى ٨/٢٦)، لَداغي (وهو موقع غير معروف)، وآشيرات وهو على الأرجح بلاد الجشوريين (يشوع ١٣/٢؛ صموئيل الثاني ٢/٩).

من حيث المبدأ، كانت مصر صاحبة النفوذ على بلاد كنعان، وكان الكنعانيون يسمونها (ح ق ك ب ت) (الأمير العدو؟). الإشارة في النص إلى قلة الأمل في الاعتماد على مساعدة ما من هذا البلد، تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن النفوذ المصري كان قد انحسر. هذا اصلاً ما تؤيده مراسلات تل العمارنة (انظر فيما بعد). هذا ويبدو أن أهالي جزيرة كريت كانوا قد استنجدوا بمصر، فلبى المصريون النداء ونزلوا في الجزيرة (ك ب ت ر ـ كافتور). ما لبث المحررون أن تصرفوا كغزاة، ثم لجأوا إلى الحيلة وتوصلوا إلى اقناع الأهالي بقبول سلطة مصر عليهم (أشعيا ٣٠/٣؛ ٧؛ ٣١/١) ثم عادوا فدمروا البلاد تدميراً. اقتنع الأهالي

إن المصريين يتمتعون بقدرات خارقة لا يستطيع مقاومتها غير الشياطين.

على أي حال كان الكنعانيون شعباً مسالماً للغاية، وكانت علاقاته جيدة مع بقية الشعوب المستقرة في البلاد. عندما تراجع الكنعانيون أمام العبرانيين الغزاة أخذوا يتمركزون في الشمال، مما اضطرهم لمحاربة هذه الشعوب تأميناً للمجال الحيوي. وموضوع النص الذي بين أيدينا هو عبارة عن فصل مأساوي من هذا الكفاح المرير، الذي كان بكامله، في نظر الكاتب، جريمة تم ارتكابها في لحظة ضلال.

الحكم: في زمن الملك ـ الكبير، كانت بلاد كنعان مجموعة من المماليك الصغيرة، ترتبط ببعضها البعض بما يمكن أن نسميه الآن نظاماً كونفدرالياً. لكل مدينة كبيرة أو صغيرة مليكها. على أنه كان هناك «سيِّد الرؤساء السبعة»، ولعله حمل هذا اللقب لأن سبع (؟) ملوك كانوا تابعين له. (بالنسبة لنصنا، يُعتقد أن الشخص المقصود بهذا اللقب كان ملك الحوِّيين في جبعون). جميع هؤلاء الملوك، صغاراً وكباراً، يرتبطون بسلطة مركزية واحدة هي «سلطة السيد الأعظم» للبلاد، الملك. الكبير، الذي كان بنفس الوقت ملكاً لمدينة ما أو سيداً لعدد من الملوك (l'AB). كان مسؤولاً عن تنفيذ السياسة الخارجية بتوجيه من إله، كما كان مسؤولاً عن السلطة التشريعية فيحمل لقب «قاضي». القيام بهذه المهمة، كان بالطبع يتطلب ادراكاً واسعاً، مما جعلهم يعتبرون أن الضعف الذي يعتري قواه العقلية يوازي كارثة تحل بهم (مزامير ٧٢/١-٢). الآلهة نفسها كانت تتحسب لعناده، لأن هذا العناد قد يؤدي إلى أخطر النتائج على البلاد. تعدد أساليب العبادة في بلاد كنعان لم يكن ليسهل مهمة الملك ـ الكبير، وكان عليه في العديد من الحالات أن يرضخ لتشبث حلفائه، فيدعم عبادات غير مقبولة من معظم السكان. يبدو أن الملك ـ الكبير نقل عاصمته أكثر من مرة، من مكان إلى آخر، وأنه أقام فترة من الزمن في شمرون. ألقابُه (السيد، القاضي الخ. .) ومهامُّه تنتقل الى ابنه البكر مهما كات سنّه. يبدو أن الملك ـ الكبير نفسه كان لايزال في سنّ الشباب عندما وقعت أحداث هذا النص.

الجيش: المقـاتلون يشبِّهـونهم بالأسـود (مـزامير ١٧/١٢؛ ٢٢/١٤؛ أشعيا ٢٩/٥). كان الجيش الكنعاني يقاتل بالسلاح الأبيض. الهدف الاول في القتال اصـابـة يد الخصم. المعـركـة عبـارة عن مذبحة يتبعها جزّ الرؤوس. يجمعون الرؤوس المقطوعة وينضدونها على شكل هرم في الاماكن المرتفعة.

والعهد القديم يحتوي على العديد من التلميحات إلى أهرام الرؤوس هذه في مقاطع نعتقد أن اكثرها فاسد:

مزمـور /١١٠/: هذه الـطقوس المتعلقة بدخول الحرب، يبدو لنا أن ترجمتها يجب أن تكون مختلفة عما هي عليه:

«إلى مولاي (الملك) إبقَ إلى يميني، إلى أن أجعـل من أعـدائـك منضدة تضع عليها قدميك.

«إن يهوه سيجعل سلطانك يمتد خارج صهيون، فتسيطر على اعدائك.

«شعبك يتدفق برغبة؛ جيشك يدفعه حماسٌ قدسيٌ: دع فتيانك يتقدمون.

«يهوه أقسم على ذلك وهو لن يتراجع: أنت حاكم الكون!! إذهب إلى الحرب كما أمرتك من أجل أن تسود العدالة.

«مولاي (الملك) ذهب للحرب. سحقت يمينه الملوك يممَ غضَبِه. عدالته سيمارسها على شعوب أجنبيَّة.

«الجثث في كل مكان. الرؤوس المحطَّمة ملقاة على الأرض، عديدة.

«الطرقات ترتوي من دهن الأحشاء؛ وعلى قاعدةٍ سيُقام هرم من الرؤوس.

أشعيا ٣٠/١٣: وترجمته كما يلي:

تهديد شخص واحد سيرتعش له ألف،
ستهربون أمام تهديد خمسة أشخاص

إلى أن تصبحوا بقيَّة باقية،
مثلل الجثث على قمّة الجبل،
مثل «شارة» (هرم من الرؤوس) على المرتفع.

أشعيا ٣٤/٧: وترجمتها كما يلي:

أرضهم ستر ويها الدماء، وترابهم سيُخصِبه دهن الأحشاء.

أشعيا ١٣/٢:

على جبل أجرد، أقيموا شارة (هرم).

(راجع أيضاً أشعيا ١٨/٣ ـ ملوك ثاني ١٠/٨).

غير أن هذه العادة ليست كنعانية الأصل؛ وقد يكون الملك ـ الكبير أدخلها عندما أراد التشبه بالغزاة. أما توزيع الغنائم فكان يجري بأسلوب معقد يصعب فهمه (أشعيا ٩/٢ ـ قضاة ٥/٣). الأحياء من المغلوبين يؤسرون وينفون، (خلافاً للتقاليد الكنعانية). نلاحظ في الواقع أن الكنعانيين لا يبالغون في التباهي بانتصاراتهم، بل يشفقون على المغلوب.

النبات والحيوان: يرد في النص ذكر شجر الدّلب الذي يسقط ثمره بقوة على الأرض، زراعة القمح هي الزراعة الرئيسية. يخشون البَرَد ويشبهونه بالرجم بالحجارة؛ كما يخشون الصاعقة والجفاف الذي يحّول الأرض إلى صحراء مالحة (مزامير /١٠٧/؛ ٣٣ ـ ٣٤). عندما تنتشر المجاعة، يقولون أن الآلهة أخذت «تكيل» القمح. يعتمدون على الندى (أشعيا ٢٦/١٩) أكثر مما يعتمدون على المطر (أشعيا ٣٠/٢٣). ملكية الكروم تدلّ على الثراء؛ يتحدثون عن خَزَّان خمر يحتوي على ألف (؟) جرة. قد يخلطون الخمر بمواد أخرى. ورد ذلك في النص كأسلوب بياني ولكنه يتوافق بدون شك مع عادات ثابتة (مزامير ٦٠/٥؛ ٧٥/٩؛ ١٠٢/١٠). تتعرض البلاد من وقت لآخر لغزو الجراد. بالنسبة للحيوان يرد ذكر الجدي. قطيع الماعز قد يتعرض لمهاجمة الاسود فيما اذا توغل في الجبال.

المسكن: في مدخل كل بيت عتبة مرتفعة نوعاً بحيث يمكن الجلوس عليها. مصنوعة من الحجر وهي القطعة الوحيدة التي تبقى بعد خراب البيت.

الأثـاث: الأثـاث معرض دوماً للنهب. السرير مرتفع وله قوائم. ينظِّفون الأرض تحت السـرير. يجلسـون عليه أحيانـاً. في حال عدم توفـر سرير يمكـن الرقاد والجلوس على المناضد، وكانت على الارجح تأخذ شكلاً مستطيلاً بدون مسند. يرتبون هذه المناضد داخل الغرفة ويعبرون عن تنظيف هذه الغرفة بقولهم «تنظيف ما بين المناضد». المنضدة الخفيضة كانت الأثاث الأقل قيمة في البيت. من لا يملك سوى منضدة خفيضة واحدة للنوم وتناول الطعام، كان يعتبر فقيراً جداً. غاية الفقر أن تضطر الانسان ظروفه على العيش على عتبة الباب. مجرد التفكير بامكان تناول الطعام والرقاد على عتبة الباب يدل على أن الكنعانيين كانوا يجهلون بعض المحظورات التي كانت تربطها شعوب أخرى في هذا الجزء من المسكن.

الأواني المنزلية: لا يرد ذكر في نصنا إلا للجرة التي يحفظون فيها الخمر. كانوا، بالطبع يقدِّمون القرابين، ولكن النص لا يتعرض لذكر أسماء الأواني المستعملة لهذه الغاية.

الحلي: كانت المرأة في بعض المناسبات تحمل عِقداً على صدرها. كلمتان وردتا في النص ترجمنا الأولى «باللؤلؤ» والثانية «بالمرجان»؛ غير أنه يمكن أن تعنيان أيضاً بعض أنواع الخزف أو حتى أحجاراً نصف ثمينة. قد تحمل المرأة مجوهرات أخرى ثمينـة، إذ نرى أن الملك ـ الكبير يقـدِّم لمحـظيتـه ما وجـد من مجوهرات في الهيكل. ـ وقد ينسبون لبعض المجوهرات صفات سحريّة إذ يعتبرونها رقيةً فعّالة للحبّ.

الحيـاة العـائليـة: كان للحب مكانة كبرى في حياة الكنعانيين؛ إلا أن الارتباط بخليلة لم يكن مقبولاً. على أي حال، إذا كانت الخليلة أجنبية فمن الافضل لها أن ترحل. يبدو أن الشاب الكنعاني كان خجولاً بعض الشيء، وكانت الفتاة، في أغلب الحالات هي التي تقوم بالخطوة الأولى. قد تتعرض للصدّ، على الرغم من جمالها وما يزيّنها من حليّ. مذهب بعل كان يتقبل شيئاً من الإباحيَّة بينما كانت عنـاة تعمـل على تدعيم فكرة الزواج الثابت. ينسبون للحب قدرة سحرية على الإخصاب. كثرة الزواج تساعد النبات على النمو. ـ الحب كعاطفة يختلف تماماً

عن «المداعبة»، ومن يرغب باقامة علاقة مع العديد من الفتيات يسيء إلى الحب.
النبـات والجماد: الشجر والحجر يتألمان مثل البشر. وهما يرفعان صوتهما إلى السماء (للمطالبة بالندى؟).
الآلـهـة: هنـا أيضـاً نجـد إيل على رأس مجمـوعة الآلهة الكنعانيين. هو رب الملك ـ الكبير وإله أبيه. وقد يطلقون عليه لقب «الأمير» أو «الملك». يعيش في السماء في بحبوحة، حيث يحتوي منزله على الكثير من الدهن. عائلته في السماء مؤلفـة من زوجته عشيرات وابنتها إيلات وعناة وعدد من الأولاد. الملائكة أيضاً أولاده. ينسبون اليه صفات الرحمة والعظمة، رغم أنه سريع الغضب وقد تسره آلام الآخرين. إيل حقود وأناني جداً، لكن شعب كنعان «شعبه». يستطيع إيل أن يبعث بالحسنات وخاصة الندى، كما يستطيع أن يضع الموت في يد «أبنائه» (الملائكة). حكمة إيل بعيدة عن الواقع بعض الشيء مما يزعج أحياناً اتباعه وحتى أفراد عائلته. له قدرة الاعادة إلى الحياة وقد يكون هو المقصود بالإله «الخفي» (المجهول الذي لا يراه أحد) (أشعيا ٤٥/١٥). ـ عشيرات، زوجة إيل، هي إلَهة الغِنى والثروة (كما يدل على ذلك اسمها). لها اتباعها ولها خصومها. يمكن إذلالها بفتح «بيت اللعنات». لكل من ابناء عشيرات هيكله. إيلات، ابنة إيل وعشيرات كان لها مكاناً مخصصاً للعبادة في منزل الملك ـ الكبير. وكان لها، مثل والدتها، القدرة على «اعادة الحياة». عناة أيضاً كان لها نصباً أو تمثالاً في قصر الملك ـ الكبير. الشباب بشكـل خاص يعبـدونها بحماس ويضعون على قدميها عربون إخلاصهم. عناة عقلانية ورحيمة بنفس الوقت مما يجعلها تقوم بدور الوسيط المثالي لدى إيل. قد تعاقب والدها، وقد تلومه على أنانيته. دائرة معارفها واسعة وتعرف كل ما يتعلق بالشؤون السمـاوية وبشؤون الأرض أيضـاً؛ تعـرف أسباب المصائب التي تحل بالناس كما تعرف طرق معالجتها. قليلة التواضع وتعرف أنه ليس هناك من يستطيع أن يحل محلها كخطّابة. تمقت العلاقات المؤقتة وتحاول انهاءها.

وبعل ايضاً إله قدير جداً، ولكن على مستوى آخر. بعل إله سيء يتربع فوق الغيوم. يتنقل عادة في عربة، ولذلك يسمونه «راكب الغيوم». قد ينال منه التعب،

فيطلب مقعداً يستريح عليه. آلام البشرية تسعده كما تسعده أن ينزل العقاب بالناس. عناصر الطبيعة تأتمر بأمره (مزامير ١٠٥/٣٢؛ أشعيا ٢٩/٦؛ ٣٠/٣)، وهو يستطيع نشر الأمراض السارية والحروب. قد يقوم بصفع الناس وضربهم بيده؛ وقد يقاتل معهم؛ ولكنه عندما ينال منه التعب يقوم بتكليف أعوانه، الكروبيم، بهذه المهمة (أشعيا ١٣/٣). يبدو أنه لم يكن لبعل أتباعه، من الناحية الرسمية على الاقل؛ ولكنه كان يكفي فتح «منزل اللعنات» مثلاً للارتباط به. لا يتأثر بالتوسل أو بالصلوات، علماً بأنهم كانوا يعتقدون أن إيل يستطيع التأثير عليه. «الآلهة الفارغون» الذين ورد ذكرهم في النص، يعتقد أنهم أجانب علماً بأن إيل يستطيع «حصدهم» وإبعادهم.

الشياطين: يأتمرون بأوامر بعل. يتحركون آلافاً كما يتحرك الجيوش، ويدمرون كل شيء في طريقهم. يرأسهم حارس الموتى ومرشدهم، وهو يستطيع اطلاق قوى خارقة كما يستطيع النيل من عدوه «بأيدٍ خفية» ـ اعوان بعل، الكروبيم، يدوسون كل شيء بأقدامهم. بالنسبة لايل فأنه عندما لا يرغب بالتدخل بنفسه، فانه يقوم بتكليف الايليم بنقل غيوم البؤس؛ وابناء الايليم يمسكون الموت بأيديهم.

العبادة: أماكن العبادة هي الهياكل والأماكن العالية والساحات. بعض العبادات يمكن أن تتم داخلِ المنازل. الآلهة المنحدرة من عشيرات لها هياكلها. حرق الهياكل يعتبر عملاً في منتهى الخطورة (مزامير ٧٤/٧-٨؛ أشعيا ٦٣/١٨). لا يرد ذكر للأضاحي في هذا النص، ولكن التقرب من الإلـه بواسطة إراقة الخمر أمر مطلوب، لأنه يجلب السرور لهذه الآلهة كما يقرب نهاية الجفاف. هناك ذكر «بعربون» يوضع على قدمي عناة بغية «اجتذابها». العنصر الرئيسي في الصلاة والعبادة هو صلاة رج م، التي تتم صباحاً كما يدل على ذلك اسمها. الآلهة تصلي أيضاً كالبشر، وكذلك النبات والحجر أيضاً. تكرار الصلاة يزيدها فعالية (أشعيا ١/١٥) بشرط أن لا تؤدي المبالغة فيها الى ازعاج السماء (أشعيا ٧/١٣). تبدأ الصلاة عادة بشرح الموقف ثم يأتي التوسل إلى الإله وتعداد صفاته والتركيز على عجز المصلي وضعفه. المطالب الأساسية تتركز على رفع الكوارث وعودة الرخاء

و «البعث». لا تتضمن الصلوات طلب الاضــرار بالغير ما لم تكن موجهــة إلى شيطان من الشياطين.

من الطقوس التي تلفت النظر، عادة الاغتسال والتطهير. تقضي العادة، بعد المعركة، بغسل اليدين من دم العدو. يغتسل الانسان ويغسل أصابع ذويه وحتى المحظية نفسها، وعلى الجميع أن يفعلوا ذلك. ـ يتم تطهير المساكن أيضاً، ويتم تنظيف الغرفة في الوسط و «بين المناضد» و «تحت السرير» الخ . . .

يبدو انهم كانوا يعتبرون المعركة جريمة جماعية خطيرة تتطلب التطهير حتى بالنسبة للمحظية (أشعيا ١/١٥-١٦ ؛ ٤/٤). علماً بأن المقطع الوارد في (ملوك أول ٢٢/٣٨-٣٩) نرى ترجمته على الشكل التالي:

«ومـات الملك فنقلوه الى السامرة من أجل دفن الملك فيها. لكن المياه جرفت العـربة فوق مستنقع السامرة فلعقت الكلاب دمه. لذلك اغتسلت البغايا نفسها كما قال يهوه».

الى جانب ذلك كان يتم الاغتسال بقصد الوقاية من الأمراض السارية. أما الرش فكان يتم بقصد طرد شيطان ما (IID) أو إبعاد محظية تبيّن أنها كاذبة وخبيثة. قرع الـطبول كانت له صلة ببعض الطقوس، لكن المقاطع المعنية غير واضحة (مزامير ٨١/٣). بعد المعركة يقومون بقطع الرؤوس ـ وهي عادة دخيلة وغير مقبولة من الناس ـ ثم ينقلونها الى الأماكن العالية حيث يتم تنضيدها بشكل هرمي، فوق قاعـدة حجـرية (؟). كانـوا يعتبـرون هذا العمـل «إشارة» ـ إشارة تهديد، على الأرجح، لمن تحدثه نفسه بالاعتداء.

المعتقــــدات:

آ ـ الكـــون : الأرض مغطاة بعدة أغطية لحمايتها (أشعيا ٤٠/٢٢). رفع ثلاثة أغـطية عن الأرض يعرضها للكوارث. يتحدثون عن «رصاص الأمراض» كغطاء ثقيل بشكل خاص (أشعيا ٥٠/٣)؛ أما الندى فإنه يشكل غشاء خفيفاً ويدل على

حسن نوايا السماء وهو يأتي فيغطي الأرض من جديد (قضاة ٦/٣٦-٤٠) والآلهة تستطيع أن «تكبّل» الأرض (مزامير ٦٠/٨؛ ١٠٨/٨).

ب ـ قوى الطبيعة: كان لابد من تشييد هيكل لبعل؛ ولم يكن ذلك بقصد تكريمه وإنما بغية حبس قواه فيه. حصر الكوارث في مكان معين يساعد على تجنبها.

ج ـ منزل اللعنات: ليس في النص ما يسمح لنا بأن نقطع فيما إذا كانوا يعتقدون فعلاً بوجود هذا المكان، أم ان هذا الكلام ليس أكثر من أسلوب في التعبير.

د ـ الحبّ: يعتقدون انه يساهم في إخصاب الطبيعة. أما «المداعبات» التي يسمح بها مذهب بعل وعشتارت (البغاء والدعارة) فكانت مرفوضة.

هـ ـ التعاويذ: وهي عبارة عن عقد المرأة وأدوات زينتها بشكل عام. فعاليتها محدودة في نظرهم.

و ـ الأرقام: لعل الرقم /١٠٠٠/ كان يشكل أبعد حد في نظرهم. ثلاثة /٣/ أغطية تحمي الأرض. أما الصلاة فلابد من تكرارها مرتين من أجل أن تكون مسموعة.

ز ـ القوى الخارقة (فوق الطبيعية): وهي تحت تصرف بعل والشياطين. وهي أحياناً تحت تصرف بعض الجهات الأجنبية، مثل مصر. يسمونها «القوى السماوية» ولا يستطيع أحد مقاومتها إلّا الشياطين «بيد خفية». هذه القوى تستطيع تدمير بلد بكامله (أشعيا ٢٤/٦).

إن هذا النص يشكل وثيقة بالغة الأهمية بالنسبة لتحديد تاريخ استقرار العبرانيين في فلسطين. وهذه اللوحة تعزز العديد من المعلومات الواردة في سفر يشوع (وهو الذي تم وضعه في تاريخ لاحق وقد تعرض للكثير من التعديل وإعادة النظر). الأحداث المذكورة هنا تقع في القرن الخامس عشر أي قبل احتلال أورشليم الذي تم في عهد القضاة وفق ما جاء في العهد القديم (قضاة ١/٨)، وفي مراسلات تل العمارنة: أي في حوالي عام /١٤٠٠/ تقريباً. وتختلف الآراء كثيراً بالنسبة لاحتلال بلاد كنعان. يتبين من المصادر الكنعانية أن العبرانيين لم يكونوا ليشاركوا الساميين من سكان البلاد الأصليين معتقداتهم؛ كما وأن أسماء آلهتهم

لم يرد لها ذكر. الإله الرئيس، بالنسبة للكنعانيين كان إيل ونجد أن العبرانيين كانوا يمقتونه أول الأمر. غير انهم عادوا فيما بعد وتبنوه كما عادوا وأخذوا عن الكنعانيين كراهيتهم لبعل. كل هذا التحول تم في وقت لاحق لتاريخ النص الذي يعنينا الآن، أي ان فترة زمنية غير قليلة مرت بين رواية هذه الأحداث وتاريخ كتابتها من قبل ايلي ـ ميلكو. يمكن تقدير هذه الفترة، في تقديرنا، بثلاثين سنة بعد وفاة الملك ـ الكبير، علماً بأننا لا نستطيع تقدير فترة امتداد هذا العهد. تجدر الاشارة هنا الى أن بعض أحداث الحرب لاتزال تنبض بالحيوية، وإن تقسيم البلاد جاء غاية في الدقة. ـ غير اننا نلاحظ ان الحقد على المستعمر أخذ يضعف، واللوم يقع على مصر لأنها قاسية وغير مهتمة. بالنسبة لاحتلال مصر لجزيرة «كريت» وتاريخ هذا الاحتلال فإن ذلك كله عبارة عن اضافة أدخلها الكاتب على الرواية، على الأرجح. لذلك لا أهمية لأن يكون هذا الاحتلال سابقاً أو لاحقاً لعهد الملك ـ الكبير. تعاطف الكنعانيين مع أهالي جزيرة «كريت» يلفت الأنظار وقد ينطوي على دلالة بأن العلاقات التجارية بين البلدين كانت على ما يرام.

الفصل الثاني

من الصعب معرفة الترتيب الأصلي للوحات المتعلقة بأخبار الملك ـ الكبير، غير ان بعض التفاصيل تجعلنا نفترض ان اللوحة (IVAB) تأتي بعد اللوحة (VAB) وقبل (IIAB). وهي لوحة جزئية كتبت على وجه واحد (؟) من ثلاثة أعمدة، قام بنشرها السيد فيرولّو بعنوان «عناة والعجلة» في مجلة سورية عام ١٩٣٦ ص (١٥٠-١٧٣).

IVAB

(٢٠ – ٢٥ سطراً تقريباً ناقصة)

. . . العذراء عناة
. . . تحيط بالجبال
. . . الفقر عرفه ابن إيل.
. . . يلتهب، لأنهم يتألمون.
. . . ذلك الذي يسحق بالرعب.
. . . السيد الأعظم.
. . . راكب الغيوم.
. . . جعله يترنح من أجلَ الشعوب الغريبة
. . . جيش الأرض.
. . . الأموات
. . . بيد خبيرة، يُنيرا!
. . . أشفق علينا.
. . . ليعطِي؛
. . . عناة (؟)
. . . الشعوب الأجنبية.
. . . من أجل الشعوب الأجنبية،
. . . الى الأرض.
(ستة أسطر أواخرها فقط باقية ـ نقص ما يقارب ١٦ سطراً)
(نقص يقارب ٢٠ - ٢٥ سطراً)
إيل مد يده في قلب قصره،
ونال الهوان، فتيان السيد:
فروة السيد يكسوها العار، للأسف.
إيل مد يده في قلب قصره،
حتى قوسه، شحذه بيده،
ونهاية أيامه، لماذا أمسك بها بيمناه؟

ـ لم يدر وجهه إلى مصائبه
الأخ القاسي ؛ السند شغله الأقوياء .
ـ لتعطى العذراء عناة ، أجنحة
لتعطى أجنحة فتستكشف كالطير!
الدعم المنتظر من الأخ القاسي شغله الأقوياء .
ـ رفع السيد الأعظم بصره ،
رفع بصره وأخذ يقول
للعذراء عناة ،
أجمل اخوات السيد ،
تلك التي يحبونها ، حبهم لآلهتهم ، ـ وقف
على قدميه ، ثم ركع ذليلاً :
«سيحملون الشفاء والقوة الحياتية ،
«أعلني ذلك ، يا أختاه ، ـ وادفعي
«قرن القوة ، الذي في محراثك ، أيتها العذراء عناة .
«قرن القوة الذي في محراثك ، فليُسمع السيد!
«ليُسمع السيد . ـ تأثري وانفعلي مثل العصفور الصغير!
«لقد خدعنا ؛ تنازلي ووافقيني
«وساعدي أخاك على النهوض من التراب»!
ـ رفعت العذراء عناة ، بصرها ،
رفعت بصرها وأخذت تقول :
«استشم واستكشف في الدروب ، ـ
«استكشف الدروب والقلاع ،
«بين المخلصين وبين السيئين ، . . . العدو الباغي .
«. . . الى بعل سترى قصة البؤس .
«. . . السادة ، الذين . . . .

«. . . التي يتكهن . . .
«السيد الأعظم . . .
(نقص خمسة أسطر)
(نقص ٢٠ - ٢٥ سطراً)
. . . صديقتي العذراء عناة . . .
وتبين خداعها، تلك المحظية الأجنبية،
والسيد الأعظم، عرف الذل.
- لماذا، وهو الذي خلقنا، . . .
يكفيه أن يهلكنا؛ ليكتفي بأن . . .
- السيد يعبر. ؟ . . . .
إيل مد يده، وهي ملأى بـ . . .
بالحكمة على فم العذراء عناة،
فم أجمل الأخوات.
بعل يساعد في . . .
وبن - داغون في . . .
السيد يتربع على العرش . . .
بن - داغون، من أجل الكذب . . .
من أجل الصديق، بسرعة، الـ . . .
المرتد، ليسحقه بسرعة . . .
«اذهبي واستكشفي . . .
«بين المخلصين وبين السيئين . . .
«وأثناء السير، أثناء السير . . .
«لمن وُلد له طفل . . .
«والرحمة . . .
« - ستقبّلين . . .

« ـ ستقبّلين . . .
« ـ وتجعلين النعاس في خمرهم . . .
« ـ يساعد في الكفاح وفي . ؟ . ،
« . . . الـ . ؟ . بازدرائه» .
ضعُف الصوت في فمه الجاف .
الملابس، وهو عريان، تم تعليقها
والصوت تخالجه الدموع، واللعنات،
كم من اللعنات . وبالخفاء
بصدق، عريان والملابس معلقة،
بصوته، من أجل بعل يأمر بالتكريم .
أخبار إيل الطيبة، يبثها لبعل،
والإذابة لداغون .
الأجنحة للسيد . . .
وليرتفع نحو راكب الغيوم؛
انه يبتهج، السيد الأعظم .
(النهـــاية ؟)

يتضــح من هذا النص ان البــلاد عانت وتعـرضت لمـزيد من الكـوارث والويلات . وعرف الكنعانيون (أبناء إيل) البؤس والآلام من جديد . غير ان ما تبقى من هذا العمود (العمود الأول) تعرض للتشويه، وكل ما نفهمه يتلخص في أن شعباً غريبـاً أخـذ يتمتـع برضى الآلهـة، وان الصلوات تقام من أجل أن يعود الهدوء والازدهار الى البلاد . (نقص في النص) .

إيل مد يده الى «أحشاء» القصر الملكي بغية الانتقام . اختفت ثروة صاحب القصر بالخزي والعار، وأصاب الحزن و«الذل» جميع الفتيان الذين يعيشون في هذا القصـر . يبدو ان إيل قرر أن يمـوت الملك ـ الكبير . توقع الملك مساعدة

الملوك الكنعانيين، التابعين له ولكن هذه المساعدة لم تأت؛ أما ذلك الذي كان يعتبره أخاً له، فقد انقلب عليه ووضع قواته تحت تصرف الغزاة «المقتدرين». لم يعد أمام الملك ـ الكبير، إلا اللجوء الى العذراء عناة وهي أجمل أخواته، وقد أحبها أكثر مما أحب لآلئه، انها قد تستطيع المساعدة. ألقى الملك ـ الكبير بنفسه على قدمي الآلهة وأخذ يصلي بحرارة. ان عناة، التي تحمل القوة (ك ي ر ي ث) في محراثها، ستحاول استخدام هذه القوة، قرن القوة لمسح الملك وتكريسه. لماذا لا يصار الى تقديم جناحين لعناة، فتستطيع استكشاف البلاد جواً؛ يجب أن تتعاطف الآلهة مع الملك الكبير بعد كل المصائب التي حلّت به. لقد خُدع، هذا صحيح ولكنها تبقى الأخت والربة التي ترأف لحاله وتنهض به من الحضيض. ـ وتعد عناة للذهاب لاستكشاف البلاد. سترى ما يجري على الطرقات وفي داخل المدن، فتحاول ان تعرف من بقي على العهد، ومن انحاز للعدو. بعد ذلك ستتصل ببعل وتشرح له الموقف، وتحاول الحصول منه على تكهنات مستقبلية قد تسمح له برسم سياسته. . . . (نقص في النص).

. . . من الصعب جداً متابعة تسلسل الأحداث. يبدو أن المحظية الأجنبية لعبت دوراً هاماً أدى الى تغيّر جديد في سياسة الملك. والمحظية الأجنبية كانت تظهر الرضى عن عبادة عناة ولكنها، في باطنها كانت تخادع وتخاتل. انها تتساءل كيف ان هذا الإله الذي يقولون عنه انه خالق البشر والذي يصفونه بالطيب ـ كيف يستطيع الاستمرار بسحق شعبه. أما آن له أن يظهر شيئاً من الرحمة؟.

ولكن ألم يعرف الملك من عناة بالذات، أن إيلْ مد يده وهي ملأى بـ . . . عليه، فما هو العون الذي يمكن أن يناله بعد ذلك من هذه العائلة؟. بالعكس، عليه أن يتجه نحو بعل ويسترضيه، عليه أن يتجه نحو بن ـداغون (ملك دمشق ـ من أتباع بعل) الذي يستطيع معاقبة أولئك الذين تنكروا للملك الكبير وخانوه. وقد تكون المحظية الأجنبية هي التي نصحت الملك بالذهاب بنفسه لاستكشاف البلاد ودراسة الوضع عن كثب، فيستطيع أن يعرف المخلص ويميزه عن المتخاذل. وقد يلتقي، أثناء رحلته بملك، رزق بمولود، ويطلب مساعدته. يطلب منه أن

يقبّـل . . . ابنه ويذهب الى . . . العبرانيين الذين كانوا يحتفلون بانتصارهم في قعيلة، فيباغتهم نِياماً وقد شربوا الكثير من الخمر، فيقضي عليهم ويحرزوا نصراً حاسماً. (التتمة مأخوذة عن IIIRP).

وصممت المحظية بعدما جف حلقها. اقتنع الملك فنزع ملابسه سراً، وقام عرياناً كما تقضي الطقوس المرعية وأخذ يشتم إيل وعشيرات، وهو يجهش بالبكاء، ثم أخذ يممتدح بعل ويتوسل اليه. جميع المدائح التي كان يخصصها لايل، قام بتوجيهها لبعل. أما داغون فوعده باذابة تمثال إيل. وأخذ ينتظر مبتهجاً، أن يحصل على جناحين لكي يطير إلى بعل.

(النهـــــاية ؟)

ان التشويه الذي تعرضت له هذه اللوحة لا يسمح لنا بتحليل معطيات النص اكثر من تلك. وهكذا بقي العديد من المقاطع غامضاً:

البلاد والسكان: لا يرد اسم لمدينة ما في هذا النص. هناك إشارة لطرق وجبال وقلاع يجب أن تكون بعيدة عن بعضها البعض لكي يتطلب استكشافها التحليق جواً. يبدو أن العديد من ملوك الكنعانيين التحقوا بالعدو وآزروه، كما يبدو أن أخاً (رجل بمثابة الأخ) للملك خاتل وخان. أصبح من العسير تمييز الصديق من العدو. هناك إشارة ايضاً إلى شعب أجنبي تدعمه الآلهة وقد يتضمن هذا القول تلميحاً إلى العبرانيين.

الادارة: يبـدو أن السلطة المـركزية التي انتقلت إلى الملك ـ الكبير عن طريق الارث. ـ يبدو أنها كانت موضع نزاع من قبل بعض الملوك التابعين له. كان يعتبر نفسه ابناً لايل (وبالتالي أخاً لعناة)، لكن ذلك وحده لم يكفِ لتثبيت عرشه، في الوقت الذي كان فيه إيل نفسه عرضة للنزاع.

الجيش: يبدو أن موضوع تشكيل الجيش كان متروكاً للآلهة. ـ ليس هناك ما يدل أن جيشاً مما كان يأتمر بأوامر الملك الكبير. سلاح الآلهة وحده هو الذي يرد ذكره: إيل يمسك بيده قوساً مشحوذاً (مزامير ٧/١٣)؛ وعناة لها قوة (ك ي ر ي ث = قوّة، قرن، صاعقة، سلاح؟) في محراثها. أما احتفالات قِعيلة فسنعود اليها عند تحليل

اللوحة (IIIRP) ، التي تتضمن تفاصيل أكثر حول الموضوع.
موارد البلاد: الزراعة ثروة البلاد الرئيسية. العذراء عناة آلهة زراعية أيضاً. تمتلك محراثاً يحتوي على قوة خيّرة. هناك إشارة عابرة الى الخمر. البلاد تعاني من البؤس حالياً ولكنها عرفت أياماً أفضل فيما مضى.
المسكن: الملك ـ الكبير يعيش في «قصره»، القصر كان على الأرجح عبارة عن بناء تحيط به عدة أسوار. وسط القصر يسمى «الأحشاء». يعيش في القصر مع الملك الكبير إخوته (الفتيان). يعتقد أيضاً ان «عرش» الملك كان أيضاً في هذا الجزء من القصر.
اللباس: لا ترد تفاصيل عن اللبس في النص. كل ما نعرفه أن الصلوات لبعل لا تجوز إلا من قبل شخص نزع ملابسه، ـ وهذه الملابس تبقى معلقة (؟).
الحليّ: اهتمام خاص باللؤلؤ؛ يحبون أختاً، أو آلهة، محبتهم للآلهم.
الحياة العائلية: يستمر الملك ـ الكبير بعلاقته مع محظيته الأجنبية كما كانت عليه الحال في النص السابق. للزوجة دور كبير في حياة العائلة ولها تأثير في كل القرارات التي يتخذها الزوج. الملك ـ الكبير هو رئيس عائلته واخوته يعيشون في كنفه (تكوين ٩/٤).
الآلهة: في نهاية هذا النص يخطو الملك ـ الكبير الخطوة الأخيرة نحو الرّدة. كنا لمسنا في (VAB) تلميحاً الى ذلك، كما نجد هنا بعض التلميحات الى أحداث سوف نجدها في لوحات لاحقة. يظهر لنا إيل هنا إله محب للانتقام وهو الإله الرئيس والأب الروحي للملك «تمتد يده الى أحشاء القصر»، فتجلب الأمراض والمصائب الى العائلة. وأكثر من ذلك: أخذ يهدد الملك بقرب أجله، «بنهاية أيامه».

عناة، ابنة إيل هي الأخت الروحية للملك ـ الكبير، وهي رائعة الجمال. عناة آلهة زراعية تمتلك قدرة معينة: الـ ك ي ر ي ث (القرن) ـ وقد يكون اشتق من هذا التعبير لاحقاً تعبير «قرن الخصب» نتيجة لخطأ في التفسير. وعناة آلهة الحكمة أيضاً، تقدم النصائح وتقوم أحياناً بدور الكشاف. تستطيع الطيران فيما إذا تم

تزويدها بجناحين، فترى كل ما يجري على الأرض. تكرس الملوك بالقدرة التي تمتلكهـا (القـرن) والتي تحتفظ بهـا في محراثها ـ هذا وقد يكون ما تقدم أصل اشتقاق تعبير (قرن التكريس) (صموئيل أول ١٠/١؛ ١٦/١٣). وبما أن القرن ليس المكـان المناسب لاحتواء الزيت، فمن المرجح أن خطأ في الترجمة كان أساساً لهذه العادة أيضاً.

أما بعل، راكب الغيوم، فهو إله سيء يخاصم إيل باستمرار. هناك إله آخر اسمه «داغون» يرتبط ببعل (وقد يكون ابنه). كان لبعل أتباع من غير الكنعانيين؛ وكان حاكم دمشق، بن ـ داغون يبادر لمساعدة أتباع بعل عند الحاجة.

العبـــادة: لا يرد ذكر لهيكل ما أو لأضاحي في هذا النص. الصلوات الموجهة الى عناة ترافقها حركات معينة. يقف الملتمس ويرفع بصره الى السماء، ثم يركع وأخيراً يلقي بنفسه أرضـاً (مـزامير ٩٩/٥؛ ١٣٢/٧) وهـذا ما كان يسمى «بالخضوع». يتوسل وهو في وضع الخضوع، الى الآلهة «بأن تنهض ذلك الذي يتمرغ في التراب» (مزامير ٤٤/٢٦). وللقيام بعبادة بعل، بالنسبة للملك ـ الكبير على الأقل، كان لابد من اعتزال الناس والاختفاء عن أبصارهم، ثم خلع الملابس وتعليقها (؟)، وأخيراً مخاطبة الإله بحالة العري. يبدأ الملتمس بالبكاء والعويل ثم يقوم بشتم الألهة الأخرى قبل أن يستمع بعل لندائه. عند ذلك يقوم بتمجيد هذا الأخير وبتقديمم «الأخبار الطيبة» إليه علماً بأن هذه الأخبار كانت محصورة بإيل في العادة، وينتهي بالاعلان عن «إذابة» التماثيل (IIAB). كان يمكن للانسان أن يأمل بالحصول على جناحين (مثل الشياطين) لكي يرتفع الى مقر بعل، فوق الغيوم.

الأسلوب والشعر

التشويه الذي تعرضت له هذه اللوحة وطبيعة محتواها يجعلان من الصعب تقييم أسلوبها. ومع ذلك نستطيع أن نتعرف فيها على أسلوب إيلي ـ ميلكو وجمله

القصيرة نسبياً، وهي تشابـه بالتالي اسطورتي كيريت وأقاهات. والنص يتضمن بعض مقاطع لا تخلو من الجمال.

إن أخبار الملك ـ الكبير لا تتبع تسلسلاً زمنياً دقيقاً علماً بأن وضع البلاد الـداخلي كمـا يصفـه النص جاء كنتيجـة طبيعية للأحـداث الجارية في النص السابق. نجد تلميحاً الى حالة حرب تم تفصيلها في (IIRP). هذه الحرب تتعلق بصراع مع العبرانيين. يلاحظ أن تسمية عبرانيين، بعد ذلك التاريخ، يحل محلها تعبير يهوذا (ي د م) عند الاشارة اليهم؛ لذلك يمكننا الافتراض أن اللوحة (IVAB) تأتي بعد (VAB) وقبل (IIAB). نلاحظ أيضاً كثرة تدخل الآلهة ولعل السبب في ذلك وجود فكرة إصلاح ديني وضرائبي (لأن موارد الدولة كانت مرتبطة بممارسة العبادة).
يبدو لنا ان الملك ـ الكبير كان يتطلع الى حلف دفاعي يقوم على توحيد العبادة مع دولة مجاورة ومستقلة، هي دمشق، على الأرجح. وكانت محظية الملك ـ الكبير الأجنبية تعمل على إيجاد مثل هذا الحلف.

من المحتمل (راجع IIAB) ان عبادة إيل حلت في وقت سابق، محل عبادة أقدم منها، كان فيها بعل الإله الرئيس في بلاد كنعان. وبلاد كنعان تعرفت ولابد، أثناء الاحتلال المصري، على عدد من الآلهة الجدد. ومن المرجح أيضاً أن عبادة إيل لم تنتشر في البلاد عامة إلا قبل عهد الملك ـ الكبير بقليل. وساهم العبرانيون في حرب التحرير من السيطرة المصرية، مما انعكس على الواقع الديني. تمسك بعض المتمردين بعبادة إيل، بينما تمسك البعض الآخر بعبادة عشيرات. أصبح وضع الملك ـ الكبير صعباً فلم يبق أمامه سوى العودة الى آلهة البلاد القدامى ومحـاولـة جمـع الكبلمة حولها. هل كانت هناك نية للتقارب مع شعوب ما بين النهرين، وهي التي أصبح بعل لديها، الإله بيل السومري ـ الأكادي؟ يبدو ان هذه الفكرة راودت الملك ـ الكبير (راجع IIAB)؛ ذلك اننا نلاحظ ان هذا الأخير حاول ممارسة أسلوب العبادة الميزوبوتامية بكل تفاصيله، بما في ذلك العري. إذا كان الأمر كذلك، فإنه أخطأ التقدير إذ نسي أن شعبه كان متطوراً جداً، وهو يتمسك بمبادىء أخلاقية عميقة الجذور. يعتقدون أن عهد الإله المحسن سيأتي وأن عهد

الإله المسيء سيزول مهما كانت قوة هذا الأخير (IID). وبالاضافة الى ذلك، كان الملك ـ الكبير يعمل بنصائح المحظية الأجنبية التي كان الشعب يمقتها، لأنها تعمل لتحقيق تحالف مع بن ـ داغون الذي كان حليفاً مخلصاً لمصر (انظر IK) والذي سبق له أن هاجم البلاد أكثر من مرة. لعل ذلك كله يفسر لنا كثرة تدخل الآلهة، ويجعلنا ندرك أكثر فشل الملك ـ الكبير في محاولته الاصلاحية الدينية، التي أخذت طابعاً رجعياً.

الفصل الثالث

هذه اللوحة معروفة بالرمز (IIAB) ، وتشتمل على ثمانية أعمدة. قام السيد ش. فيرولّو بنشرها تحت عنوان: «نشيد علّين ـ بعل الجديد»، في مجلة سورية ١٩٣٢ ص: ١١٣-١٦٣.

IIAB

(نقص يقارب ٣٢ سطراً).

خيم الظلام على منزل إيل:
المقاتلون يتم نفيهم، صراخ الشكوى ينفجر من أفواههم.
عشيرات، يوم الردة
يوم مذبحة «الكنايبت»
ـ عندما تم فتح البيت مع اللعنات،
عندما خيم الظلام على بيت الشقاق
ـ عندما تهدم بيت «الكنايبت» وانهار، ـ في ذلك اليوم
غطت عشيرات البيت بالغيوم المكدسة.
ومع ذلك كرِّر الصلوات ، أرجوك

لكي تصبح للأحشاء
ترساً يقيه من انشقاق «الأشيرتيم».
اعمل بنصيحة مخلوقات «الإيليم»
واصعد الى مِنْفَخ الصّهر مدمراً.
أبعد مرشد الموتى عن القرابين،
اصهر الفضة المغتنمة، وأساور الذهب؛ اصهر الفضة
بالآلاف؛ الذهب ذوّبه
ولو كان بعشرات الآلاف!
ومن أجل أن يزول الشقاق
اصهر تماثيل الحيوانات وتلفظ بالعبارات السحرية؛
أعد سبك الإله الذي نميته بالفضة!
الدمار والمجاعة هما في دم الذهب.
وهو إله كاذب.
ولترتفع صرخات البؤس، عند الضيق
من أولئك الذين يمدون يدهم من أعماق الحفرة،
لأن الإله سجين. أنت أيضاً توقع أن تلقى العدم.
قدرنا العدم بسبب الدهر،
من أجل أن تبقى مائدة الإله عامرة على الدوام.
قدرنا هو الهلاك لأنه
في أسرار الآلهة يكمن اضطهادنا/
اخضعوا للإله ـ يا ذرات الغبار ـ لأنه قد قرر
أن يعم البؤس، لأنه يرفض الكلام؛
وقدراته قوة عشرات الآلاف من الجواميس.
(١٨ سطراً ناقصاً).
تضامن مقاطعاته . . .

مقاطعة الأقنية يعمها الجفاف . . .
ـ يحرك خمره في كأس العرافة ؛
وفي اليوم التالي يترنح من شدة الخبل .
يحرك خمره بسرور وابتهاج :
سوف يحرق «ح ب ت ر» بالنار،
سيتلف بالخفاء، في كربة الجمر .
هكذا أذاب الأمير إله الجدود، رب الآفود
الذي كان ينصح بالإنجاب .
ـ عندما يرفع بصره، يرى في الجو:
بعل وعشتارت يصلان طائرين :
وتأتي العذراء عناة، ذليلة
لكي ترش المحظية .
. . . بالـ . ؟ . والأرجل
تغمرها بالوحل لذّة الحماقة .
. . . . ؟ . . . .
. ؟ . . . .
وسوء النية يتبدد مع القلق .
ليأتِ الشفاء والقوة الحياتية، وإلاّ كيف
يمكن أن يستريح السيد الأعظم؟
وكيف تستطيع العذراء عناة أن تريحه؟
من ذا الذي قسّم الحقيقة الى نصفين؟
ـ أبنائي، . . . جميع
من أنجبتهم، . . . الفضّة! . . . .،
لأن الذل يرافق ظلّ الفضة و. . .
الذهب يسعد المنشقّين . . .

يوماً، حتى من أجل فتيانه . . .
ـ يذل نفسه أمام حارس الموتى، ومع ذلك . . .
يتمادون في الشقاق، جماعة الاشيرتيم .
خذ الشباك وأنت تنحني . . .
خلافات رؤساء اليوديم . . .
فيما قدّره إيل . . .
مثل اليوم الذي، إله الجدود . . .
جبل الرب . . .
الأعظم . . .
العذراء عناة . . .
هو الذي . . .
(تسعة أسطر لم يبق منها سوى المطلع)
(ما يقارب ١٥ سطراً ناقصة)
. . . . . إنه يتألم .
. . . . . لا جدوى منه، يهرب .
. . . . . أساساتك .
. . . . . في الأبدية .
. . . . ؟ .
. . . قرارات ملكية
أجاب السيد الأعظم .
ـ سوف يسرع، راكب الغيوم،
. . . هارباً، وهو يلعن القطيع .
ـ سوف ينهض، و . ؟ . الـ . ؟ . بيتك .
. . . ويقص على أبناء الإيليم .
. . . على مائدتي، الهوان .

بالخفَاء سوف يحرق بأسه .
ـ يكرِّر تجارب الحقد ، وبعلَ يثلّثها .
راكب الغيوم، اختبرهُ،
بالكراهية والتجربة، التجربة .
ـ العدل! ـ وتوقفت التجربة .
أطفأت الخادمات كراهية ألسنة السوء،
الخادمات المهدئات ، جئن
بعدما استراح السيد الأعظم
بما قدّمته العذراء عناة .
نصحت مخلوقات الآلهة
باتّقاء فتنة الاشيرتيم :
وإذا بدأت ، يوماً ، فتنة الاشيرتيم ،
كيف يمكن اتقاؤها ،
وعشيرات التي عبرت عن هذه النصيحة ،
أسدتها لمخلوقات الآلهة ، كاملة .
لكن الأمير إله الجدود، خلق الفوضى عندما نصحهم
بكثرة الانجاب . قالت
العذراء عناة : «سوف نغرقه بالفتن . عشيرات
«قدمت النصح لمخلوقات الآلهة ،
«. . . سوف نسلمه للأحزان ،
«. . . السيد الأعظم ،
«. . . الفتن . عشيرات ، يوماً ،
«. . . العذراء عناة .
«. . . كلوا واشربوا
«أيها الملاعين! ترنحوا مرتجفين!

«ومن يتمرد سوف يهلك في جفاف الصحراء المالحة.
«اشربوا، ان تعبتم، الخمر،
(٨ أسطر ناقصة)
(ينقص ما يقارب ١٢ سطراً)
. . . الفتن
من الاشيرتيم. لقد استولى عليك الفقر
التحق بالـ ب هـ ل، الكروم تلفت، وفقدت
الفضّة، تبخرت، أصابتها اللعنات!
اترك الكرمة ثمناً لخيانته!
وليستمع: - إلقِ بنفسك أرضاً وأعلى!
في فراغ الفقر، التحق بالـ ب هـ ل!
تلفت الكروم، فقدت الفضة،
فقدت، لفظتها اللعنات.
اترك الكرمة ثمناً لخياناته!
فليستولِ على قادش وأمّورو
وليضع «الاشيروت» على الأماكن العالية الجرداء
لكي يبخّرها بالبخور. ولتصبح الأماكن العالية المخصصة «ب هـ ل
الأماكن المقدسة للحلفاء، لتحترق
آمورو! لأنهم يتألمون شديد الآلام
أولئك الذين تقودهم العذراء عناة،
وبعل، يتجه نحوهأهالي موريّا الشمالية.
لكنه لن يدر وجهه نحو مصائبك!
شعب إيل سوف يبث الفوضى بين الذين يقتربون،
قريباً سوف يتم احتواؤهم،
وإيل سوف يكشف عن صدره.

القِ بنفسك أرضاً، أيها الملك! ارضخ في مواجهة الأحقاد،
وعلى قدمي إيل ـ بسرعة ومهارة ـ
انحن وقدم له التبجيل!
إن إيل يعاقب من يتمادى بالاعتداد بثروته.
سوف ينهض متثاقلاً من فراشه وهو يضحك:
ثم يصدر حكمه وقدمه على المنضدة.
بأصابعه سيأتي بالشفاء ويحيي.
يستطيع أن يهدىء فتن الاشيرتيم
مثلما استطاع إرسال المجاعة الى
مخلوقات الآلهة و. . . . .
العذاب ، الظلام الدامس و. . . . .
ـ يتذمرون طالبين الخبز والشراب، نريد أن نأكل، أن نشرب!
فليوضع الخبز على المائدة! يبكون من الشقاء، من الدمار:
يبكون. . .
ـ صمت الجمهور المزمجر ـ يد الملك ـ الإله
ستقودك، ومحبة الأمير ـ الإله ستوقظك.
لكن فتن الاشيرتيم بدأت!
ـ إن لومك، يا إيل، هو جوهر الحكمة،
لكنك وزعت الحياة على الشعب الخالد!
لومك هو لوم الملوك، لكن السيد الأعظم
حاكمنا، ولم تبق لديه ذرّة حكة.
عندما تقسو عليه، يتضجر ويصبح بليداً؛
عندما يتضجر، تستولي الفوضى على عرشه.
أتوسل اليك لإنقاذه، أيها الأمير، إله أبيه!
أيها الإله ـ الملك، يكفيه ما عاناه ، أنقذه!

ألم تلده عشيرات؟ كوّنته إيلات وبقيّة
الآلهة. ـ لكن بالحقيقة ليس هناك هيكلاً لبعل
مثل بقية الآلهة، ليس له فناء مثل أبناء عشيرات.
فليبن له مكاناً يقيم فيه، منزلاً مثل منازل الآلهة!
إن منزل منازعات عشيرات، يوم
الردّة، يوم مذبحة «الكنابيت»،
قد فُتح، فُتح المنزل، منزل اللعنات.
خيّم الظلام على المنزل ودخلته الفتن.
أصبحت الأرض حبيسة، والمنزل تكدست فوقه الغيوم.
وأخذ إله الجدود يتنبأ: «هاهناسوف يتم استعباده بين العويل، كما
قالت عشيرات، ـ
«هنا سيخضع للعبودية. سأهزمه، واستولي على. ؟.
«ما يتمتمون به هو عين الحقيقة: عشيرات فقدت عقلها.
«في لِبنا، فليشاد معبد لبعل،
«مثل بقية الآلهة، وفناء مثل ابن من أبناء عشيرات.
«وإذابدأت فتن الاشيرتيم،
«هذه الفتن، سوف تتولى الآلهة بحكمتها
«ايقافها، وتجعلهم يبتعدون عنك، عن خنادقك،
«والرماح... عن صدرك.
«والمراعي بالبهجة ستتلقى المطر،
«بعل، سيعيد اليها البهجة والسرور، وينتهي الجفاف بهطولها.
«وإذا أطلق صوته بين الغيوم،
«وغضبه على الأرض؛ فالصواعق
«بيت الأرز يستطيع احتوائها.
«والهمهمات في معبد لبنـا سوف تتوجه إليه.

«لكن، لا حاجة للصلاة من أجل السيد الأعظم!
«لأن ذلك يثير الغضب. - زد كمية الفضة
«وأيضاً عدد الكؤوس والمجوهرات!
«ولتقدم لك التحف، التحف التي تحمل اللعنة
«فتدرك خزي الفضة والذهب،
«وعار الدمامل المحرقة!»
- ابتهجت العذراء عناة: «إنك تتمادى وتضور
«قدماك، شرائع البلاد
لن تدير وجهاً الى مصائبك.
«شعوب بعل في مموريّا الشمالية،
«تقاتل مثل ألف شيطان، مثل جيش من الشياطين».
ضحكت العذراء عناة: ليحملوا اليك
«الشفاء ولتبعث؟ فليحملوا اليك خبراً ساراً، ايها السيد،
«لكن الأنباء الطيبة بالنسبة اليك، هي قرابين و!
«لك بيت مثل الذين خلقوك، وفناء
«مثل أولئك الذين كوّنوك»! - وتجدد الغضب:
«بسبب العار الذي لحق بك، عالمك بكامله
«سوف يتلف، حتى الأعشاب في قبل قصرك ستتلف.
«زد من الفضة، من الأكواب، من المجوهرات.
«وتفهم خزي الفضة
«والذهب، خزي الدمامل
«الحارقة! - يبتهج السيد الأعظم
«لأنه أثار الغضب من جديد بسبب العار الذي لحق به.
«الأعشاب الخضر، في قلب قصره أتلفها؛ السلالة قضى عليها.
للحصول على مزيد من الفضة

«من الأكواب ـ طمعاً بالذهب،
قضى على السلالة . من أجل المظاهر الفارغة
جالس على مائدته، حارس الموتى ومرشدهم .
لنتوقف هنا عن سرد قصتنا، ـ لأن الشبانِ قد تعبوا .
بعدما استراح حارس الموتى ومرشدهم،
وتظاهر بالصداقة أمامه، لكنه سرعان ما تحول إلى المرارة
فتحجر وجهه . غادر مقعده،
وجلس الى يمين السيدّ
الأعظم، وقدم الخبز قرباناً، من أجل أن . . .
وأخذ السيد الأعظم يقول :
«. . . . . . .
«المدد! إن العار . . .
«أغثني! إن القصور تنخر فيها الديدان . . .
«المدد! الخزي يجعل . . .
«المدد! جعلنا الديدان تنخر في القصور . . .
«وفي جو من القلق المكبوت،
«استولى ألف شيطان على المنزل؛
«وأصبحوا جيشاً يهدد القصر» .
ـ أجاب حارس الموتى ومرشدهم :
«ليستمع السيد الأعظم،
«ولننتبه الى ما يقوله راكب الغيوم!
«ما أن أمزج الخدعة في العار،
«حتى يتدنس كل شيء في قلب القصر» .
ـ أجاب السيد الأعظم :
«اللعنة إذا كنت تجعل الحيلة في العار

«لتدنيس قلب القصور».
(نقص سطرين أو ثلاثة).
أجاب حارس الموتى ومرشدهم:
«إنني أعود، يا بعل الى التضرع،
«حارس الموتى ومرشدهم، يكرر لك الصلاة
«اصغ الى الأحشاء وهي تصلي من أجل السيد الأعظم!
«ما ان امزج الخديعة في العار،
«حتى يعم التدنيس قلب القصور».
قال السيد الأعظم:
«اللعنة، إذا كنت تجعل الحيلة في العار،
«لتدنيس قلب القصور!
«اللعنة، إذا كنت . . . بيت اللعنات،
«. . . . . . بيت الفتنة».
- . . . . . . كالتها الآلهة
. . . . . . وذابت.
. . . . . . وأجاب حارس الموتى
ومرشدهم: «اصغ، بعل، الى شكواي!
«. . . . . . ذُلُّه سيرمَّم.
«. . . . . . مليئاً بالديدان، سيصبح قصره».
- . . . من أجل لبنان وشجره.
الرغبة في شرب الخمر تملأ صدره.
. . . لبنان وأشجاره.
الرغبة في شرب الخمر تملأ صدره.
- بالنار ستحرق العار،
والفضائح التي في القصور!

ـ يوم، يومان والنار تلتهم،
كل ما يكسوه العار، والفضائح
التي في القصور؛ ثلاثة، أربعة أيام
والنار تلتهم كل ما يكسوه العار،
والفضائح التي في القصور
خمسة، ستة أيام والنار
تلتهم كل ما يكسوه العار، والفضائح التي
في القصور . . . وينهار
في اليوم السابع . . . ، ذبيحة الخلاص بالنار
التي تقسو على العار، وعلى الأمور المنسية التي تجري في القصور،
الفضة التي تحول الى خيوط نسيج، والذهب.
ـ القدر يبتهج بالنسبة لموضوع لِبنا.
السيد الأعظم يهاجم الـ ي ب ن ت
«فقدت الفضة! فقدت قصوري!
«الذهب! لم يبق لي منه شيء؛ العار . . . ».
«الكرامة فقدت. تخلّى . . .
قصره. يذبح الثيران
والماشية؛ الثيران يهاجمها بالحجارة
وتحل اللعنات فتهلك العجول.
بأوامره الممقوتة، يستولون على أموال الشعب الغريب.
ويظهر له من جديد، ذلك الذي منحه الحياة بالخزي، ذلك الذي كوّنه
في قلب قصره. يظهرون من جديد . . .
أبناء عشيرات السبعون
وتسخر الآلهة من الكروم التي تنتج الخمر،

والإلاهات تهزأ من الموائد التي ليس فيها سوى الخمر.
تسخر الآلهة من أكاذيب الخمر؛
والإلاهات تهزأ من مجالس الخمر.
الآلهة تسخر من دروب الخمر،
والإلاهات تسخر من دروب الخمر.
ـ هذا اللعين يشرب بدلاً من الطعام
ويترنّح مرتجفاً. ـ نهاية المتمرّد
الهلاك في جفاف الصحراء المالحة.
ـ وإذا تعبت، فاشرب الخمر
(ثمانية أسطر ناقصة)
. . . ؟. . . .
. . . السيد الأعظم.
. . . كالها الإله.
. . . بشدة كان سقوطه.
. ؟. . . . بالهلاك
مثل . . . الآلهة سراً.
من كان ينقصه « . . . . . . الذكاء،
يعود الى الخراب، . . . الذلّ.
ـ ستة من أصل كل ستين أسرهم العدو؛
من أصل سبعين، سبعة تفرقوا.
ثمانون، السيد . . .
تسعون، السيد . . .
. . . . . . بعل، في قلب
البيت. وتكلم السيد
الأعظم: «وضعت حارس الموتى بين

«البحر و. . . ، بينهم للشهادة.
«بالعار فتح باب التدنيس،
«بالحيلة، في قلب القصر.
«أكثر من ذلك، فتح، من خلال ثوب الغيوم الناعم
«ما يغطّي . . . ، حارس الموتى ومرشدهم».
ضحك حارس الموتى ومرشدهم:
«ليُحمل اليه الشفاء وليُبعث؟
«الصلاة ليست من أجلك، من أجل
«السيد الأعظم! ـ عُد، بعل،
«واصغ لشكواي! لقد بدأ التدنيس
«في الأماكن المخجلة: والمكائد في قلب القصور».
ـ بعل، في أثواب الغيوم الناعمة،
أطلق صوته المقدس.
كرَّر، بعل . . .
صوته . . . . . . الأرض:
«. . . . . الذين يرقبون، سوف أسرع إذن
«لكي أقيد . . . .
«قبل الفجر، سيأتي الموت . . . . . . ».
ـ الأعداء سحقهم، على التلال أولاً،
ثم في الغابات، مبتهجاً أمام
جثث العدو. ـ وبدأ السيد الأعظم
يتكلم: «لمَ هذه الصرخات المعادية، ولماذا تهرع؟
«مالك مسرع مسلحاً للقضاء على المسرات؟».
ـ مد بعل يده وأجاب، ـ
ـ وهو يحمل بيده اليمنى شجرة أرز، وكأنها حشرة عث

مسحوقة في يده : ـ
«سأحكم مادام السيد يكسوه
«العار، ـ ولسوف يسود الحزن .
«سوف أدمر المسالك التي نظّمها!
«آلهتك ضعفت ولاحول لها! ابن
«الايليم سيلقى الموت. وسيعرف البؤس
«ذلك الذي أحبه إيل؛ سوف يستغيث والموت
«في روحه. حتى لو اختبأ، هذا المحبب لإيل
«سوف أسرع الى أعماق مخبأه. لأنني
«سوف أحكم على الآلهة. والآلهة
«لن تتكلم، ولن يتكلم الأحياء الحبساء
«في ضجيج الأرض. حتى بالنسبة
«لهؤلاء الفتيان، فإن بعل يستطيع
«إعادة الحياة، ويستطيع الإذلال أيضاً».
ـ الكرمة والحقل، مثل الصبايا،
. . . بين المصائب . . .
. . . ؟ . . . .
. . . . غيوم
. . . . . . ؟ .
(نقص يقارب سبعة أسطر)
من يُدر وجهه نحو بؤسك،
ذلك الشعب المعادي الذي يستقي قوته من الشرائع .
أما شعب أمير ماج (؟) المعادي
شعب التلال، فإنني سوف أقضي على ثروته .
استدرج العدو ، رئيس اليوديم،

إلى «حلبا» لمحاصرة «رهاتيم» (؟)
واسحق بيت الأحرار.
تستطيع أن تقول أمي
أجلب الدمار في الأنهار.
وقرتوها (؟)القاسية التي لن تدر
وجهها نحو بؤسك.
وعرشها سينهار كما أعلنت.
مساكن أهلها ستكون الكهوف. سوف
أتلف ميراثها وستهلك.
من الآلهة، للحصول على مساعدة
لا تقترب! ـ لابن الايليم
قُدِّر الموت. لا فائدة ترجى، لقد تخلّى عنكم
كما صرح بذلك من فمه: ـ
«مخلوقاته ستفنى». ـ
خشية الآلهة في نهاية الاعتداد بالنفس.
الريق جف، وتعبت السماء».
الموت في يد الآلهة. إنه مثل ألف شيطان مخاصم،
مثل جيش الشياطين. على قدمي الموت
بسرعة، با صول
انحن وبجله، بالصلوات والعويل.
الموت مقدر لابن الإيليم.
كرر الاستغاثة من أجل محبوب إيل شكوى
السيد الأعظم
بمنتهى الحزن: «....
«...... عاري ب ن ت

(١٢ سطراً لم يبق منها إلا نهاياتها، نقص يقارب ١٥ سطراً).

هامش: . . . . . الراوي، في عهد نقمد ملك اوغاريت.

اللوحة (IIAB) هي أطول لوحة وصلتنا حتى الآن، لكن التشويه أصاب نصفها تقريباً، كما وأن النقص الحاصل في العمود الأول يجعلنا بوضع لا نستطيع معه معرفة ماهية الأحداث التي يشير اليها هذا النص.

يبدو، على أي حال، أن الملك ـ الكبير تعرض لهزائم خطيرة، كما يبدو أن الظلام خيم على منزل الإله إيل عندما ارتفعت اليه شكاوى الأسرى المبعدين. ذلك انه عندما قرر الملك ـ الكبير، يوم الردة، القيام بمذبحة «الكانانيت» (وهم على الأرجح شعب تسيف وشمرون ـ (VAB) وفتح بيت اللعنات والفتن ـ في ذلك اليوم جاءت عشيرات بالغيوم الكثيفة وكدستها على قصره. كان على الملك في حينه، أن يعمل بنصيحة «مخلوقات الآلهة» (أي شعبه) وتغيير أسلوب حياته. ثم أخذ الملك يواجه خطراً جديداً، لأن الآشيرتيم (أتباع عبدي ـ أشيرتا وأتباع عشيرات) أخذوا يتحدّون سلطته. عشيرات أسدت النصائح للشعب، الذي كان يعرف كيف يمكنه أن يتّقي هجمات عبدي ـ أشيرتا وأتباعه. من أجل ذلك كان لابد للملك من أن يتوقف عن خدمة الشياطين، معاوني بعل، وأن يمتنع عن تقديم القرابين لهم. أكثر من ذلك، كان عليه أن يقوم بتقديم الأضاحي والتخلي عمّا تم تخزينه في مستودعات القصور الملكية لمواجهة احتياجات الحرب.

ذلك ان الملك ـ الكبير كان قد كدس كميات هائلة من الذهب والفضة خلال حروب سابقة حالفه فيها الحظ (؟)؛ كان لديه الكثير من المجوهرات؛ من الأساور الذهبية، من الأكواب الذهبية، والفضية؛ بالاضافة الى عدد من التماثيل المعدنية لعدد من الآلهة الأجنبية ولبعض الحيوانات. كانت نقمة الشعب تنصبّ، بالدرجة الأولى على هذه التماثيل؛ وأخذ يطالب الملك بالاشراف بنفسه على صهرها، وبشكل خاص صهر تمثال ذلك الإله الكاذب الذي لا تساوي قيمته قيمة المعدن الذي صنع منه تمثاله. أخذوا يقولون: «المجاعة والخراب تتواجدان في

دم الذهب» . ذلك ان هذا الإله يبتهج للمصائب التي تحل بالبشر، للمصائب التي تحل بأولئك الذين سقطوا في الهاوية ومدوا أيديهم إليه طالبين الغوث. إله مغلق وعنيد، لا يجيب على الأسئلة التي توجه إليه، مما يدل بشكل قاطع، على رغبته بأن يعمّ الفقر والبؤس. الملك ـ الكبير كان يبتز رعاياه لكي يستطيع تأمين المزيد من الذهب لهذا الإله. عمّت المجاعة وأصبح لابد لهذا الوضع من نهاية. لن تصطلح الأحوال إلا بذهاب الملك ـ الكبير بالذات للاشراف على صهر ذلك الإله الأجنبي، على أن ترافق ذلك بعض الصيغ السحرية. . . (نقص في النص).

لم يكترث الملك ـ الكبير للنصيحة، واستمرت البلاد تتلقى الكوارث. أخذت لُحمة المملكة تتفكك، وكثر التخاذل والتردد. وأصاب الجفاف «مقاطعة الأقنية» وهي من أخصب أراضي المملكة. أما الملك ـ الكبير، فإنه أخذ يكثر من شرب الخمر بحجة أنه يستشير الآلهة بواسطة كأس التنجيم. وكثيراً ما يجدونه مترنحاً، خَدِراً ومستعداً للقيام بعمل جنوني جديد. وانتهى به الأمر، بدلاً من القيام بصهر الإله الكاذب، بأن تعرض لآلهة جدوده، إله «الايفود» ورماه في الجمر. رمى في الجمر ذلك الإله الذي نصحه بتغيير سلوكه في الحياة والتفكير بالإنجاب. عندما قام الملك ـ الكبير بهذا التدنيس ظهرت له آلهة الجحيم على الفور: بعل وزوجته عشتارت. أما الآلهة عناة، العذراء، فإنها جاءت أيضاً لترى بنفسها إلى أي درب وصل، من كانت تحميه وتدافع عنه ـ لتراه يغرق في «ملذّات الحماقة». إنها، بالطبع، لاتزال ترغب برحيل المحظية الأجنبية. ولكنها تعلم أيضاً أن الوقت قد فات. لم يعد شفاء الملك ـ الكبير بالأمر المستطاع-لأنه «جزّاً الحقيقة». وأصبح كل ما تستطيع أن تفكر به العذراء هو منح الملك فترة مؤقتة من الراحة. عبثاً حاولوا إسداء النصح للملك ـ الكبير، مشيرين الى ان تكالبه على الذهب لن يؤدي إلا إلى زيادة أطماع أعدائه في ذهبه. لم يتقبّل النصح. بل، على العكس، أخذ يقدم الخضوع، ذليلاً الى رئيس الشياطين، مساعد بعل الرهيب، حارس الموتى ومرشدهم. وعلى ذلك تصلب المنشقون في موقفهم حتى تحالف أتباع عبدي ـ أشيرتا مع رؤساء اليوديم. . . (نقص في النص).

(تعـرض النص هنـا لكثير من التشـويه؛ غير انه يفهم منه ان بعل استمر بالتنكيل بالشسعب).

... استـطاعت العذراء عناة أن تقنع بعل بالتوقف (مؤقتاً؟) عن التنكيل بالكنعانيين، «مخلوقات الايليم». وهكذا استطاع الملك ـ الكبير أن يستريح قليلاً بحراسة عبيده. كامل الشعب يعرف تماماً كيف يمكن وضع حد لتمرد الاشيرتيم؛ وكانت عشيرات بالذات أعطت تعليماتها بهذا الصدد. غير أن إله الجدود هو الذي خلق الفوضى (؟)، عندما نصح الملك ـ الكبير بالاهتمام بالانجاب (دون أن يتم طرد المحـظية الأجنبية؟). عند ذلك، قررت عناة التخلي عن الملك ـ الكبير، فازداد الشقـاق وأصبحت نهـايتـه قريبـة جداً. يستطيع الملك أن يأكل ويشرب كما يشاء، لكن اللعنة حلّت عليه وأصبح هلاكه حتمياً... (نقص في النص).

لكن اللعنة التي حلت على الملك ـ الكبير، تنعكس على شعبه. أخذ هذا الشعب يتوسل الى الملك، طالباً منه التراجع عن موقفه.

... (نقص في النص)... عم البؤس البـلاد؛ المال اختفى، الكروم تلفت. الحل الوحيد يكمن في أن يعود الملك ويتصل بالـ ب ه ل، فيلقي بنفسه أرضاً ويبكي ثم يبكي على ما ألمّ بشعبه. وتتوالى النصائح: لابد من القيام بالتضحيات المادية اللازمة والتخلي عن منطقة الكروم لذلك الذي خانه؛ التخلي عن مدن هامة مثل قادش، لا بل التخلي، عند الحاجة عن بلاد أمّورو بكاملها (VAB). ما أهمية، بعد كل ما حدث، ما أهمية أن يقيم العدو ركائنه المقدسة (؟) (الاشيروت) على الأمـاكن العـالية التي كانت مخصصـة في السابق للـ ب ه ل، وأن يحرق فيها البخور؟ ما أهمية ذلك إذا كانت بلاد أمورو بكاملها قد التهمتها النيران؟ إن الشعب الكنعاني بقيادة العذراء عناة، فقد قدرته على المقاومة، أربكته الآلام. وفي شمال موريّا، أصبح لبعل أتباعاً يقومون علناً بعبادته علماً بأن بقية السكان غير مستعدة لمساعدة الملك ـ الكبير. غير ان الشعب الكنعاني «شعب إيل» متمسك بإيل، وهو على ثقة بأن هذا الإله سوف يهرع لحمايته رغم كل شيء. يجب أن يبادر الملك ويرتمي على أقـدام هذا الإلـه. هو الـوحيد الـذي يستـطيع إيقـاف فتنة

الاشيرتيم. يستطيع القضاء على الفتنة مثلما استطاع جلب المجاعة الى البلاد. أليس هو الحاكم الأعلى؟ انه يستطيع أن يعاتب من يبالغ بالتباهي بثروته، كما وإنه يستطيع الخروج من عزلته وجلب الشفاء لمن يتألم.

اشترى الجوع فتجمع الناس أمام قصر الملك، مطالبين بالطعام والشراب. تعب الناس من الشكوى، فانطووا على انفسهم بينما استمرت الحرب الأهلية. عاد الشعب وقرر مخاطبة إيل مباشرة: إن ما فعله إيل هو عين الحكمة، وهو محق في كل مآخذه، على القوم؛ ولكن ألا يذكر بأنه وعد الكنعانيين بالحياة، وهو «شعبه الخـالد»؟ بالطبع أن الملك ـ الكبير سيد البلاد وحاكمها؛ لكن المصائب التي حلت به جعلتـه غبياً واستولت الفوضى على عرشه. المطلوب من إيل أن يضع حداً، من أجل شعبه، للمصائب التي تثقل كاهل الملك. ألا يكفيه ما تحمله من آلام؟ أليس ابناً لايل؟ ألم تلده عشيرات؟ ألم تكونه إيلات وبقية الآلهة؟ ـ الحقيقة أن أصل الكارثة يعود إلى عدم وجود هيكل لبعل. قد تتحسن الامور اذا ما أقيم هيكـل لهـذا الإلـه. ذلـك أن بعل ثارت ثائرته عندما فتح الملك ـ الكبير «بيت اللعنات» وقرر ذبح «الكانييت» مما أدى إلى أن الغيوم السود أصبحت تغطي الأرض.

سمع إيل، إله الجدود، هذه الصلوات وأجاب: حقاً ان قرار عشيرات كان بالغ القسوة. إنها حكمت على هذا الشعب بمعاناة العبودية في نفس بلده! لا بد أنها فقدت عقلها، ومن حق الشعب أن يعترض ويتململ. إن فكرة تشييد هيكل لبعل، فكرة جيدة، وليكن ذلك في «لِبنا». وهكذا ستكون حكمة الآلهة ترساً يرد هجمات الأشيرتيم كما يردون الرياح عن صدور المقاتلين؛ أما بعل فيصبح إلهاً محسناً، وتهطل أمطاره فتحيي المراعي «تجلب السور للمراعي»، وإذا ما خطر له أن يطلق الصواعق فإن هذه الصواعق لن تقع على الأرض بل يجتذبها الأرز الذي سيبنى منه هيكل «لِبنا». ويمكن الذهاب أيضاً إلى هذا الهيكل «لتحميله ضجيج الشعب». غير انه ليس من المناسب الصلاة هناك من أجل الملك لأن ذلك سيثير غضب الإله من جديد، لأن الملك لا يفكر إلا بتكديس الأموال حتى اصبحت

كنوزه شبيهة بالدمامل الكريهة. كل ما يقدم للملك تلعنه الآلهة.

العـذراء عناة ترتاح لقرار إيل. الملك ـ الكبير يستمر في غيِّه؛ أخذ يأمل بمساندة شعوب موريّا الشمالية، التي يقاتل أبناؤها مثل آلاف الشياطين ـ لكن هذه المساعدة لن تأتي لأن شرائع البلاد لا تسمح بذلك. ولكن، بالحقيقة كيف يمكن أن يعالج الملك ـ الكبير؟ إنه لا يتأثر إلا بالذهب والفضة. ألا يكفيه أن يمتلك قصراً يشبه هيكل إله؟ ألا يعيش عيشة الآلهة الذين أنجبوه؟ وهذه عناة تتنبأ له، وهي في حالة غضب شديد، بهلاك جميع أفراد أسرته («الحشائش الخضراء في قلب قصره»..). قد يأتي اليوم الذي تزداد فيه كنوزه إلى درجة يدرك معها كل الشناعة التي ترتبط باكتناز الذهب. لكن الملك ـ الكبير يستمر في غيّه، ولا يأبه لغضب الآلهة، فيقوم بنفسه، تنفيذاً لقرار هذه الآلهة، بالقضاء على الذكور من عائلته. يقضي على إخوته، رغبة بتكديس المزيد من الذهب والفضة، ومن أجل أن يسعد ويمتـع نظره بهذه الكنوز المكدسة. يقوم، حباً بالظهور، بدعوة رئيس الشياطين الرهيب، حارس الموتى ومرشدهم ـ يقوم بدعوته على مائدته.

هنا يتوقف الراوي ويعلن انه يخشى أن يكون أتعب المستمعين الشباب، وعندما نعود الى النص، نجده يتناول اسطورة يمكن مقارنتها بقصيدة «ذلك الذي باع نفسه للشيطان».

يجلس رئيس الشياطين، على مائـدة الملك. لكنه سرعان ما يتخلى عن مظهره الطيب فيقوم ويجلس الى يمين الملك ويأخذ شكله الحقيقي بما فيه من قسـوة وفـظاظة. يقدم قربان الخبز (الذي ينطوي على معنى لا ندركه). يتوسل الملك ـ الكبير ويطلب المسـاعـدة، بغية أن يخلصه من الشياطين المشاكسين الذين استولوا على القصر. غير ان حارس الموتى ومرشدهم كان له رأي آخر. كان هدفه، على العكس، تدنيس القصر بكامله بالحيلة والمكر (؟) فتوسل بدوره الى سيده بعل، لتمكينه من ذلك. يعارض الملك ـ الكبير ويشتم الشيطان الذي أخذ يصـر على فتح «بيت اللعنات» من جديد. تبقى معارضته دون جدوى لأن بعل استمـع الى نداء معاونه. أضرم الملك ـ الكبير النار في قصره معتقداً انه بذلك

يستطيع تنقية جو القصر ـ وقد يكون فعل ذلك تحت تأثير الخمر معتقداً انه يتصرف بملء إرادته. استمر الحريق سبعة أيام قضت النار خلالها على كل شيء: الكنوز التي كدسها، الأواني الفضية، الذهب الذي حوله الى خيوط نسيجية صنعت منها الأقمشة (البروكار). عندما التهمت النيران كل شيء، أدرك الملك أن إتلاف الحاجات المادية لا يمحو العار. فقد وقاره وأخذ يذبح الثيران والعجول وغير ذلك من ماشيته. أخذ يرجم الثيران حتى الموت. ثم عاد والتفت الى شعبه، الى الأجانب الذين يعيشون مسالمين في بلاده، ففرض عليهم الضرائب المنهكة ثم صادر ممتلكاتهم. طفح الكيل، فظهرت جميع الآلهة التي تواجدت يوم مولد الملك واجتمعت بين خرائب قصره وهم: إيل وعشيرات وأبنائها السبعين ـ تجمعوا لكي يلعنوا من يُسرف في شرب الخمر وأخذوا يسخرون من آثار الافراط في شربه . . . . . (نقص في النص) . . .

عندما نعود الى النص نجد أن الملك ـ الكبير تمادى في تصرفاته غير المتزنة، وهو الآن يريد منازلة العدو في ميدان المعركة.

. . . (نقص في النص) . . . خسر المعركة فأسر العدو عشر جيشه، كما فر عشر آخر. لا نعلم ماذا حل بالباقي. كان الملك يتوقع مساعدة بعل، ولكن هذا الأخير أعرض عنه، والشيطان (حارس الموتى؟) لم يحبس القوى الضارة التي تقيم في أعماق البحار ـ لم يحبسها دونه كما توقع. وأخذ يلوم ويعاتب هذا الإله الذي كرّس نفسه لخدمته. عاتبه على تصرف حارس الموتى الذي لم يفِ بوعده فدنس القصر بدلاً من أن يحميه. وأكثر من ذلك، قام الحارس بتمزيق ثوب الغيوم الناعم لكي يبعث اليه بالمزيد من الكوارث.

ـ أخذ الشيطان الرهيب يقهقه ضاحكاً: إنه هو الذي توسل الى بعل وكان يهزأ من الملك الذي وثق به. وبعل من فوق الغيوم، أسمع صوته بواسطة الرعد، وابتهج لرؤية الجثث مبعثرة على التلال وفي الغابات. عند ذلك سأل الملك ـ الكبير بمنتهى السذاجة، ما الذي يدفع هذا الإله للاسراع مبتهجاً وسلاحه بيده، عندما يتعلق الأمر بالقضاء على سعادة البشر؟ أجاب بعل، الذي تساوي شجرة

الأرز في يده، حشرة عث في يد إنسان، أجاب: طالما انت مستمر بخطك ويكسوك العار، سأبقى أنا الحاكم وتعم على الأرض الأحزان. كلما حاولت تنظيم مشاريعك، أقوم أنا بتخريبها. آلهتك أصبحت ضعيفة، لا حول لها ولا قوة. يمكنك الاستغاثة ولكن ليس من مجيب، وإذا حاولت أن تختبىء فلسوف أعثر عليك أينما كنت. ذلك أن بعل يحكم وهو فوق الآلهة. لن يتدخل أحد من الآلهة أو البشر لصالح الملك، لأن بعل، الذي يستطيع إعادة الميت الى الحياة، يستطيع أيضاً إذلال الحي . . . (نقص في النص).

يمكن الافتراض هنا ان الطبيعة تدخلت بشكل إيجابي. ونعثر في (IAB) على تشفُّع صادر عن الحقول والكروم؛ ويبدو ان شيئاً من هذا القبيل أدى الى صدور تنبّؤ (عن إله ما؟) جاء فيه أن:

الشعب العدو الذي «يستقي قوته من الشريعة» لن يعرف الرحمة. وهناك شعب عدو آخر هو شعب أمير «ماجٍ» (؟)، الذي يعيش على التلال. هذا الشعب سوف تتلف أمواله، وهو أيضاً لن يعرف الرأفة (؟). أما بالنسبة «لليوديم» (اليهوديم؟) فإنه كان على الملك ـ الكبير، وفق نبوءة قديمة، أن يستدرجهم الى «حلبا»، ثم يقوم بمحاصرة «ريهاتيم» (؟) ويشتّت شملهم. وكان من المفروض أن يتم النصر عند معبر نهر، لعله الأردن. ليس للملك ـ الكبير أن يتوقع تدخّل دولة أجنبية مثل فرتوها (؟) القاسية. إن عرشها سينهار، أما سكانها فسيلجؤون الى الكهوف؛ ـ وعلى أي حال، إنها لا تستطيع مساعدته في شيء. لم يعد للملك ـ الكبير أي أمل في العون، سواء أكان ذلك من قبل الآلهة أو البشر. تخلّت عنه الآلهة، ولم يبق له إلّا أن ينتظر الموت؛ وذريته نفسها ستلقى الهلاك. ونعود مرة أخرى الى الحكمة القديمة: خشية الآلهة في نهاية الاعتداد بالنفس. تعبت السماء من كثرة الكلام، وجف ريق الآلهة. الموت أخذ يقترب والأمل الوحيد الذي بقي للملك الكبير هو أن يحاول الحصول على تأجيل التنفيذ بعض الوقت. ـ يبدو أن الملك ـ الكبير أظهر الندم في تلك اللحظة وأخذ يتوسل الى الموت . . . (النهاية مفقودة) . .

إن العـديد من المعلومـات الواردة في هذا النص جاءت معزّزة لمعطيات النص (VAB) ؛ لذلك لن نعود اليها. وهناك عناصر أخرى تساعد على تفهّم أوسع للأحداث. ونقوم بتحليلها:

البـلاد والسكـان: ليس في النص ما يشير الى الاسم الـرسمي للبلاد التي كان يحكمها الملك ـ الكبير. نعلم ان البلاد كانت مقسمة الى مناطق (منطقتان منها ذكرتـا بالاسم) المناطق بدورها مقسمة الى ولايات. فالمنطقة المسماة «أم رر» (أمـورُّو) (انـظر VAB)، يبدو انها نفس المنطقة التي ورد ذكرها في لوحات تل العمارنة باسم «ماتو ـ أمّوري». ويرى كنوتدزون* أنه قد يكون المقصود بها، سورية الشمالية التي تشمل لبنان وسلسلة الجبال الموازية له، حتى أرواد. أما «لودز» (LODS) فإنه يعتقد ان المقصود هنا هو لبنان فقط. على أي حال، كانت أمورّو، في زمن تلّ ـ العمارنة، ميدان القتال بالنسبة لعبدي ـ أشيرتا، مما أنهكها وجعلها غير قادرة على مقاومة الغزاة. وهذا مما يؤيده نصنا. كان الملك ـ الكبير يحكم منطقة أمورّو بشكل مباشر يستطيع معه التنازل عن بعض المدن والأراضي مقابل السلم. أمـا المنـطقـة المسمـاة م ر ي م (موريّا)، ونعتقد انها فلسطين (تكوين ٢٢/٢)، فكـانت تنقسم الى قسمين، علماً بأن النص الذي بين أيدينا لا يأتي إلّا على ذكر القسم الشمالي منها. وكانت هذه البلاد مستقلة ولكنها ترتبط بالملك ـ الكبير. سكـانهـا معـروفـون بلقب «شعب إيل»، يعتمـدون على هذا الأخير لحمايتهم، مما جعلهم يمتنعون عن القتال الى جانب الملك ـ الكبير. البلاد التي كان يحكمها الملك ـ الكبير، بشكل فعلي كانت مقسمة، كما رأينا، الى ولايات، أصاب الجفاف إحداها (ولاية الأقنية) أيام الأحداث التي يرويها النص. شعب هذه البلاد كان يطلق على نفسه تسمية «الشعب الخالد» أو «مخلوقات إيل».

الكناييت (ك ن ي ت) هم في اعتقادنا شعب تسيف وشمرون الذي قضى عليه الملك ـ الكبير (VAB) ؛ ويبدو من خلال النص ان هذه المذبحة كانت بداية

(*) لوحات تل ـ العمارنة، لابزيج عام ١٩١٥ تأليف كنوتدزون (KNUDTZON).

سوء طالع هذا الملك الذي داهمته المصائب والويلات إثر ذلك. يرد أيضاً دكر لبعض المدن الأخرى؛ يبدو ان «قادش» التي ورد ذكرها في (VAB)، كانت المدينة الملكية الكنعانية (يشوع ١٢/٢٢)، أما «ل ب ن ت» فهي ليبنا (يشوع ١٠/٢٩) وبموجب نصنا كان مفروضاً أن يقام فيها هيكل لبعل. هذا ويبدو أن العدو قام باحتلال المدينة قبل إقامة هذا الهيكل. لماذا تم اختيار هذه المدينة بالذات لتكون مركزاً لنوع ممقوت من العبادة؟ قد يكون تم ذلك بسبب موقعها الجغرافي، في أطراف البلاد، وقد يكون تم ذلك لأن أهاليها أقل تعصباً من غيرهم لإيل.

ولابد من الاشارة هنا الى ان هناك عدد من المدن كانت تحمل هذه التسمية «ليبنا» أو «ليبونا» الخ... هناك مدينة تحمل هذا الاسم قام يشوع باجتياحها وتدميرها (يشوع ١٠/٢٩). ـ وهناك مدينة بهذا الاسم تمردت على الملك يورام، ملك يهوذا (الملوك الثاني ٨/٢٢)، وقد تكون هي نفس المدينة التي هاجمها الآشوريون (الملوك الثاني ١٩/٨). ـ هذا وإن والدة يهوآحاز كانت من مدينة تحمل اسم ليبنا (ملوك الثاني ٢٣/٣١) وأخيراً هناك مدينة كانت تحمل اسم «ليبنا» أيضاً وكان يلجأ اليها القتلة (يشوع ٢١/١٣) لأنها على الأرجح، كانت مدينة «خارجة على القانون».

لا نستطيع القطع بأن «ح ل ب» هي نفس حلبا (قضاة أول ١/٣١) كما وأننا لا نستطيع أن نقطع بأن لفظة «ر هـ ت م» (ريهاتايم؟) كانت اسماً لمدينة ما. ان ترجمة هذا المقطع غير دقيقة، لأن حلبا كانت تقع قرب مقطع نهر، مما كان يساعد في معركة دفاعية. وكانت هناك مدينة أيضاً في مملكة دمشق تدعى حلبون (حزقيال ٢٨/١٨)، واشتهرت بخمورها وبالصوف الأبيض الذي كانت تنتجه. يبدو، على أي حال، ان العدو الأكبر للملك ـ الكبير كان «الاشيرتيم» ونعتقد انهم نفس أتباع عبدي ـ اشيرتا الذي ورد ذكره في لوحات تل ـ العمارنة.

طلب عبدي ـ اشيرتا مراراً وتكراراً مساعدة مصر لمواجهة الأعداء المحيطين به. عندما فقد الأمل بالنجدة، تحالف مع حركة الساجاز (المرتزقة؟) من أجل أن يسود السلام. سرعان ما انضم اليه العديد من حكام الكنعانيين حفاظاً على

مراكزهم، ذلك ان عبدي ـ اشيرتا كان يحرّض الناس على اغتيال حكّامهم، وهذا ما حصل بالفعل لعدد من هؤلاء الحكام (IAB).

وكان عبدي ـ اشيرتا يلجأ أيضاً الى أساليب أخرى فيبادر الى عرض الحبوب على المناطق التي تفتك بها المجاعة. وهو الأسلوب الذي استمال به سكان أمورّو. ولقي حتفه على يد الشعب الأموري قبيل استلام الحكم في تلك البلاد. واستمر ابناؤه من بعد باتباع نفس أساليبه في الحكم.

كان إذن، أتباع عبدي ـ أشيرتا أو الاشيرتيم كما يسميهم النص، يقاتلون الملك ـ الكبير علناً. وكان لهذه الحركة طابع ديني. ونلاحظ ان النص لم يستعمل كلمة «حرب» على الاطلاق، ولكنه استعمل تعبيراً يمكن ترجمته بألفاظ مثل «شقاق، نزاع، خلاف». ونلاحظ أيضاً ان عشيرات (زوجة إيل) أطلعت الشعب الكنعاني على طريقة معالجة الأزمة (الكارثة) بغية التوصل لوقف القتال. هذه الطريقة كانت تقضي، على الأرجح، بالعودة الى عبادة الآلهة نفسها والخضوع لعبدي ـ اشيرتا («خادم عشيرات»). يبدو ان الخيانة لعبت دوراً كبيراً في هذا الصراع؛ وتعبير «ا ت ن ت» (أجر المومس) الذي يرد في النص، يمكن أن يعني أيضاً «ثمن الخيانة». ـ تم تشكيل حلف كنعاني لمواجهة المتمردين ولكنه فشل؛ ذلك انه لا يرد ذكر لانتصار ما حققه الملك ـ الكبير رغم كثرة الاشارة الى جثث العدو التي ملأت أرض المعركة. بين حلفاء عبدي ـ اشيرتا (في الصف المعادي للكنعانيين) كان اليوديم (اليهوديم؟)، «رؤساء الـ ي د م» الذين فكر الكنعانيون بالتخلص منهم بالحيلة؛ إحدي الحيل كانت تقضي باستدراجهم الى جانب معبر نهر ثم مداهمتهم عندما كانوا سيحاولون العبور.

في نصنا هذا لا يرد ذكر صريح للعبرانيين، كما هي الحال بالنسبة لنصوص أخرى من هذه المجموعة (VAB, IIIRP). نستنتج من ذلك ان اليوديم (اليهوديم؟) هم الذين حلّوا محلهم؛ وهم على الأرجح شعب يهوذا بالمعنى الوارد في سفر قضاة (قضاة أول ١/١-٢٠). واليوديم، حسب نصنا هذا هم «الشعب الذي يستقى قوته من الشريعة»؛ وهذا الوصف ينطبق تماماً على وصف سبطي يهوذا

وشمعون، كما جاء في العهد القديم. وهم قوم، حسب النص، لا يعرفون الرحمة.

لا شك ان حرب الكنعانيين تمت على مرحلتين مختلفتين: الحرب مع العبرانيين (ورد ذكرها في سفر يشوع). وحرب يهوذا (ورد ذكرها في الاصحاحات الأولى من سفر القضاة). خلال الحرب مع العبرانيين يرد ذكر لعبور الأردن (يشوع ٣/٧) الشهير. غير انه خلال حرب يهوذا أيضاً جرت معارك عديدة على معابر هذا النهر:

قضاة ٣/ ٢٨: بعدما تحرر بنو اسرائيل من البابليين (٣/٨-١١) استعبدهم حلف مشكل من الموآبيين والأماليسيتين والعمّونيين، علماً بأن هذا الحلف احتل جرش (مدينة النخيل) وسيطر على معبر الأردن (٣/١٢-١٤). لكن بني اسرائيل، بقيادة أهود الأعسر، تجمعوا من الجبال المجاورة وتغلبوا على الموآبيين واستردوا المعبر.

قضاة ٧/ ٢٤-٨، ٤: طارد جدعون المديانيين، فاستولى على معابر الاردن واجتاز النهر مع مقاتليه.

قضاة ١٠/ ٩: استولى العمّونيون على معابر الأردن ثم دخلوا المنطقة واستعبدوا من كان فيها من بني اسرائيل.

قضاة ١٢/ ٥-٦: استعاد الأردنيون معبر الأردن بقيادة يفتاح، لكنهم خافوا أن يتسلل بينهم بعض المرتزقة الافراميين، فقاموا بعملية فرز دقيقة. وكان الافراميون لا يستطيعون لفظ بعض الأحرف، فتم فرزهم على هذا الأساس وقتلهم دون رأفة.

سوف نعود الى قصة جدعون. المهم ان النصر الذي وعدت الآلهة به الكنعانيين (I'AB) في حلبا، لم يتحقق. لا نعرف ما المقصود بتعبير «شعب أمير ماج المعادي» (؟)؛ وقد يكون شعب ماجوج الحثّي الذي ورد ذكره في العهد القديم (تكوين ١٠/ ٢؛ حزقيال ٣١/ ٢؛ ٣٩/ ٦). يتضح من النص أن هذا الشعب المعادي للكنعانيين كان يعيش على التلال وأن ثروته الكبيرة سوف تتلف بلعنة إلهية. لا نستطيع القطع بأن لفظة «ي ب ن ت» كانت تسمية لشعب من

الشعوب. هناك نبوءة تتعلق بشعب قرتوها (ق ر ت هـ).

بالمقارنة بين هذا النص ومقطع (VAB) الذي يتضمن اشارة الى مصر، نستطيع أن نفترض أن «قرتوها القاسية» كانت دولة هامة، تضاهي الامبراطورية الفرعونية؛ سيّما وانه يرد ذكر لعرشها، بينما لا نجد ذكر لعرش ما بالنسبة لبقية الشعوب المعادية. ومما يلفت النظر أيضاً استعمال لفظة «إرث، ميراث» وفي ذلك دلالة على أن الأمر يتعلق بشعب حضري له حدوده الجغرافية. ولكن هذا الشعب سيتعرض للعنة إلهية تقضي على استقلاله فيعرف التشرد والعيش في الكهوف (أشعيا ٣٢/١٤).

إذا عدنا الى الخريطة السياسية للشرق الأوسط في ذلك الزمن، نجد ان مملكة بابل هي الوحيدة التي تنطبق أوصافها على ما ورد في النص. ورد ذكر بابل في رسائل تل ـ العمارنة باسم «ماتوكاردونياس»، وهذا الاسم قريب من قرتوها، علماً بأن عدم اهتمام بابل بأحداث أرض كنعان واضح تماماً في رسائل تل ـ العمارنة. أما القصة التوراتية حول استعباد بني اسرائيل في بابل وتحريرهم لاحقاً، ثم احتلال ميزوموتاميا (ما بين النهرين) (قضاة ٣/٨-١٠)، فهي، على الأرجح، نتيجة خطأ في تفسير تقليد كنعاني ما. أما النبوءة المتعلقة بقرتوها فقد تحققت بالنسبة لبابل عندما احتلها الآشوريون في منتصف القرن الرابع عشر عندما تسلم العرش «كوريج ألزو» الثالث. (KOURIGALZOU III).

الحكم: لم يكن الملك ـ الكبير، السيد الأعظم، حاكماً مطلقاً في بلاده. عناصر عديدة كانت تحد من سلطانه. رأينا أن بلاد أمّور وبلاد موريّا الشمالية لم تكونا تحت سلطته بالمعنى الصحيح. نلاحظ ان الشعب لم يكون يتردد في إظهار استيائه في نفس مدينة الملك. كانت الادارة تأخذ أحياناً شكل تقديم نصائح كما تأخذ أحياناً شكل اللوم والعتاب؛ وقد نرى الشعب يتجمهر أمام قصر الملك ليطالب بالخبز والخمر (أشعيا ٢٤/١١). الملك يقوم أيضاً بعمل كبير الكهنة، فينقل الى الشعب تكهنات الآلهة. الرخاء يرتبط بصلواته. يأخذون على الملك ـ الكبير قلة صلواته ومخاطبة آلهة كاذبة كما يأخذون عليه كثرة استعمال كأس

التنجيم، ويلومونه على الأخص لتعلقه البالغ بالذهب (أشعيا ١/٢٣). برغم كل شيء كان هذا الشعب متمسكاً بمليكه، والطبيعة نفسها كانت تصلي من أجل عودة الملك الى جادة الصواب. ذلك ان الملك ـ الكبير كان بنفس الوقت القاضي؛ ويخشى ان تجعله قسوة الآلهة عليه، غبياً؛ وعلى ذلك كان الشعب صاحب مصلحة في ان يتمتع حاكمه بالتوازن النفسي. لعل هذا هو التفسير للأهمية التي يعيرونها لحياته الخاصة، ولإفراطه بالشرب الخ . . . كان الملك يتنبأ بواسطة كأس التكهن (أشعيا ٥/١١، ٢٢؛ ١٩/١٤؛ ٢٨/٧)؛ كما كان له أن يستشير مباشرة (في الحلم) إله أبيه أو غيره من الآلهة. كان العاهل قائد الجيش ولكن يبدو ان طاعة هذا الجيش له كانت نسبية. من المفروض أن يكون الملك على رأس جيشه ولكننا نعلم انه كان يفضل شرب الخمر على خوض المعارك، لا بل نعلم انه هرب مرة من المعركة واختبأ. بالنسبة للكنعانيين، كانت السلطة الفعلية بيد الآلهة، الذين كانوا يوجهون نشاطات البشر. بالنسبة لبقية الشعوب التي يرد ذكرها في النص، نجد ان شعب «ماج» (؟) يحكمه أمير، و«اليوديم» يحكمهم رؤساؤهم، و«قرتوها» يحكمها ملك (ورد ذكر عرشه)، بينما لا نجد أية اشارة حول أسلوب حكم «الاشيرتيم».

الوضع الاجتماعي: نفترض ان الطبقات الاجتماعية كانت قائمة علماً انه لم يرد لها ذكر في النص. هناك إشارة الى الأحرار في مقطع غامض، واشارة أخرى الى «عبيد من النساء»، لهن أهمية تلفت النظر، أسرى الحروب يستعبدون وينقلون، الى أماكن أخرى حيث يشكلون طبقة معينة من السكان، على الأرجح.

الجيش: السلاح الرئيسي هو الرمح. من تحميه الآلهة تبعد الرماح عن صدره. يرد ذكر الترس أيضاً. عربة القتال خاصة بالإله بعل الذي يتحرك بسرعة كلما بدت كارثة في الأفق؛ يحمل رمحاً لابد أن يكون غاية في الصلابة طالما ان شجرة الأرز في يمينه تعادل مقاومتها مقاومة حشرة العث التي يسحقها الانسان العادي باصبعه.

لم يكن الكنعاني محباً للقتال. يعتمد على الآلهة وعلى الحلفاء للدفاع عنه. لكن مثل هذا العون لا يأتي دوماً في الوقت المناسب. حروب الكنعانيين

كانت دفاعية، تعتمد على الخنادق. من يهرب يلصق به العار. يميلون، في العادة، الى التسوية السلمية ولو أدى ذلك الى التخلي عن أراضٍ واسعة، وعن مدن هامة للعدو. ضحايا الحروب لم تكن كثيرة كما يتصور من يسمع بالجثث التي تغطي التلال وأرض الغابات. في إحدى المعارك تم أسر عُشر الجيش وهرب عُشر آخر، الأسرى الذين يرتفع أنينهم من كل جانب كانوا ينقلونهم الى جهة أخرى في نفس البلاد، على الأرجح، طالما وأن العدو المنتصر نفسه كان يستقر فيها. لا يأتي النص على ذكر الانتصارات التي حققها الكنعانيون. هناك نبوءة تقول انه سيتم القضاء على عدو ما، عند معبر نهر. عندما ينتصر الملك ـ الكبير ينصب همه على الحصول على ما يمتلكه المغلوب من ذهب وفضة، يكدسها في قصره.

ثروة البـــلاد: القحط والمجاعة كانا أخشى ما تخشاه بلاد كنعان. بعض الأراضي كانت تروى بواسطة أقنية. يخشون أن تتحول البلاد الى صحراء مالحة، وعندما تقع الكارثة الكبرى. يبدو ان القمح كان الزراعة الرئيسية لأن الاشارة الى الخبز تتكرر على الدوام. بعده يأتي الخمر. كثيراً ما كان يقترن ذكر الحقل بذكر الكروم (أشعيا ١٢/٣٢). الخمر كان الشراب الطبيعي لعامة الشعب وهو بنفس الوقت مرفوض من الناحية الأخلاقية. خلال المجاعة يطالب الشعب بالخبز والخمر على السواء. تخريب الكروم يجلب الأسى مثل خسارة الذهب والفضة؛ التخلي عن مساحات من الكروم للعدو، كان يعتبر تضحية أكبر من التخلي عهن مدن هامة. الماشية مورد أساسي. يشبهونِ الشعب بالقطيع. الحيوانات التي يرد لها ذكر في النص هي الثور والعجل والخروف؛ أما الجاموس فكان رمزاً للقوة. المراعي كثيرة وتعتمـد على المطر الذي يعطيها لونها الأخضر ويبعث فيها «البهجة». يشبهون الشبيبة «بالعشب الأخضر» (IID)، واخوة الملك الصغار (أو ابناءه) بالعشب الذي ينبت في قلب قصره (مـزامير ٢/٣٧؛ ٩٠/٥-٦؛ ١٢/١٠٢؛ ١٥/١٠٣؛ ١٢/١٤٤؛ أشعيا ٢٧/٣٧؛ ٤٠/٦-٧؛ ١٢/٥١ الخ...). هناك إشارة أيضاً الى الغابات، الى لبنان وأشجاره، خشب الأرز معروف بصلابته، يستعملونه بشكل خاصٍ لبناء المعابد، ويمتاز في رأيهم بقدرته على اجتذاب الصاعقة. هناك اشارة

أخيراً الى شبكة الصيد.

المسكن: كثيراً ما يستعملون لفظة «بيت» و «منزل» تجاوزاً للدلالة على البلاد (؟)، أو الشعب (؟)، أو العائلة (؟) الخ . . . لذلك لابد من الحذر في معالجة معطيات هذا النص. القصر يعتبر هيكلاً لأنه منزل «ابن إيل»، وعلى ذلك يفترض انه كان من خشب ولو جزئياً ـ على أي حال نراه يحترق بكل ما فيه. استمر الحريق سبعة أيام. الأرجح أن القصر كان مؤلفاً من مجموعة أبنية تحيط بساحة داخلية هي «أحشاء القصر» (قلبه)، حيث كان ينبت العشب (؟). وكان لبعض الآلهة تماثيلها فيه. تدنيس وسط القصر يؤدي الى فقدان حماية آلهة العائلة. بعض السكان يعيشون حياة بؤس شديد في الكهوف؛ وإحدى اللعنات المرعبة هي التي تقضي على شعب ما بأن يعيش في الكهوف. ـ الأحرار كانت لهم بيوتهم (أمر مشكوك فيه؟).

الأثـــاث: يتناولون الطعام حول منضدة. العامة نفسها، عندما تجوع تطالب «بالخبز على المناضد». للآلهة أيضاً مناضدها العامرة. في المآدب كان محل الشرف اى يمين المضيف. يجلس الضيف في العادة مقابل صاحب الدعوة، وله في بعض الظروف أن يجلس الى يمينه. المقعد العادي هو السرير. لكي يتكلم أحدهم أو يقوم بعمل «ينتزع» نفسه من مقعده. العرش امتياز الجبروت. بينما كان إيل يجلس على مقعد عادي نجد ان بعل كان يجلس على عرشه. للملك ـ آلكبير عرشه، ولعاهل قرتوها أيضاً عرشه؛ أما البقية فليست لهم عروش على الأغلب. هناك اشارة أيضاً الى منضدة يضع الإله قدميه عليها قبل أن يصدر حكماً من الأحكام.

أدوات المـائـدة: بعض الأكواب تستعمل للكهانة: تملأ بالخمر الذي «يخضونه» في الكأس قبل شربه. بعض الكؤوس المخصصة لشرب الخمر (من قبيل شد العزم!) كانت من الذهب. مقتنيات الملك ـ الكبير كان بينها الكثير من كؤوس الذهب أو الفضة، وليس هناك ما يشير الى انها كانت تستعمل في مناسبات معينة.

اللبـــاس: يرتدي الإله بعل ثياباً ناعمة من الغيوم. عندما يزيح رداءه، تحل

الكوارث بالبشر. أما إيل فإنه، على العكس، عندما «يكشف عن صدره وحجره» فإن ذلك يعني انه يرحب بمن يلجأ اليه. يعني ذلك انهم كانوا يعرفون النسيج الناعم، وهو نوع من الخُمُر اسمه «د ق ت»؛ كما كانوا يصنعون الأنسجة الثقيلة، وهي نوع من البروكار إسمه «ر ق ن» تتخلله خيوط ذهبية أو فضية. هذه الأقمشة كانت مخصصة للأمراء، ويصفها الشعب بقوله انها «مشينة».

الحلي: بالاضافة الى الكؤوس والأقمشة ذات الخيوط الذهبية، كانت كنوز الملك أيضاً تحتوي على الأساور والأقراط الذهبية والفضية. كل هذه التحف الثمينة كانت عبارة عن «بواسير محرقة» في نظر الناس.

وعلى ضوء نصنا هذا أصبحنا نستطيع إعطاء تفسير جديد للهبة التي قدمها الفلسطينيون الى تابوت يهوه (صموئيل الأول ٦/ ٤).

على أي حال، كانت الأوساط الشعبية تعتقد ان حيازة الذهب تُنذر بالشؤم، لأنها تحرك روح الطمع في النفوس. كانوا يقولون أيضاً أن «القحط دم الذهب»، على انهم كانوا يحزنون لفقدان المعادن الثمينة. ثلاثة مصادر كانت تغذي كنوز الملك ـ الكبير بالمعادن الثمينة: غنائم الحروب، الهدايا والهبات، والضرائب المفروضة على الشعب والتي كانت «ملء الأيدي». هذه المعادن المكدسة كان يُستخدم جزء منها لخيوط النسيج ويُستخدم جزء آخر لصب تماثيل من الفضة لبعض الآلهة أو لبعض الحيوانات. يمكن للإله أن «ينمو» بواسطة الفضة (على الأرجح بإضافة طبقة جديدة من الفضة على التمثال)، أو بإذابة التمثال وصبّه من جديد. يحتوي المسبك على منفاخ يساعد على التوصل الى درجة حرارة كافية لإذابةلا المعادن. كان العاهل يشرف بنفسه على العملية، خشية السرقة على الأرجح. المَحرق كان يتواجد على هضبة قريبة من القصر. قد تكون هذه التماثيل الفضية هي التي تحمل تسمية «ب هـ ل» (بوهيلو).

إن لائحة الهدايا المرسلة من قبل «سوبيلوليوما» الى ملك مصر تتضمن إشارة الى «بيبرو» من الفضة وهو «بوهيلو وزنه ثلاثة مكاييل». لعل هذه اللفظة هي الوحيدة، فيما نعلم، التي تشبه اللفظة الكنعانية «ب هـ ل». وقد يعني هذا التعبير

الآلهة العائلية أو أصناماً منزلية؛ تم تبديلها في العهد القديم بتعبير مُهين هو ترافيم (تكوين ٣١/١٩؛ ٣٠/٣٥؛ صموئيل أول ١٩/١٣-١٦؛ قضاة ١٧/١-٥).

الحياة العائليـــة: تقوم العائلة الكنعانية على احترام الأب. الإله إيل هو إله الآباء والأجداد، ينصح بكثرة الإنجاب حفاظاً على قدسية الميراث؛ والأرض الموروثة هي الملكية المثلى. تنتقل السلطة الأبوية إلى الابن البكر في حال وفاة الأب، ويبقى اخـوتـه تحت رعـايتـه وحمايته؛ يسمون هؤلاء الاخوة «فتيانه» أو «النبات الأخضر». هذا ويبدو ان الابن البكر كان له حق الحياة والموت على اخوته (تكوين ٤/١٠؛ ٢٧/٢١؛ قضاة ٩/٥). يتردد في هذا النص ذكر المحظية الأجنبية التي تعطي أسوأ النصائح للملك ـ الكبير. يلومون العاهل على فجوره، على الأفعال المخجلة التي يبدو انه قام بها في قصره. ما هو نوع هذه الأعمال المخجلة؟ هل هو تكديس الأموال؟ أم الافراط في الشراب؟ أم أن الموضوع يتعلق بجانب غير معـروف في طقـوس عبادة عشتارت، امتنع الكاتب عن الكشف عنه؟ ـ الشيء الواضح ان بعض النسوة من الخدم، كن يسهرن على العاهل عند الرقاد، وذلك بموافقة الآلهة عناة التي قامت بإعطائهن التوجيه المناسب (!!).

الطبيعة: أكثر الصور المطابقة للعالم الخارجي سبق لنا أن عرفناها في نصوص أخرى، مثل دور الغيوم السيء عندما تغطي السماء وتنشر الظلام على الأرض. الانسان سجين على الأرض والأرض نفسها حبيسة، العث حشرة لا قيمة لها وهي مثـل «ذرة غبـار». رؤية الـديدان تنخـر شيئـاً ما، دلالـة على التفسُّـخ (المادي والمعنوي). وقد تكون هذه الصورة أكثر من صورة بيانية؛ وعندما يذكر النص أن قصر الملك ـ الكبير أصبح ينخر فيه الدود، بسبب الأعمال الشنيعة التي تجري فيه، يمكن أن نرى في ذلك عقاباً شبه إلهي يحل بالمكان الذي يعيش فيه الخاطىء: الدود ينتشر حيث يعيش هذا الخاطىء.

الجســـــد: رأينا أن «إدارة الوجه نحو» تعني الشعور بالمؤاساة، بالشفقة (مزامير ٢٥/٢٥؛ ٢٧/٢). «يلبسون» وجه الصداقة كما يضعون قناعاً يمكن إزاحته في أي وقت (مـزامير ٣٥/٢٦؛ ٧٣/٦؛ ١٠٩/١٨؛ ١٣٢/٩). يشاهدون الشيء

«برفع البصر». الكلام له أثره السحري على الأشياء. الصلاة التي لا تخرج من الفم، التي لا تجتاز الشفتين، لا قيمة لها. التصريح الصادر عن «فم» إله ما، أو شيطان ما، يصبح قطعياً ولا مفر منه. «الصيحة» تدل على الغضب، وإن هي صدرت عن بعل وهو يتكلم من الغيوم فإنها تنبىء بكارثة؛ هذا مع العلم ان صمت الآلهة أفظع من غضبهم. تهدد الآلهة بصمتها عندما تقول إن ريقها جف (مزامير ١٦/٢٢، ٦٩/٤). الآلهة تقود الانسان بيده؛ وهي من جهة تمسك الموت بقبضتها؛ ومن جهة أخرى تستطيع أن تمنح الشفاء والحياة بأصابعها عندما تشاء. يلقي الانسان بنفسه على قدمي الإله، ثم يقدم شكواه، ذلك ان الإله لكي يصدر حكمه، لكي «يميز تمييزاً»، لابد له من أن يضع قدمه على منضدة*. ينغمس الانسان بالخطيئة بواسطة قدميه. يعبرون عن ذلك بقولهم: «توحلت قدماه». الحجر والصدر هما مركز الحماية والأمان. لا يرد ذكر في النص إلّا للأحشاء والأمعاء من بين الأعضاء الداخلية. الأحشاء مركز الحياة العاطفية؛ الأنين يخرج من الأحشاء؛ الصلوات ترس يحمي الأحشاء وهي أيضاً تحمي الانسان من الأمراض العقلية. الأمعاء هي الجهة المركزية في الانسان؛ وسط القصر يسمى أمعاءه. يعبرون عن جوهر المادة بقولهم دمها: يقولون «دم الذهب» تعبيراً عن التصاق صفة ما بهذا المعدن. تخزين الذهب عبارة عن «دمامل محرقة ومخجلة»، ويستعمل نفس التعبير لتعريف البواسير (تثنية ٢٨/٢٧)، وعلى ذلك فإنهم كانوا يعتبرون هذا المرض مخجلاً؛ على انه ليس هناك ما يدل على انهم كانوا ينذرون صنع أشكال ذهبية لهذه الأورام (؟؟ ـ صموئل الأول ٦/٥-١٧). يبدو ان الروح لم تكن ترتبط، في نظرهم بأي عضو معين في الجسم، حتى كأنها وعاء يحتوي الموت قبل أن يصيب الانسان. عندها يقولون «الموت في روحه».

الأخلاق: السُكر ممقوت. حتى في حال شرب الخمر لهدف مقدس مثل التكهن، كان الشارب يتعرض للملامة فيما إذا بالغ في الشرب وأصبح يترنح

(*) قد يكون في ذلك اشارة الى عادة قديمة لاتزال غير واضحة (FRAZER).

ويتثاقل. ينصحون بشرب القليل من الخمر عند التعب كمنشط للجسم. يعرفون ان الخمر يدفع بشاربه الى الاستمرار في الشرب. نجد الآلهة تشجب السُكر في مشهد طريف: يسخرون من الخمر بدءاً من الكرمة التي تنتجه حتى الاحمرار الذي يسببه؛ يسخرون ممن يشرب الخمر لأن أحد أصدقائه قدمه له كما يسخرون ممن يقدم الخمر لأصدقائه وأيضاً ممن ينظمون مجالس الشراب؛ يسخرون ممن يشرب بحثاً عن الكذب وأيضاً ممن يشرب بحثاً عن الحقيقة (المقاعد؟)؛ يسخرون ممن يبحثون عن طريقهم بواسطة الخمر وممن يسلمون قيادهم للخمر. وكان السكر أحد أسباب العار الذي جعل الدود ينخر في قصر الملك ـ الكبير، بالاضافة الى أسباب أخرى مثل جشعه المرذول وجريمته المنكرة في التمرد على الآلهة. ـ ألم يقض بنفسه على فتيان عائلته؟ (مزامير ١٠٦/٣٧-٣٨). الدرس الأخلاقي الذي يمكن استخلاصه واضح تماماً: السير في طريق الرذيلة، يفقد الانسان السيطرة على نفسه وعلى مصيره. قد يظهر الشيطان للانسان بوجه صديق، ولكنه سرعان ما يكشف عن وجهه الحقيقي؛ وعند ذلك لا يستطيع الانسان إزالة العار الذي لحق به من جرّاء تصرفاته السيئة حتى ولو أشعل النار بكل ممتلكاته، والعار باقٍ.

الآلـــهـــة: لفظة «إيل» نفسها تعني الإله. لذلك يصعب أحياناً معرفة ما إذا كان المقصـود الاله إيل نفسه أو إله آخر. ويلقب إيل أحياناً «بالإله الأمير» أو «بالإله الملك». المـلامة التي يوجهها إيل توصف «بالملكية»؛ وهو أبو الملك ـ الكبير الكبير وإلـه أبيه. صحيح ان الملك ـ الكبير ابنـه، ولكن جميع الكنعانيين أبناؤه (مزامير ٢/٧؛ ٨٩/٢٧-٢٨). قد يقيم إيل على الأرض، على قمة جبل يسمى «جبل إيل»، حيث يبقى مستلقياً على فراشه ـ وقد «ينتزع» نفسه استعداداً لإصدار حكم أو للتكهن، ويعلن عن ذلك بضحكة (مزامير ٢/٤؛ ٣٧/١٣؛ ٥٩/٩). عنـد إصدار الحكم يضع قدمه على منضدة. زوجته عشيرات تعيش معه، على الأرجح، ولكنهما ليسا دوماً على وفاق. بصفته ملكاً (أشعيا ٣٣/٢٢)، إيل يحاكم ويحكم (مزامير ٥٠/٦) ويمنح العون (مزامير ٣٠/١١؛ ٤٠/١٤). إنه يميز بين الصـالـح والـطالـح، ويعاقب المتعجرف الذي «يتباهى بثروته». أحكامه تتسم

بالحكمـة، ولا مجـال لمناقشتها. بصفته إلهاً منزلياً (أشعيا ٦٣/١٦؛ ٦٤/٧)، يهتم إيل بشكـل خاص بعـائلة الملك وبشعبـه. ينصح بالإكثار من الإنجاب، و «يوزع الحياة» على شعبه؛ يصد العدو ويحمي أتباعه المخلصين «كاشفاً عن حجره وعن صدره» (مزامير ١٨/٣؛ ٩٠/١). يده تقود، وحبه «يوقظ» وهو يعلّم «مخلوقاته». سريع العقاب عندما يرى ان الصلوات توجه لغيره أو عندما يتلقى أنباء غير سارة. في مثل هذه الحالة يمسك الموت في «يده الرزينة» (مزامير ٦٠/٨؛ ١٠٨/٨)، ثم يسلمه الى أبناء الايليم. قد يأمر بحلول المجاعة وبكوارث أخرى وقـد يحـدث الفـوضى والبلبلة. يتنبـأ بالمستقبـل في العـادة (أشعيا ٢٦/١٠؛ ٦٥/٢٤) ولكنه يحجم عن ذلك أحياناً (أشعيا ٤٦/٧؛ ٥٧/١١). يتألم كأي إله آخر بصهر تمثاله المعدني.

غشيرات زوجة إيل، قد تتصرف دون رأيه، وقد تناقضه. عند ذلك يصرّح انها تقول كلاماً فارغاً، هناك علاقة ما بين عشيرات من جهة، وبين «بيت اللعنات» أو «بيت المنـازعات» من جهة ثانية، ولكنها علاقة يصعب تحديدها. لعشيرات أتباعها، وهم ليسوا بالضرورة أتباع إيل. يعتقد أن الاشيرتيم كانوا من أتباعها إلاّ إذا كانوا قد استغلوا عبادتها لمصلحتهم. وكان هؤلاء يقيمون عادة، في البلدان التي يحتلونها «العشيروت» على المرتفعات التي كانت مخصصة في السابق للبوهيلو؛ ولا يستبعد أن تكون للعشيروت صلة ما بعبادة عشيرات. أنجبت لإيل سبعين إلهاً وآلهة، لا نعرف سوى اسم اثنين منهم: إيلات وهي بدورها أم للعديد من الآلهة وأنصاف الآلهة؛ وعناة العذارء. أنصاف الآلهة من أبناء إيلات كانت لهم معابدهم في الساحات.

كثيراً ما يتردد اسم عناة أيضاً، وهي آلهة هادئة مهدئة. تنصح النساء بالكف عن الثرثرة و «إطفاء ألسنة السوء» لكي يستريح السيد. قد تتولى القيادة، خاصة بالنسبـة لشعب أمـورّو. تقوم بدور الوسيط بمنتهى الجدية، فلا تنحاز لأحد من الـطرفين، على الـرغم من محبتها لأتباعها، تبتهج أحياناً لآلامهم، وتسخر من ادعاءاتهم عندما تراهم يغوصون في «ملذات البلاهة». تعمل كثيراً على تسهيل

الزواج، ولكنها لا تتقبل فكرة وجود محظية أجنبية. على المحظية الأجنبية أن ترحل بعد رشها (بالماء؟). تخالف أباها إيل في رأيه بضرورة كثرة الإنجاب حتى ولو كان ذلك خارج نطاق الزواج، وترى ان ذلك يؤدي الى الفوضى والبلبلة.

أما بعل، إله الكنعانيين الأقدم، ذلك الذي أزاحه إيل عن عرشه، فإنه لا يزال يتمتع بقدرات هائلة. كثيراً ما يضطر إيل نفسه لموافقته لعله يستطيع إقناعه بالرأفة. هو إله الحرب و «راكب الغيوم» (مزامير ٦/٥-٣٤؛ ١٠٤/٣)، صوته هو الرعد (مزامير ١٨/١٤؛ ٣٩/٣؛ ٨٦/٣٤)، وغضبه هو الصاعقة (أشعيا ٢٩/٦). يبتهج للمصائب ويسرع اليها حاملاً سلاحه (أشعيا ٦٦/٤). يرغب بإدخال البشر في التجربة (مزامير ٢٦/٢) ويصرّح بأن الأحزان ستظل على الأرض طالما هو في الوجود. يقضي على كل شيء منظم (أشعيا ١٢/٣؛ ٩/١٥)؛ يرى كل شيء ولا يستطيع أحد أن يختبىء منه (أشعيا ٢/١٠؛ ١٩/٢١). يبتهج لرؤية الجثث. ـ وبعل يتمتع بقوة هائلة وهو الذي يستطيع سحق شجرة الأرز بين أصابعه (مزامير ٢٩/٥؛ ٨٩/١٤). الآلهة مستضعفة أمامه، ويتباهى بسيادته عليها (مزامير ٩٥/٣). هو أيضاً إله الموت؛ يعيد الميت الى الحياة أو يذلّه كما يشاء.

سياسة إيل تهدف الى تحويل بعل الى إله خيّر. للوصول الى هذا الهدف، لابد من حصر قوى بعل وتجميعها. وذلك يتحقق بإقامة هيكل له من خشب الأرز في مكان بعيد. في ليبنا. مثل هذا الهيكل يمكنه أن يحتوي غضب بعل، بالاضافة الى أن خشب الأرز يحوّل الصواعق. هذا ويمكن أيضاً «تحميل» هذا الإله عبء شكايات الناس (فيقال في حالة اللعن: بحق بعل ليبنا). قد يتحول بعل بنتيجة ذلك كله الى إله زراعي محسن، فتهطل أمطاره على المراعي وتجلب لها البهجة (مزامير ٦٨/١٠). ـ هذا ويبدو أن بعلاً كان يتبع خطة مزدوجة مع الملك ـ الكبير، فيدفعه من جهة الى تدمير ثروته، ويعمل من جهة أخرى على إحباط هذا المشروع.

هناك آلهة أخرى لا مكان لها في الديانة الكنعانية، ولكنها يمكن ن تكون موضع عبادة فردية. وقد يتمسك العاهل بعبادة إله ما يعتبره الشعب إلهاً «كاذباً» الإله

الكاذب هو ذلك الـذي يبتهج لآلام الناس، ذلك الذي لا يلبي من يمد يده اليه مستغيثاً (أشعيا ٧/٤٦). والإله الكاذب أناني إلى أبعد الحدود، يصر على أن «ينمو» باستمرار مما يتطلب المزيد ثم المزيد من الفضة (أشعيا ٨/٢؛ ٢٢/٣٠؛ ٧/٣١)؛ وهو يصر على أن تبقى مائدته عامرة، حتى ولو كان الشعب يعاني من البؤس والحـرمـان (أشعيا ١١/٦٥). وهـو مغلق، ويرفض أن يتكلم (مزامير ١١٥/٤-٥؛ ١٣٥/١٥-١٦). لا يعطي شيئاً مقابل ما يأخذه (مزامير ١/٢٨). هذا مع العلم أن الإله الكاذب ليس صامتاً بجوهره بل انه لا يجيب عن تصميم؛ ومن أجل أن يمتنع عن الكلام يقاوم نفسه بقوة تعادل قوة آلاف الجواميس. إن مصير الإله اللكاذب هو الصهر (أشعيا ٨/٢؛ ٧/٣١؛ ١٩/٤٠).

الشياطين: هم مساعدو بعل. يجتاحون بلاداً أو مدينة أو قصراً بالآلاف ويقاتلون كجيش محـارب. قائـدهم حارس الموتى ومرشدهم، وهو يمثل بعل بينهم. قد يصبح مستشاراً للعاهل وقد يطلع على أسراره، يمكن دعوته لتناول الطعام أو تقديم الذبائح له، والمبالغة في تكريمه، والخضوع له بشيء من الذل وكأنه إله. يستطيع أن يظهر بمظهر الصديق، لكنه سرعان ما يعود لقسوته المعهودة ولفظاظته. يجلس الى يمين مضيفه (مزامير ٦/١٠٩) وعند ذلك لا تؤثر فيه اللعنات. عندما يبتهل الى سيده بعل، ليس هناك من يستطيع التأثير على سير الأحداث. قد يخالف الانسان تعليماته ويعتقد عند ذاك انه يتصرف بكامل حريته، ولكنه في الحقيقة يسير وفق الخطط التي رسمها له. إنه كاذب حتى في النصائح التي يقدمها. لحارس الموتى ومرشدهم، طقوس خاصة به وهي تعتمد على الخبز (؟). له «أساليب ماكرة» تؤدي الى التـدنيس. يسعـده بذر الخزي والعار، ويضحكه أن يرى تخبُّط من يحاول التخلص من شباكه.

العبـــــادة: أمـاكن العبادة هي الهياكل والساحات والأماكن المرتفعة والأماكن المقـدسة وبعض قمم الجبال وربما ساحات القصور أيضاً. الآلهة الرئيسية لها هياكلها؛ أبناء إيلات تتم عبادتهم في الساحات، أما إيل فله جبله. كانت النية متجهة لإقامة هيكل لبعل على أن تكون لهذا الهيكل ساحاته. الأماكن المرتفعة

كانت عادة «عارية»، وهي عبارة عن قمم تلال جرداء. كان الكنعانيون، قبل تمرد عبـدي ـ اشيرتـا، يقومون بطقوس عبادة «البوهيلو» (آلهتهم المنزلية؟) على هذه التـلال (راجـع ID)، غير أن الاشيرتيم أقاموا فيها «العشيروت» (أوتاد مقدسة؟) (مزامير ٧٤/٤). طقوس البوهيلو تقوم على البخور كما هي الحال بالنسبة لطقوس العشيروت (أشعيا ٥٧/٧؛ ٦٥/٧). أما تعبير «مكان مقدس» (قادوش) فلم نعرف المقصود به؛ علماً بأن عدداً من المدن حملت اسم قادش (مكان مقدس) إحداها كانت في بلاد أمورّو. قصر الملك ـ الكبير كان بمثابة معبد لأن العـاهل كان ابن الآلهة، لا بل يمكن القول، على الأرجح أن القصر كان المعبد الرئيسي. ذلك ان تماثيل الآلهة كانت تتواجد في وسط القصر: تمثال إيل، تمثال لإله كاذب، مكان لعبادة عناة وآلهة أخرى. يمكن تدنيس أحشاء القصر. كل ذلك يدفعنا للاعتقاد بأن قصر الملك ـ الكبير كان مكان عبادة، وقد يكون أهم مكان للعبادة. قد يدخل أفراد الشعب القصر في بعض المناسبات. في مقطع مبتور يرد ذكر جبل إيل، ولكن من العسير معرفة ما إذا كان المقصود مكاناً للعبادة (حرمون؟) أو مجرد صورة شعرية.
تكريم الآلهة يفترض تقديم الكثير من الهدايا، وبشكل خاص الأطعمة، ذلك أن مائدة الآلهة يجب أن تظل عامرة (أشعيا ٦٥/١١)؛ ومن بين الهدايا بالطبع المعادن الثمينـة بقصـد «تنمية» الإلـه. والهـدايا، على العمـوم، كانت الـوسيلة المثلى لاكتساب عطف الإله، بشرط ألّا يتدخل شيطان ما في هذه القرابين.

لا يرد ذكـر لأضاحي أو ذبائح في هذا النص، اللهم إلّا إذا اعتبرنا بمثابة أضحية، ما تفعله النار عند التهامها قصر الملك ـ الكبير «لتنقيته». تجدر الاشارة هنا الى إذابة الحاجات المسبوكة من معادن ثمينة إرضاء للآلهة المحسنة. كان لابد من تلاوة بعض الصيغ السحرية في مثل هذه المناسبات، علماً بأن العنصر الرئيسي في العبادة يبقى الصلوات. نلاحظ انه يجوز القيام بالصلوات «من أجل» شخص آخر سواء أكان ملكاً أو شخصاً أجنبياً. الى جانب الصلوات، هناك «التراتيل» ـ وهي شكـل آخـر من الصلوات؛ وتكـرارهـا يجعـل حظها بالقبول أوفر. ـ ترافق الصلوات حركات معينة مثل الخضوع بذلة للإله، الانحناء أمامه (مثل ذرات الغبار)؛

والارتماء أرضاً (مزامير ٩٩/٥؛ ١٣٢/٧). في بعض الحالات كان يتوجب القيام بهذه الحركات «بسرعة وبأصول»؛ ومن المرجح أن أي تردد أو تأخير كان يمكن أن يزعج هذه الآلهة. اللعنة تلغي مفعول الصلاة؛ وعندما يخاطب الشيطان بعلاً، نرى الملك ـ الكبير يحاول إلغاء مفعول هذا الابتهال باللعنة. لا نعرف شيئاً عن «الأساليب الماكرة» التي كان يلجأ اليها الشيطان لتدنيس القصر. تكرار صفة معينة يجعلنا نعتقد ان كلاً من العاهل والشيطان كان ينافس الآخر بالنسبة لصيغة تعزيميّة أو رقية... علماً بأننا نتحفظ بالنسبة لهذا التفسير. مجمل القول ان الملك ـ الكبير، اضرم النار في قصره معتقداً انه بذلك يمنع الشيطان من تنفيذ مراده؛ ولكنه في الحقيقة دمر نفسه بنفسه وبذلك حصل الشيطان على مبتغاه.

المعتقدات: المعتقدات شبه الدينية الواردة في النص عديدة. اللعنة بشكل خاص تشكل قوة حقيقية في نظرهم، وتؤثر في البشر كما يؤثر القدر. الآلهة والشياطين تلعن كما يلعن البشر وكما تلعن سائر الأشياء، وهؤلاء جميعاً بدورهم معرضون للّعن. عندما يتعلق الأمر بإله ما، يقيمون له معبداً لكي يستطيعوا أن يحملوا اليه اللعنات الى هذا المكان عند الحاجة. هناك قوة تناقض اللعنة وتسمى «الشفاء والقوة الحياتية» (أو «البعث»، «النصر»)؛ علماً بأنه من المستحسن ألّا تؤخذ هذه التعابير بحرفيتها. ذلك ان الانسان يموت مرة واحدة، ولكنه قد يضطر أكثر من مرة لطلب «بعثه»؛ وقد يشفى الانسان من أي مرض، كما وأنه قد «يُبعث» من أي مرض يمكن أن ينسب للعنة ما ولفعل شيطان ما.

هناك اعتقاد آخر يلفت النظر وهو ما تقوم به الآلهة من «تجربة» لكل إله الحق بأن يفرض «التجربة». ويعني ذلك ان هذا الإله يفرض الآلام التي يراها على الانسان لكي يختبر مدى تعلقه به. العدالة يمكن أن «تعقل» التجارب (مزامير ٢٦/٢). يعتقدون بأيام الفأل والشؤم، فاليوم الذي تبدأ به أحداث سيئة يعتبر يوم نحس: يقولون «يوم الخيانة»، الخ... يؤمنون بالقدر المحتوم؛ وهو إما قرار سري اتخذته الآلهة، وإما قوة خارقة تفرض نفسها على الآلهة والبشر معاً. القدر يبتهج لأن هيكل بعل لم يتم تنفيذه (بسبب تلف ثروة الملك الكبير). «الألسنة الشريرة»

من القوى التي يمكن لجمها، تماماً مثل «العين الشريرة» ومثل اللعنات. هناك نسوة اختصاصهن علم «إطفاء الأحقاد».

ثمة معتقدات أخرى يرد ذكرها في النص، غير انه يصعب فهمها. مثال ذلك «الحفرة» التي يتكرر ذكرها في مزامير العهد القديم، ولابد انها تتوافق مع صورة محددة لا ندرك كنهها. تعابير مثل «غطاء»، «خفف وأثقل» الخ... تتعلق على الأرجح بصورة غير واضحة. النار عنصر مطهّر؛ تطهير المعادن يتم بإذابتها، كما يتم تطهير القصر بحرقه. لا يرد ذكر الماء إلا في جملة جاء فيها ان الأنهار تنقل الأخبار (مزامير ٩٣/٣؛ ٩٨/٨). الذهب والفضة، يتركان آثاراً ضارة (أشعيا ٢/٧-٨؛ ٣٠/٢٢؛ ٣١/٧). وإنجاب الأولاد يعيد الى البلاد ازدهارها. لذلك فإن قتل «الفتيان» (من اخوة وابناء) كان بمثابة قضاء على أي أمل بالتجدد.

من الواضح ان الملك ـ الكبير لم يقم أضاحي بشرية. فالنص صريح: الملك ـ الكبير قام بعمل جنوني. لكننا نفتقر الى تفاصيل ارتكاب هذه الجريمة (انظر أيضاً IAB). لذا يتبادر الى الذهن انهم اعتبروها ذبيحة مقدمة الى الشيطان بغية الحصول على المزيد من الثروات المعدنية؟

حول المؤلف

رأينا في منتصف النص تقريباً إشارة الى التوقف عن التلاوة، بينما كان الاهتمام قد بلغ الذروة، على أن تُستأنف التلاوة في اليوم التالي (؟). والذريعة كانت تعب «الشبّان». إذا قمنا بمقارنة هذه المخطوطة بما جاء في اللوحة (IAB)، يتضح لنا أن أخبار عهد الملك ـ الكبير كتبها إيلي ميلكو، بأمر من «نقمد»، ملك أوغاريت، بهدف تثقيف أبناء الملك.

إذن، نحن أمام مجموعة تعليمية، كُتبت لتثقيف ولي العهد وإخوته. وهذه النقطة بالذات، تفسِّر لنا العديد من الخصائص التي كانت ستبقى غامضة لولا ذلك. الأرجح أن إهمال عدد من المعلومات التاريخية البحتة والكثير من أسماء

المـــدن وأسمـــاء العَلَم، ـ الأرجـح أن ذلـك تم بقصـد عدم «إرهـاق» الفتيان المستمعين. يبدو أن إيلي ميلكو كان يوازن ببراعة بين التاريخ والاسطورة، بغية إثارة اهتمام تلاميذه، كما كان يُدخل في روايته للأحداث بعض القصص القديمة بنفس البراعة. يركّز ويطيل التركيز على عيوب وأخطاء العاهل السابق (؟)، بغية إعـطاء درس في الأخلاق للأمراء الشبان. إن التكرار والتذكير بنصوص سابقة، والوزن الشعري نفسه، كلها تساهم في تبسيط دراسة التاريخ.

إن الملحـوظـة الهامشية التي تشير الى اسم «نقمد»، ملك أوغاريت غير مكتملة؛ لكننا بالمقارنة مع ملحق النص (IAB)، نفترض انها كانت تشير الى اسم الشاعر ايلي ميلكو. هذا ويبدو أن حادث حريق قصر الملك ـ الكبير في أوغاريت كاِن حقيقياً، رغم الجو الأسطوري الذي أحيط به. قد يرى معلّم أخلاق تلك الأيام أن الحريق تم بفعل الشياطين أو بأوامرهم. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو ما إذا كان هذا الحريق هو نفس الحريق الذي ورد ذكره في إحدى رسائل تل ـ البعمارنة:

«التهمت النار أوغاريت، القلعة الملكية، لكن الحريق لم يدمر إلاّ نصف المدينة. أما النصف الثاني فلم يعد له وجود (؟)».

وردت هذه المعلومـة ضمن رسالة وجهها «أبي مالك» من صور الى ملك مصر. أما ناقل الرسالة (كاتبها نفسه) فكان اسمه ايلي ميلكي؛ وذلك يتضح من فقرة سابقة في الرسالة، جاءت كما يلي:

«أرسلت ايلي ميلكي، ناقل الرسالة، أمام الملك سيدي...».

وعلى ذلك يمكننا تقديم فرضية هي احتمال أن يكون ايلي ميلكي (أو ايلي ميلكو)، شاهد في صباه الأحداث التي أخذ يرويها فيما بعد. كان كاتباً ومراسلاً لملك صور، ثم انتقل الى مصر حيث أقام مدة غير قصيرة ساعدته على التعرف الى اللغـة والآداب المصـرية. بعـد تحـرير البلاد نجده في بلاط «نقمد» ملك أوغاريت، حيث يشغل وظيفة كبير الكهنة. كتاباته تدل على انه كان يعرف الكثير عن أديان مختلفة، وعن عادات أجنبية. بالطبع، ان اسم ايلي ميلكو كان منتشراً في ذلك الزمن، لكنه قد يكون غريباً أن يمتهن الكتابة أكثر من واحد يحمل نفس

الاسم في نفس المنطقة وفي نفس التاريخ.

هذا أهم ما يمكن التعليق به على الأحداث المذكورة في هذه النصوص، التي يعتقد انها تعود الى أواخر القرن الخامس عشر، وهي الفترة التي كتبت فيها رسالة أبي مالك في صور. وفي ذلك الزمن أيضاً وقعت حرب العبرانيين وحروب يهوذا التي انتهت باحتلال أورشليم عام /١٤٠٠/تقريباً، وفق ما جاء في العهد القديم. في نفس هذه الفترة الزمنية أيضاً حصل تمرد عبدي ـ أشيرتا. وهذا كل مالدينا من عناصر تساعدنا على تحديد تاريخ لهذه الأحداث. وعلى هذا الأساس نعتقد ان ايلي ميلكو كتب أخباره التاريخية من /٤٠/ الى /٥٠/ سنة بعد رحلته لمصر، وأن «نقمد» خلف الملك ـ الكبير، بعد خلوّ العرش لفترة قصيرة من الزمن.

الفصل الرابع

تتشكل هذه اللوحة من ستة أعمدة. قام بنشرها السيد ش. فيرولّو تحت عنوان «موت بعل»، في مجلة سورية عام ١٩٣٤ وهي تحمل المصطلح (I'AB). تعرضت للتشويه، ويعتقد أن النص يبدأ بالعمود السادس وينتهي بالأول.

I'AB

(نقص يقارب ٣٣ سطراً)

. . . . . . : . . . الفرح
زال من الوجود. «منزلي
«سوف يكون قرب محبوبتي الأرض الجميلة، ـ هكذا قال
«الشيطان الذي يجلب العمى، الذي يحمل الموت، ـ
«مقامي سوف يكون قرب بعل» ـ سقط
أرضاً، وسيموت، السيد الأعظم؛

منزل سيد الأرض سيتعرض للنهب.
ـ هل يظهر لك إله الجدود،
للتنبؤ؟ ـ نزل عن العرش حيث كان يجلس
إلى المنضدة، وعلى المنضدة أصبح يجلس.
على الأرض يُفزع كيلًا (اومير) من الحبوب (؟)؛
وعلى رأسه يذر الرماد، حداداً: ـ الفلسطيني
أمسك به ورماه. اختبأ خوفاً
منهم ـ «سوف أدمِّر، بقبضة
«من حجر، أوثانهم في الغابات،
«وسأستولي على الخبز وعلى الدقيق».
ـ القصب مقيّد؛ نموُّه توقَّف
لأن الظلام خيّم على البستان، لأن السهل مقيَّد.
عندما يأتي الموت، هل يقدمون الشفاء كيما يحيا؟
سيموت السيد! ما هو مصير شعب
بن ـ داغون؟ ما هي نهاية مظاهر الثروة الصاخبة؟ ـ
أيها السيد، مارست السلطة على الأرض! ومع ذلك
خدَعَتك عناة، وتألب عليك جميع الأعداء.
تكريماً للأرض، حيث تنتهي الكبرياء،
إكراماً للحقول، سوف تستريح قرب محبوبتك،
الأرض! ـ هكذا قال الشيطان الذي يجلب العمى،
الذي يحمل الموت. ـ أنت . . . ، السيد الذي سقط
. . . . . تختبىء خوفاً منهم.
(نقص يقارب ٢٥ سطراً)
. . . . السيد
الأعظم . . . . . لأن القسوة

. . . . . . جيشك، ليستخدَمَ
. . . . . . الروح تسرع
. . . . . . «. . . سوف أسببه، لمن اختارته
«آلهة الأرض. ـ أما أنت، فاحبس
«غيومك، وحرِّ شعبك،
«من البؤس، من الشجون! ـ هذا يكفي
«سمِّن فتيانك! سامح من ابتعد عنك!
«على شعبك، فُتح بيت اللعنات.
«من أجل شعبك، وليُغطى بيت الشقاق بمصابك!
«وجهك لا تُدره لعدوك الظالم،
«عندما تقرر استدراج العدو، رئيس اليوديم،
«إلى حلبا، بغية محاصرة الرهاتيم وسحق
«بيت الأحرار! وافِق على أن يقال
«في الأنهار، وافق على أن تعلم الأوثان،
«التي تقضي عليها». هل يسمع الأعظم. أيها السيد،
إن الشعب الذي يحب أن يرى العجول في المراعي،
والبقر في الحقول، ـ أصيب بعلة الموت وأصبح ممدداً على الأرض؟
الشعب يئن. سبعة من أصل سبعين
. . . . . . ثمانية من أصل ثمانين
. . . . . . ، ولينجب الابن
. . . . . . لكي يرتدي
. . . . . . النصيحة
. . . . . . الى صدره
(نقص يقارب ١١ سطراً)
(نقص يقارب ٢٨ سطراً)

ليأتوا بالشفاء وليبعث الى الحياة . . .
. ؟ . بعل نفسه . . . .
. ؟ . مهابة . . . .
. ؟ . . . .
. ؟ . . . .
سوف يقترب
الخبز . . . .
بدلاً من الطعام . . . .
ويترنح ويرتجف . . . .
بسبب الجفاف . . . .
اشرب الخمر ان تعبت،
في كؤوس من ذهب . . . .
كؤوس من فضة . . . .
لأن التعب . . . .
ومن يبوِّل . . . .
ستصعد، ستدمر . . . .
الهيكل . . . .
اصعد وقيّد . . .
الجيش . ؟ . . . .
. ؟ . . . .
ستلقى العون . . . .
الاحتقار . . . .

(نقص يقارب ١٠ أسطر)

(نقص يقارب ١١ سطراً)

. . . ؟ . القبيلة . . . .

خلافات القبيلة. نبحث عن ملجأ . . .
. . . الأرض: نبحث عن ملجأ. . . . . .
هدفهم قتلنا . . . .
التجزبة. الى ابن . . . .
يطير. الى ابنك . . . .
انحنِ، لأن كثرة الآلام . . . .
الحبيب، في الأحشاء . . . .
دون جدوى! سوف أسبِّب . . . .
سوف أطيح بك . . . .
السماوات، وأذهب . . . .
وأذهب، الى الآلهة . . . .
مقبول. الآلهة . . . .
سيزداد الانجاب . . . .
سيزداد الانجاب . . . .
أبكم هو الموت! ـ سوف أعود الى الحياة . . . .
اليد في الأحشاء . . . .
اذهب، فالآلهة . . . .
وصلّ لـ . . . .
لكي تتكاثر الماشية . . . .
تزداد الماشية . . . . . .
ذبائح التكفير عن الذنوب يجب أن تزداد . . .
أبكم هو الموت! ـ سوف أعود الى الحياة . . .
الحبيب في الأحشاء . . . .
السماوات، واذهب . . . .
(نقص يقارب ٢٢ سطراً)

(نقص يقارب ١١ سطراً)

. . . . . . الأرض، الكلمة الى السماء.

. . . . . . في شدة الآلام يجد اللذة.

وبعد الملهم، سيهبط بجلاله.

مثلما يستطيع أن يمحق شجرة الزيتون، يستطيع أن يجلب العطاء الى الأرض ويعطي الثمار للشجر. السيد الأعظم يخشى سلطانه.

ويكثر من الشكوى لراكب الغيوم. ـ

سَل، أطلق صياحك الى ابن الايليم القاتل،

كرّر قولك: من أجل حبيب إيل أطلب العون! ـ

وهذه شكوى السيد الأعظم، بمنتهى الحزن:

«إني أمقت العظماء. ـ موت ابن الايليم أصبح مقرراً.

«أنا عبدك وعبد أسرارك».

ـ أنت تسأل ولكن الآلهة لا تستجيب لتعاستك.

والشعب لا يدير وجهه نحوك. ابن الايليم سيموت.

قرتوها الفظّة، في البلبلة. ؟. ؛ انهار العرش

عرش مقامها، وأرض ميراثها. سوف يحملون اليك

الشفاء، فتبعث حياً! ـ ابتهال الأعظم:

«أتفهم، يا بعل، الأحزان! العظماء

أمقتهم. ـ ابن الايليم سيموت. عبدك أنا

وعبد أسرارك». ـ ابتهج ابن الايليم. ـ «الموت

«. . . الشفاء، وأعود الى الحياة»! ـ كيف ستعود اليه قوته؟ ـ

(نقص يقارب ٢٦ سطراً)

لأنه مسحوق. أعطيناه الحكمة؛ ولكنه بالعار هرب.

انتهى بالخزي، ذلك المتلوي،

ذلك الطاغية، سيد الرؤساء السبعة.

لا تمدوه بالعلاج، تناسوه! السماوات تفتت،
افودك؛ والمجمع مغلق في وجه انينك.
صياح من يشارف على الموت لا يخيف أحداً.
الموت يتواجد في نفس ابن الايليم. لأنه تمرد.
سحب إيل منه العون.
إنك تسأل، ـ لكن الآلهة لا تستمع لبأسائك؛
وشعب بعل، وشعب موريّا الشمالية
لن يديروا اليك وجوههم. ـ وأخذت الكروم
والحقول تبتهل: «لتفهم الآلهة!
«سيموت حزناً، ابن إيل المحبوب!
«فليشمله العون؛ فلتحصل نفسه على العزّة، تفحَّص قلبَه!
«يشكون من البلبلة؛ أعطهم الحكمة. ؟.
«يوم البلبلة. بارك، في وسط الحقول
«الجواميس. ؟. مثل صدور الظباء.
«الفوضى فعلية، وحقيقة النفس تكمن في الحكمة.
«الاضطراب حقيقي. بيديه
«فليطعم الشعب! الفوضى بلغت حدّها!
«ولتتجزأ الفوضى أجزاءً؛ ولتحتوي الكأس والجرّة
«على الفرح، من أجل بعث سيد الشعب!
«دعه يعيش، فأنا أحب من حملتهم
«وبالخبز والخمر أغذّي الشعب الذي وهبته الحياة،
«الشعب الذي أعيله،
«خوفاً من أن يسبّب السيد. ؟. من انحرافك».
. . . . . . إنه محطم.
أعطيناه الحكمة، ولكنه هرب يكسوه العار؛ لقد انتهى،

خالع العذار، الملتوي، سيِّد
الرؤساء السبعة. لننسَ
(نقص يقارب ٣١ سطراً)

هذه اللوحة تعرضت للكثير من التشويه. ويبدو ان مصير الملك ـ الكبير تقرر نهائياً بنتيجة أحداث نجهلها.

لابـد للملك ـ الكبير الآن من أن يدفن في بطن الأرض «محبوبته الجميلة». هكذا قرر الشيطان الذي يجلب العمى، الشيطان الذي يجلب الأمراض المميتة؛ مقره الأخير سيكون في كنف بعل. سيلقى أرضاً وفق النبوءة؛ سيموت وستنهب أمواله (لأنه لا وريث له). ثم لم يعد ربه يظهر اليه ويتكهن. أصبح الملك ـ الكبير ذليلاً؛ نزل عن عرشه وجلس على منضدة. بعثر على الأرض كيلاً من الحبوب، وعلى رأسه ذُرَّ الرماد. في مثل هذا الوضع المهين أخذ يستعرض الأيام الأخيرة. قاتل الفلسطينيين للحصول على المؤونة اللازمة لبلاده. وعد نفسه بالقضاء على أوثانهم في الغابات، «بقبضة يده الحجرية» والاستيلاء على مخزونهم من القمح والدقيق. لكن الأحداث جاءت بخلاف ذلك. طارده الفلسطينيون حتى اضطروه الى الاختباء. اقتنع الآن أن حكمه قد انتهى وأن بلاده ضاعت. صولجانه ـ القصبي؟ ـ مقيّد؛ البساتين والسهول أصبحت في أيدي الغرباء. لم يبق أي أمل بمساعدة ما. دقت ساعة أجله. هنا يرد التساؤل التالي: ما هو مصير شعب بن ـ داغون (دمشق) ما هو مصير ثروة هذا الشعب الضخمة؟ الملك ـ الكبير كان من عظماء هذا العالم، ومع ذلك سخرت منه العذراء عناة وتألب عليه جميع أعداؤه فهزموه هزيمة شنيعة. سيستريح الآن في بطن هذه الأرض التي كان سيدها، مثلما يستريح الانسان قرب حبيبته؛ هكذا قرر الشيطان الذي ينقل الموت . . . (نقص في النص).

عندما نعود الى نصنا نجد أن صلاة ما تقام. انه الشعب، على الأرجح، وهو يبتهل لإيل. . . خطأ شخص واحد يجب ألّا يؤدي الى فناء شعب بكامله.

. . . (نقص في النص). . . على الإله أن يجمع غيومه وأن يبعد البؤس. آن لهذا الشعب أن يأكل ويشبع ؛ على الإله أن يصفح عن أولئك الذين ابتعدوا عنه رغم ارادتهم. يكفيهم ما حل بهم من شقاء. ليس للإله أن يشط فيحمي عدواً فظاً! تقرر استدراج رئيس اليوديم (اليهوديم؟) الى «حلبا» على ان يتم اثر ذلك حصار رهاتيم، مما كان سيؤدي الى تدمير هذا الشعب «الحر»*. الإله كان قد وعد بالنصر: ـ يجب أن تحمل الأنهار خبراً مؤداه أن إيل يستطيع أن يقضي على أعداء شعبه. وعلى الأصنام الغريبة أن تعرف ذلك هي الأخرى. لكن الملك ـ الكبير يعتريه مرض الموت وهو ممدد، لا يستمع الى شكوى الشعب الذي يرغب بعودة الرخاء ويتخيل العجول ترعى في المروج والبقر في الحقول. الشعب الذي أصيب بكارثتين أخذ يئن: أمله في أن يرى مولوداً ذكراً للملك ـ الكبير استمراراً للسلالة؟. . . (نقص في النص). . .

. . . (نقص في النص). . . يبدو ان الملك ـ الكبير أصر حتى النهاية على رفضه عبادة إيل. نال منه الهزال ولكنه استمر بشرب الخمر ويرفض الطعام. ـ هناك أمة تتعرض للفناء(؟)؛ في حال مهاجمتها، هناك عون منتظر (؟). . . (نقص في النص). . .

. . . هناك تشفع جديد. يبدو انهم يتوجهون الى ابنٍ للملك ـ الكبير (؟) وينادونه (؟). يرفع الابتهال باسم الماشية أيضاً: يجب أن يتكاثر الانجاب: لابد من القيام بتقديم الذبائح تكفيراً عن الخطايا، لكي تعود هذه الطبيعة المهددة الى سابق عهدها. . . (نقص في النص). . .

. . . عندما يقرر الملك ـ الكبير التوسل الى السماء والأرض فإن المقصود هو بعل. بعل إله يحب الآلام؛ لكنه إله عظيم، يستطيع الهبوط الى الأرض مع نفحته الالهية. صحيح انه يستطيع أن يمحق شجر الزيتون، ولكنه يستطيع أيضاً أن يجزل العطاء للأرض، كما يستطيع أن يجعل الشجر يثمر. هو الإله الوحيد

(*) كلمة «حرّ» هنا جاءت بمعنى «الذي يعيش حياة البداوة» او الكثير الترحال. (المترجمان).

الذي يخشاه الملك ـ الكبير؛ لذا فإنه يوجه ابتهالاته اليه وحده. طالما وأنه يتعرض لكراهية «العظماء ـ الأقوياء»، وطالما ان موته أصبح حتمياً، فإنه يكرر الولاء لبعل: «عبدك أنا، وعبد أسرارك». ـ أخذ يتوقع الشفاء والبعث من بعل، ومن بعل وحده. الشعب يقابله باللامبالاة، بينما تبقى الآلهة واجمة. مع ذلك هناك نبوءة تحققت؛ فقدت «قرتوها» القاسية أراضيها، وانهار عرشها. هذا دليل جديد على أن «الشفاء» ممكن. يعود الملك ـ الكبير فيكرر صلواته لبعل: «عبدك أنا وعبد أسرارك»؛ فيبتهج أملاً بشفاء قريب... (نقص في النص)...

الملك ـ الكبير يشارف على الموت. منحته الآلهة الحكمة، ولكنه اختار العار. سيموت والعار يكسوه، ذلك «الملتوي» الذي كان (مثل ملك جبعون) سيداً لرؤساء سبعة. الشعب لا يبالي بمصير مليكه. ليس هناك من يهتم بإعطائه العلاج المسكن؛ والسماء نفسها أخذت تمزق ملابسه (أفوده). يسمعون نحيبه دون اهتمام. صوته أصبح عبارة عن حشرجة؛ وعلى أي حال ليس هناك من يخشى صراخ المحتضر. يئن والموت في روحه، دون أن يأتيه العون من الآلهة أو البشر. تمرد فمنع إيل العون عنه؛ وشعب موريّا الشمالية نفسه، لا يأتي لمساعدته. أمام قسوة البشر، أخذت الأرض تحنو عليه، ـ الكروم، والحقول أخذت تبتهل الى الإله. يجب أن نتفهم أحزان من كان محبوب إيل فيما مضى؛ وعلى إيل نفسه أن يكون رحيماً وأن يبادر للمساعدة. يجب أن يعيد لهذه النفس عزّتها وإنه سوف «يتعرّف من جديد» على قلب العاهل. موت الملك ـ الكبير سيزيد في البلبلة: إيل يستطيع منح الحكمة وتجنب البؤس الذي عاد يهدد الناس؛ لابد انه سوف يقوم بذلك، وهو الذي يبارك الجاموس الذي يجتر في الحقول، كما يبارك صدور الظباء. على الاله أن يتصرف باعتدال، أن يعمل على إطعام هذا الشعب، هذا الشعب الذي تحمل الكثير الكثير من الآلام. عليه أن يمزج البهجة في الكأس وحتى في الجرة، ويبعث الملك ـ الكبير.

إن الصلاة التي تتبع تعتبر من أجمل نماذج الشعر الأوغاريتي. الأرض (الكروم والحقول) تقوم بدور الأم المرضع لهذا الشعب، أرض كنعان تتوسل لإيل

تماماً كما تطلب الأم الصفح عن بنيها.

«ودعه يعيش، فأنا أحب الشعب الذي أحمله. أنا أطعم الشعب الذي منحته الحياة، بالخبز والشراب، الشعب الذي أجعله يعيش. . . . . . ».

لكن هذا التضرع لا يقترن بنتيجة. والآلهة التي منحت الحكمة للملك ـ الكبير قررت معاقبة العاهل لاختياره طريق العار . . . (النهاية غير واضحة). . .

بالحقيقة ان هذا النص لا يتضمن الكثير من المعلومات الجديدة علينا:

البلاد والناس: أكثر المعلومات الجغرافية وردت في التعليق على (IIAB) . شعب بن ـ داغون (دمشق؟) اشتهر بثروته، وما آل اليه الملك ـ الكبير قد يؤدي الى نتائج خطيرة على بن ـ داغون. يرد ذكر رؤساء اليوديم واستدراجهم الى حلبا. قد يكون المقصود «برهاتيم» عاهل بابلي (كوشان ريشاتيم، ملك ما بين النهرين ـ قضاة ٣/٨-١٠) كما أن المقصود بقرتوها مملكة بابل (راجع IIAB). هناك معلومات جديدة حول الفلسطينيين. حاربهم الملك ـ الكبير وكان السبب المعلن القضاء على عبادة الأوثان التي تتم في الغابات (مزامير ٧٤/٥-٦)، ولكنه في الحقيقة كان يطمع بالاستيلاء على الحبوب المخزونة لديهم؛ مما يدل أن مناطق الفلسطينيين لم تكن تعاني من المجاعة.

الحكم: الملك ـ الكبير الملقب أيضاً «بزعيم الرؤساء السبعة»، يعتبر مختاراً من قبل إيل (مزامير ٣٨/٣١). لا سلطة تفوق سلطانه إلا سلطان إيل نفسه. هو سيد الأرض، علماً بأن موقف الجمهور المتجمع أو «ي س ب ي» (قضاة ٩/٦) يحد قليلاً من سلطانه. الشعب يستطيع التعبير عن عدم رضاه، بالصمت واللامبالاة تجاه الآلام التي يعاني منها الملك ـ الكبير، كما وأنه يستطيع توجيه الملامة اليه بقوة بسبب تخاذله وهروبه أمام العدو الخ . . .

المجتمع: كلمة «عبد» لم ترد في النص إلا بمعنى الخضوع. يبدو انه في بعض الظروف (مذبحة؟) لم يكونوا ليفرقوا بين الطبقات، إذ يحاولون القضاء على جميع الذكور، على كل من يستطيع منهم الوقوف على رجليه. ولعل هذا ما يعنيه تعبير «كل من يبول» (صموئيل الأول ٢٥/٢٢، ٣٤) الذي نعثر عليه في جملة مبتورة.

الجيش: يصعب الحكم على تبجّح الملك ـ الكبير الذي كان يريد تدمير الأوثان الفينيقية «بقبضة يده الحجرية»، أي بمفرده؛ علماً بأنه يمكن تفسير النص بمعنى وعدٍ بمساعدة إلهية (راجع IID,ID). غير انه، بعد ذلك بقليل، يشار الى عملية إبادة؛ مما يجعلنا نعتقد انه من غير المرجح أن يكون هذا العاهل حارب وحيداً. صحيح ان الشعب لم يكن دوماً على استعداد للسير وراء مليكه، الذي لم يكن له حلفاء يعتمد عليهم (باستثناء بن ـ داغون)، ولكن لابد انه كان للملك جيشه، كما كان للفلسطينيين جيشهم. الهرب عار، يناقض الحكمة حتى ولو كان الاختباء هو الطريقة الوحيدة للتخلص من ملاحقة «الأعداء كافة». الآلهة هي التي تحرز النصر؛ ومن الأفضل أن يكون ذلك معروفاً للجميع.

موارد البلاد: الحقول والكروم هي التي تطعم البشر. قد يقل القمح أحياناً، إلا ان الخمر كان متوفراً على الدوام. هناك «بساتين» (خضاراً وفاكهة؟) أشير اليها دون أية تفاصيل حولها. ورد ذكر شجر الزيتون صدفة (بعل يستطيع أن ييبسها) والأشجار المثمرة. المنطقة التي كان يقطنها الفلسطينيون مغطاة بغابات. الشعب يهتم كثيراً بزيادة أعداد الماشية وأيضاً عدد الجواميس والظباء. البقر يعمل في الحقول.

المسكن: الكوارث المختلفة تنعكس على المساكن، المصائب تحل في البيت، البيت يسوده الشقاق الخ . . . أسوأ ما يمكن أن يحدث هو أن ينهب البيت، أو ينهار، هناك اشارة الى «سجن الآلهة»؛ ولعل المقصود بذلك هو «الحفرة» (أو الحوض الجاف) مما يتردد ذكره في العهد القديم.

الأثاث: لا يرد ذكر لأثاث ما في هذا النص باستثناء عرش الملك ـ الكبير. ويعتقد انه كان من بين توابع العرش مقعد ومرقاة*يجلس عليها الملك للتعبير عن ألمه وحزنه (أشعيا ٣/٣٦؛ ٤٧/١).

أدوات المائدة: «العومر» كان كيلاً للحبوب (يساوي عُشر الايفا ـ خروج

(*) كتاب الآثار الشرقية، شكل ٦٢٢ كونتينو (CONTENAU).

١٦/٢٦). أصبح قليل الاستعمال أيام كتابة العهد القديم. يستحسن في بعض الظروف، شرب الخمر بكأس من الذهب أو الفضة (أشعيا ٦٦/٢٠). يفضل استعمال الجرة للقيام ببعض عمليات المزج.

اللبـاس: لفظة «أي ب د» ترد في مقطع صعب التفسير، بسبب وجود فعل «ك ر س» (ويمكن مقارنته بالهاباكس التوراتي - مزامير ٨٠/١٤)، الذي تمت ترجمته بلفظة «نخرَ، قضمَ»، علماً بأن لفظة ايفود وردت بأكثر من معنى في العهد القديم:

آ - تمثال أو صنم (قضاة ٨/٢٧؛ ١٧/٥؛ ١٨/١٤-٢٠).

ب - صندوق يحتوي على حاجات مختلفة، يمكن استخدامه لاستثارة الآلهة (صموئيل أول ٢١/١٠؛ ٢٣/٦، ٩؛ ٣٠/٧).

ج - لباس قد يكون من الكتان، يرتديه بعض العاملين في خدمة الهيكل - عدد /٨٥/ شخصاً على الأقل (صموئيل أول ٢/١٨؛ ٢٢/١٨؛ صموئيل الثاني ٦/١٤).

د - لباس الكاهن الأكبر في المناسبات، وهو مزين بالأحجار الكريمة ويتم نسجه بخيوط ذهبية، وخيوط زرقاء وأرجوانية وقرمزية (خروج ٢٥/٧؛ ٢٨/٤).

غير ان لفظة « ايفود » (قميص) مستعملة في النص بمعناها المجازي، والمقصود بها هو الجلد على الأرجح (أيوب ٧/٥؛ ١٣/٢٨؛ ١٨/١٣).

العـائلـة: «جعل مقره قرب محبوبته الجميسلة، الأرض»، تعبير يستعملونه للدلالة على الموت، وهو مستعار على الأرجح عن عادة الزواج بطريقة «تساديقا» (راجع NK) الذي كان يمكن أن يتضمن شرطاً مفاده أن الزوج هو الذي يأتي فيلتقي بزوجته (قضاة ٨/٣١؛ ١٥/١). فيما عدا ذلك لا يرد ذكر في هذا النص، لمحظية أو لزوجة بالنسبة للملك - الكبير. هناك تلميح لولد كان من المفروض أن يولد له؛ ويستحيل معرفة ما إذا كان هذا الولد قد رأى النور أم لا. في أحد المقاطع نعثر على لفظة مصرية «م ش» وهي تعني ولد؛ لكنه يتعذر معرفة ما إذا كان هذا التعبير مخصصاً للدلالة على وريث الملك أم أن له معانٍ أخرى.

الطبيعة: كل ما في الطبيعة حي وله روح. الأرض تستطيع أن تصلي للآلهة (أيوب ٣١/٣٨) وهي تطالب بالتكريم. عظمة البشر تنتهي الى الأرض، وفي الأرض يستريح الأموات. الكروم والحقول تعتبر نفسها مصدر الغذاء للبشر (مزامير ١٠٤/١٤-١٥)؛ وهي تحب البشرية وتتشفع لها. الآلهة والبشر قد يسيؤون الى الطبيعة: يمكن «تقييد» السهل، و«جعل الظلمات تثقل الحدائق»، كما يمكن «تقييد» القصب فيتوقف عن النمو. عند ذلك تتألم الطبيعة وتنتظر الشفاء. من جهة ثانية، يبدو ان الطبيعة كانت موضع تكريم شبه ديني. وقد يكون من جملة طقوس التكريم هذه أن يصار الى نثر كيل من الحبوب أرضاً، أو ذر الغبار على الرأس. ويدخل في نطاق تكريم الأرض تسلمها جثث الموتى. الأنهار، كما رأينا، تنقل الأنباء الى مناطق نائية. ـ الغيوم تسبب الكوارث؛ لكن الإله يستطيع جمعها ونقلها. يتكرر ذكر أهمية كثرة الإنجاب بالنسبة لخصوبة الطبيعة. يبدو أن أحد الآلهة يبارك صدور الظباء (مزامير ٢٩/٩).

الطبابة: فكرة ان الشياطين هي التي تسبب الأمراض، جاءت بالأصل من بلاد ما بين النهرين، على الأرجح. الشيطان الذي «يجلب العمى» هو ذلك الذي يجلب المرض، وهو نفسه الذي يعلن ما إذا كان المرض قابلاً للشفاء أم لا. المرض الذي لا شفاء منه هو «مرض الموت» (أشعيا ٣٨/١). يقدم العلاج للمريض على الفور. أما إذا لم يتم ذلك سواء أكان ذلك عن قصد، أو بأمر إله ما، أو حتى بمجرد الإهمال (النسيان) فإن ذلك يعني أن المريض سيموت (مزامير ٣٨/١٢). على ان العلاج الوحيد الذي يرد ذكره هنا هو الخمر، الخمر الذي يشد العزم من جهة ولكنه ينهك من جهة أخرى.

الروح: تجد الروح حكمتها في الحقيقة. والحكمة يمكن رفضها واختيار طريق الخزي والعار.

الموت: الموت عقاب، من جهة ـ سواء أكان بفعل إيل أو بفعل أحد الشياطين. ولكنه من جهة ثانية، عبارة عن راحة أبدية يتمناها الانسان بعد حياة ملأى بالآلام (أيوب ٤/١٢؛ ١٧/١٤). الأرض تشبه بزوجة جميلة يسعى الانسان

الى قربها. هذا المفهوم يختلف عمّا ألفناه في الآداب الأوغاريتية، وسنعود اليه فيما بعد في (IAB).

الآلـــهـــة: إيل هو إله العون، يمنح النفس الاعتداد بذاتها، وهو يمنح الحكمة أيضاً ويبارك. هو القاضي المتفهم (مزامير ٥/٢)، الذي «يعرف» ما في القلوب. يستطيع أن يعفو ويصفح حتى عن الذين كفروا به. وفي هذه الحالة يقوم بإبعاد الغيوم والبؤس، وهي سجونه، كما يتوقف عن مجاملة العدو. إيل هو الذي يقوم بتغذية البشر، هو الذي «يسمن» الفتيان. يحيي ويميت (تثنية ٣٢/٣٧؛ هوشع ٦/١؛ أيوب ٥/١٨)، ولكنه يصفح بصعوبة عن أولئك الذين فضلوا العار عن الحكمة (مزامير ٢/٣؛ أشعيا ٤١/١١)؛ يؤثر في مصير البشر باللجوء الى السحر، كما يستطيع مزج الخمر بشيء من البهجة. يحسم الأمور في حالة الفوضى. لا يرد ذكر عناة إلا مرة واحدة، عندما خدعت الملك ـ الكبير، وسخرت منه (أيوب ٩/٢٣). أما بعل فإنه يستطيع الهبوط الى الأرض فيجعل اليباس يحل في شجر الزيتون أو، على العكس، يجعل الأشجار تحمل ثماراً. هو إله جليل القدر، يستطيع أن يأتي بالشفاء والبعث. بصفته إله الجحيم يذهب الأموات الى جواره، بعد دفن جثثهم في بطن الأرض. «آلهة الأرض»، يبدو انهم يرتبطون بمفهوم جديد للعبادة، أدخله على البلاد «نقمد» ملك أوغاريت الجديد (انظر IAB). هناك اشارة أيضاً الى نوعين من الأصنام: الـ ب س ل، وهي أصنام فينيقية تتم طقوس عبادتها في الغابات (مزامير ٧٤/٥-٦)، والـ إي ي ل ل، وهي آلهة اليوديم (اليهوديم) الكاذبة، وهي التي يجب أن تعلم بواسطة خرير المياه في الأنهار، أن إيل إله قدير، يستطيع القضاء على أعدائه.

الشياطين: من بين شياطين بعل، هناك شيطان معين يرد ذكره في هذا النص، وقد اختص بالقدرة: هو شيطان «مرض الموت»، «الشيطان الذي يجلب العمى». عندما يعلن أمراً ما، فإن هذا الأمر يصبح قطعياً.

العبادة: يمكن ترديد الشكوى الى إله ما حتى «يرتوي»، بغية الحصول على رحمته. بعض الأعمال تفرح بها الآلهة، مثل تدمير أوثان شعب آخر لعبادة بعل

طقـوسها الخاصة: يعلن المتعبد أنه عبده (أشعيا ٤٤/٢١) وعبد أسراره (مزامير ٢٥/٤ ـ IIIAB). أمـا عبـادة الأرض فيبدو انها لـم تدخل أوغاريت إلا في عهد «نقمد» (IAB) ، وذكرها هنا يعود، على مايبدو، الى مفارقة تاريخية سببها الكاتب.
عبـادة الأرض ترتبط بشكل وثيق بعبادة الأموات، وتتطلب أحياناً القيام بحركات معينـة تدل على الألم والحـزن: الجلوس أرضـاً (وهي عادة لاتزال موجودة عند اليهود)، ذر الغبار على الرأس، الخ . . . وهناك طقوس يصعب تفسيرها في الوقت الحاضر مثل نثر كيل (عومين) من الحبوب على الأرض(؟).
الـمـعـتـقـدات: قد تلجـأ الآلهة الى السحر. عندما يريد إيل نثر البهجة على الأرض فإنه يقوم بمزج الخمر، عَلماً بأن الكميات الممزوجة لها أهميتها (للمقارنة مع VAB).

الفصل الخامس

يتألف هذا النص من جزأين، جمعهما السيد فيرولّو ونشرهما تباعاً، الأول بعنوان «قتال موت ابن الآلهة مع عليين ابن الإله بعل» في مجلة سورية عام ١٩٣١ ص ١٩٣ - ٢٢٤، والثاني تحت عنوان «جزء جديد من قصيد موت وعليين ـ بعل» في مجلة سورية عام ١٩٣٤ ص ٢٢٦ - ٢٤٣. وهو معروف بالمصطلح IAB.

IAB

إلى السيد!
أيقظ روح الميت! قدم الأضاحي للتماثيل في الغابات!
قدم الخبز والدقيق! . . . !
أنشد شكوى الأموات . ؟ . ستحرثه كما تحرث البستان!
الظلمات دخلها، وأصبح السهل وكأن الموت قيّده.
مات السيد. ـ ماذا حل بشعب بن ـ داغون؟
ما الذي آل إليه ضجيج الثروة؟ ـ السيد مارس سلطته

على الأرض؛ شعبه المسحوق. خشية
الآلهة هي نهاية الاعتداد بالنفس - إبكِ، الى ان تجف الدموع!
اشرب الدموع كما تشرب الخمر!
وانت . . . من أجل خشية الآلهة، نهاية الاعتداد بالنفس.
تحمل دمار ومتاعب السيد الأعظم!
اصغ: ان خشية الآلهة هي نهاية الاعتداد بالنفس.
- ليُحْمَل السيد الأعظم على الأكتاف!
بدايتك في نهايته. بيدك ستتسلم سلطته
ستبكي سلطته وكأن حبلاً يخنقك!
وتعمل على دفنه. سوف تنشد الأناشيد من أجل من اختارته
آلهة الأرض: وتُذبح سبعة
ظباء ليرتوي منها السيد
الأعظم؛ وتُذبح سبعة ثيران
لكي يرتوي منها السيد الأعظم،
وتُذبح سبعة خراف
ليرتوي منها السيد الأعظم؛
وتُذبح سبعة من الإبل
ليرتوي منها السيد الأعظم؛
وتُذبح سبعة من الوعول
ليرتوي منها السيد الأعظم؛
. . . . . الخمور

(نقص في النص؟)

. . . . . السيد الأعظم . . .
. . . . . لكي تنتشر بينهم . . .
. . . أجنبية، اتخذها خليلة لكي يربط الألسن.

إلى شقائك، لا يدير وجهه، شعب
إيل. بلبلته الذين يتدفقون أصبحت وشيكة
وعندما تنفتح الهاوية بالكامل، سيكشف عن حجره،
إيل وعن صدره. ألق بنفسك أرضاً
أيها الملك، وارضخ للكراهية؛ على قدمي
إيل، بسرعة، وبأصول
انحن ومجّده!
هل يأتي الشفاء لكي يبعث عندما تبتهج، يا للأسف،
عشيرات ومن ولدته، إيلات وجميع
من كونتهم؟ ـ لأنه يجب أن يموت، السيد
الأعظم؛ وسينهب منزل السيد.
حتى ولو شاء أن يبعثه، إيل
الذي يستمع الى منازِعات الاشيرتيم،
لابد له أن يوافق على شقاق الاشيرتيم.
ـ انت وحدك، تعال الى . . . واحكمنا
وسيتوقف شقاق الاشيرتيم.
ما ان عرف اننا نحكم حتى قاتلنا.
وأخذ إله الجدود، يتنبأ:
أولئك الذين ينوحون، لن يسحقهم في التراب؛
شعب السيد، لن يتخلى عنه أمام لهاث
شعب بن ـ داغون، لأنهم دخلوا في التجربة، أولئك الذين ينوحون
ـ وإذا انتهى شقاق الاشيرتيم،
بالحكمة ستحكم. عشتار ترهب،
عندما تحكم، عشتار الرهيبة؛
ظهرت لك، عشتار الرهيبة

التي تبعث الغموم الخفيّة.
لكنه يظل في الكذب، السيد
الأعظم؛ لا يريح قدميه على
المنضدة؛ رأسه أيضاً لا يريحه.
بدأت عشتار الرهيبة، بإنهائه،
لكي يمارس سلطانه في الرعب الخفي
انها تسحق، عشتار الرهيبة، انها تسحق. ـ
ان الأعظم يحكم بالكذب،
عندما يدعي انه يحكم بموافقة إيل.
. . . حتى الحجارة في الساحات العامة.
. . . حتى تبكي الحجارة كما ينوح البشر.
(نقص يقارب ٣٤ سطراً).
انقلنا، و. . .
اجعله يقترب مثل القلب التائه،
ليسرع اليه مثل القلب الحزين،
ليعد الى تعاليمه مثل القلب البائس
ـ أولئك الذين جمعهم السيد، ماتوا. ـ
بالحقد، تم تدميرهم، تقطيعهم . . .
بالنهاية كل شيء باطل. هل يأتون بالشفاء لكي يبعث،
عندما يأتي الموت؟ ـ «أعده الى الحياة!»
وكان الجواب: «سيموت ابن الايليم مثلما
«يموت كل من زوّجته العذراء عناة.
«أنا من سيقطعك إربا ومن سيدمر كل شيء.
«كعدو للمجد، سوف أجعل الكبرياء تنحني.
«الكبرياء التي وجدت من أجل تكريم شياطين النفس. يكفي انه

«بين الأحياء، تقوم الروح بضجيج كبير؛
«سوف أوافق على أن يرقد قرب محبوبتي الأرض.»
ـ هكذا قال الشيطان الذي يجلب العمى، حامل علّة الموت:
«سوف أقاتله، ذلك الطاغية، السيد الأعظم!
«سوف أطرح الشكوى جانباً وأقاتله! ـ أقول ذلك بملء فمي
«سأسحقه وأدمره تدميراً مطهراً حتى أقضي عليه»!
خشية الآلهة هي نهاية الاعتداد بالنفس. الريق قد جف
وتعبت السماء؛ الموت بيد أبناء الايليم.
ـ يوم يضاف الى الأيام فتصبح أياماً.
تصنع منها الشهور. ـ أشفق على البائس، اجعله يقترب
مثل قلب تائه، وليسرع إليه مثل قلب
محزون، وليعد الى تعاليمه مثل قلب
بائس، ذلك الذي التصق ببعل.
ـ ابن الايليم سيموت. ـ بالسيف،
قتل الذرية؛ بالطرد تفرقت
الذرية؛ بالنار حرقت الذرية.
ـ برحمتك، اجعل سلالتي تعود فتتفتح! ادهنها من جديد،
بذراعيك احتضنها، لتكن تحت رعايتك، لئلا يفترسونها؛
فلا تكون نهايتها بالاضطهاد والعويل؛
أعد اليها الحياة وحافظ عليها حفاظاً جميلًا!
(نقص يقارب ٤٠ سطراً).
لأنها سُلبت......
هي إذن تتوقف، حياة السيد الأعظم
هي إذن تنطفىء، شعلة منزل سيد الأرض.
في الرؤيا، تخيّل انه أتى للتنبؤ، إله الجدود:

«أخبار طيبة! ـ مولود سيرى النور!
«الأخبار السيئة التي فرضناها، تم تطهيرها بالكامل.
«فلتجرِ الجداول وهي تحمل النبوءة
«وليعرفَ الجميع انه يحيا، السيد الأعظم،
«ومثله أيضاً شعلة سيد الأرض تشتعل.»
ـ جاء إذن، في الحلم للتنبؤ، سيد الجدود!
أخبار طيبة! ـ مولود سيرى النور!
والأخبار السيئة التي فرضت علينا، سوف يتم تطهيرها.
الجداول ستنقل النبوءة.
ابتهج للتنبؤ، إله الجدود!
يصدر الحكم وقدمه على المنضدة،
وسينتزع نفسه من السرير وسيضحك!
«ليقدم له الشفاء وليبعث!
«عد الينا، أتوسل اليك، ولسوف أهدأ
«وستهدأ نفسي في صدري،
«لأنه يحيا، السيد الأعظم،
«مثل شعلة المنزل سيد الأرض».
ـ انه يبعث أيضاً، إيل، بسبب العذراء
عناة؛ انه يستمع، بسبب العذراء عناة
التي تصلي الى إيل المبجل، نهاية الاعتداد بالنفس.
معجزة عناة، الحقول تفيض بالغلال؛
معجزة عناة، حقول إيل تحمل كامل طاقتها.
«بالرفش» تحكم عناة!
ولكن أين هو السنيد الأعظم؟
أين هو منزل سيد الأرض؟

يجب أن تصلي للعذراء عناة، وإلاّ
فإنها لن تدير وجهها لبأسائك!
ففي خشية الآلهة، نهاية الاعتداد بالنفس.
لكي يأتوا بالشفاء ولكي تبعث حياً،
ابتهل الى الأمير، إله أبيك،
واسترحم من أجل أن يتنبأ لك!
ـ معجزة عناة، الحقول تفيض بالغلال؛
معجزة عناة، حقول إيل تحمل كامل طاقتها.
«بالرفش» تحكم عناة!
ولكن أين هو السيد الأعظم!
أين هو مسكن سيد الأرض؟
فتجيب: «خشية الآلهة في نهاية الاعتداد بالنفس!
«لأن القاضي المذلّ وصل الى خيمتك
«لكي يسقط التاج عن رأس كبيرة خادماتك».
ويسأل السيد الأعظم.
والعذراء عناة تجيب:
«تعبت من إعطاء المزيد من الاعتداد؛
«أنا متعبة. نادِ إيل
«لكي يوقظك...
(تشويه ما يقارب ٣٨ سطراً).
بقي السيد وحيداً. من بين أتباع عشيرات
عديدون هم الذين حطم أكتافهم؛
....؟. حطمهم في مرابطهم.
الموت الأبيض وصل إلى الأرض
... الى عرش ملكه.

. . . الى دروبه الخادعة .
لأيام كذلك ، لأشهر ، لأشهر
لسنوات ، . . . ، ممتلىء
بغضاً . انه ضعيف ، ابن الايليم ، وسيموت .
ومع ذلك لايزال ممكناً أن يأتي الشفاء
للسيد الأعظم . ما يلصق بك . . . ،
الضلال المخزي الذي لحق بك ، الضلال
اخلعه عنك بالسيف ؛ الضلال الذي لصق بك
أحرقه بالنار ؛
الضلال الذي لحق بك ، اسحقه بين حجري الرحى ؛
الضلال الذي لحق بك ، الضلال ، . . . بالرعب ؛
الضلال الذي لحق بك ، الضلال ، . . . .
في الحقول ؛ ما لحق بك من ضلال ؛
انثره في البحر . . . . . .
بقي متردداً في الكلام
(ثمانية أسطر لم يبق منها سوى بداياتها) .
(نقص يقارب ٣٥ سطراً) .
(أربعة أسطر ناقصة) .
. . . . . . ابن الايليم سيموت ؛
. . . . . . الشعوب ،
. . . . . . ابن الايليم سيموت ؛
. . . . . . فتيانه السبعة ،
. . . . . . ابن الايليم سيموت .
« . . . ليعودوا الى الحياة ، بفعل بعل ،
«لأنني ، يا لحسرتي ، قتلت أبناء أمي» .

ـ ويبقى شعب السيد، يعاني من الرعب
بالخفاء. ـ «ليُحمل اليهم الشفاء فيعودوا الى الحياة،
«فليعودوا أحياء كهبة من بعل،
«لأنني ، يا لحسرتي، أبناء أمي،
«قتلتهم. حطمتُهم وقضيتُ عليهم».
ـ لقد مات، ذلك القاسي، السيد القاسي؛ رجمناه
مثلما ترجم الجواميس. مات ذلك القاسي،
السيد القاسي: عضضناه كما يعضون الذليل
مات، ذلك القاسي، السيد القاسي: ضربناه على جبهته
كما تضرب العظاية. لقد مات، ذلك اللعين،
السيد الملعون! علينا نهاية الاعتداد بالنفس
هل ستبعث بعد الموت؟ اصغِ الى الأحشاء:
كيف أصاب الموت ابن الايليم . . .
شعب السيد الأعظم؟
كم لعنَ، الأمير، إله أبيك، كم لعنَ
أولئك الذين استمعوا إليك! ألم يحطم
باللعنات منزلك؟ ألم يقلب رأساً على عقب
عرش ملكك؟
ألم يحطم أحكامك الخاطئة؟
ـ يجب أن يهبط ابن إيل الميت؛ لأن
العون، سوف يسخر من محبوب إيل.
ـ هل يوقظون الميت
بصوته؟ . . . . . .
ـ السيد، الشيخ . . . . . .
مملكته . . . . . .

دروبه . . . .
(سطران ناقصان).
. . . . . أصبحتَ مرضياً جداً.
. . . . . لا تسبب التخفيف.
. . . جرح دامٍ . ـ حتى من أجل غذائك،
أصبح الخبز مدوِّداً. ومن أجل شرابك،
نصحوك بالخمر؛ انها نهاية العزّة.
الأطباء يخيفونك، يرعبونك:
إنها نهاية الزهو. لقد أوحوا إليك بالرعب، الـ . ؟ . .
كانت شهورك الآلهة: انظر، إن الأموات
شهورك الآن. حرّاس هم رفاقك
ومرشد الأموات هو من تعرفه.
في البحر سوف تتم خطوبتك وفيه ستنجب.
حارس الموتى ومرشدهم، إلى جانبك،
إنه المعلِّم، حارس الموتى ودليلهم.
رواية ايلي ميلكو؛ لكي يتعلم
الأولاد، إنّي أعلِّمهم «اللآلِيء». ـ رئيس
مقدمي الأضاحي، رئيس المطهِّرين
هو الشاعر. ـ «نقمد» هو ملك اوغاريت،
وسيّد كل الأرض، سيّد شرمون.

هذا الفصل من «أخبار الملك ـ الكبير» هو آخر نصوص إيلي ميلكو؛ وهو عبارة عن مراجعة عامة. المقدمة تقوم على اعتبارات أخلاقية يستخلصها المؤلف من عِبَر التاريخ؛ وفي الختام حاشية تعرفنا على هذا المؤلف، وعن اسم الملك وكذلك عن الهدف الذي يرمي إليه الكاتب.

عند كتابة هذا الفصل، كان «نقمد» ملكاً على أوغاريت. كان غريباً عنها،

وأصله من شيرمون (قبرص؟)؛ يمكن ان يكون اسمه «نيقوميد» (NICOMEDE) في لغة بلاده. عندما استولى على أوغاريت اتخذ لنفسه لقب «سيد كل الأرض». يبدو أن «نقمد» كان كثير الاولاد، فتولى ايلي ميلكو، الكاتب والشاعر المنشد ـ تولى تعليمهم تاريخ البلاد التي أصبح يحكمها الآن؛ وعلى ذلك قام رئيس مقدِّمي الاضاحي والمطهر بكتابة تاريخ الحقبة التي سبقت مجيء الملك وتوليه الحكم. هكذا ولِدَت هذه القصص ـ العِبَر، التي ينسبها صاحبها «باللآلىء» (؟). وهي عبارة عن هدية لسيد البلاد الجديد:

يستطيع نقمد التأكد من صحة الوقائع المروية. ما عليه للتوصل إلى ذلك، إلا أن يذهب ويوقظ روح الميت. يقوم بتقديم بعض القرابين أمام نصب الملك السابق، ثم ينثر الدقيق أرضاً، ويقدم الخبز؛ قد يذرف أيضاً دموع الشفقة على مصير الملك ـ الكبير، الذي كان عنيفاً ومتسلطاً. اضطهد شعبه كثيراً، ولكنه الآن مات مسحوقاً. شعب بن ـ داغون لم يعد له وجود؛ اختفى واختفت معه غطرسته، والجلبة التي كانت ترافقها.

العبرة من كل ذلك أن الانسان يجب ان يكون متواضعاً للدلالة على احترامه للآلهة؛ وخشية الآلهة فيها نهاية الاعتداد بالنفس. تسلَّم «نقمد الحكم في ظروف بالغة الصعوبة؛ ذلك أنه كان يحمل على كتفيه عبء الدمار الذي سببه سلفه. ومع ذلك لم يظهر على العاهل الجديد أية بوادر روح عدوانية بالنسبة لذكرى الملك ـ الكبير. إنه أمر بدفنه، كما أمر بتقديم الذبائح والخمور لتغذيةروحه. يبدو أن العاهل الجديد أراد أن يريح ضميره، وهو الذي حل محل الميت الذي دخل الظلمات، وأصبح يعاني من «ضغط الصلّ». على نقمد أن يعتب أيضاً مما جرى في عهد الملك ـ الكبير. ذلك أن هذا العاهل خالط شعوباً أجنبية، واتخذ لنفسه محظية أجنبية تخلصاً من ملامة جيرانه (؟). تخلى عنه شعبه الذي كان يعتقد أن نهاية الغزاة أصبحت قرَيبة. عمت الفوضى البلاد حتى كأن الشياطين خرجت من كهوفها. ترك الناس العمل في الحقول، وحلت اللعنة على المحاصيل. على الملك الجديد، إذن، أن يواجه المحنة؛ أن ينحني على قدمي إيل تبجلاً له،

بسرعة وبأصول، لأن الملك ـ الكبير جاء متأخراً عندما حاول ذلك. الالهة عشيرت وكل بنيها، الاله إيلات وكل ذريتها يستطعون الآن أن يبتهجوا، لأن الملك ـ الكبير مات، وخرب بيته، وتبعثرت ثروته.

ذلك أن الإله إيل متجرّد إلى أبعد حدود التجرّد. مهما كانت مكانة عاهل ما لديه، فإنه، على استعداد لأن يستمع دوماً إلى أقوال خصوم هذا العاهل؛ وعلى ذلك كان يستمع، في زمن الملك ـ الكبير، الى المنشقين من الاشيرتيم. قد يختلف الأمر، على أي حال فيما لو كان الإله هو وحده الذي يحكم. المهم أن فتنة الاشيرتيم بدأت مع بداية حكم الملك ـ الكبير، واستمرت إلى أن أشفق إيل على شعبه وقرّر أن يحول دون سحقه على يد بن ـ داغون (ملك دمشق؟) الذي ساعده، على زعمه، بأن أدخل عبادة آلهة غريبة إلى البلاد: هي عشتار. هذه الآلهة أدخلت معها الرعب (نفهم من ذلك أن حلفاء الملك ـ الكبير أخذوا ينهبون ويسلبون باسمها). سرعان ما أنهكت عشتار قوى العاهل، الذي لم يعد يعرف الراحة. أراد أن يحكم بالكذب، وهو الذي يعلم حق العلم انه لا يستطيع أن يحكم إلّا بموافقة إيل. نتج عن ذلك أن الأمور ساءت الى درجة أصبحت معها حجارة الطرقات تبكي من البؤس... (نقص في النص)...

... كان على الملك ـ الكبير أن يعود نادماً الى مولاه، والتمسك من جديد بتعاليمه. الجيش الذي جمعه الملك تفتت وتبعثر، والملك نفسه أصبح يهدده الموت. الإله قرر مصيره: مثل كل البشر، مثل كل انسان تمت خطوبته عن طريق العذراء عناة، على الملك ـ الكبير أن يموت. هذا الإله، وهو عدو الكبرياء والعجرفة، قرر أن يحني رأس الملك بحيث يذهب ويرقد قرب محبوبته الأرض. ـ شيطان علة الموت صرّح أصلاً بأنه لم يستمع الى شكواه، وإنه سيفنيه، فيطهره بتدميره. توالت الأيام دون أن يتحسن وضع البلاد. ذلك ان الملك ـ الكبير قد ارتبط ببعل، فأصبح لابد من موته بسبب جريمته، قتل بالسيف ذكور عائلته؛ بعضهم قضى في حريق قصره، ومن استطاع الهرب أصبح هائماً على وجهه مثل «المبعدين». كان على الإله أن يرأف بفتيان العائلة المالكة، فيحتضنهم ويحمي

من تبقى منهم، ويبعث الأموات. . . (نقص في النص). . .

تدهورت الأوضاع حتى كادت تبلغ حد الانهيار، فتهيأ للملك الكبير أن إله الجدود يتنبأ له بمولود ذكر، وأن الأمور سوف تسوّى. وبذلك ستلغى العقوبات التي فرضتها الآلهة؛ وتستطيع الجداول نقل الخبر الطيب مع خريرها، الى البلاد البعيدة. تخيل الملك ـ الكبير ان الاله إيل انتزع نفسه من تراخيه، وأن الشفاء المنتظر، أوشك أن يتلقاه. كم أحسن صنعاً باللجوء الى شفاعة العذراء عناة، إذ يبدو ان شفاعتها قبلت. عليه الآن أن يقدم لها الخضوع بالمذلة. وبالحقيقة، انتشر الانطباع بأن الازدهار أخذ يعود الى سابق عهده. العذراء عناة، التي تحكم «بالرفش» حققت المعجزة، على ما يبدو، فتحسن انتاج الحقول، والأرض المخصصة للاله انتجت ما يكفي، مما لاحاجة معه لاثقال كاهل الشعب. لكن الملك ـ الكبير لم يتجاوب مع الوضع الجديد، فاستمر في ضلاله وحافظ على علاقته بالمحظية الاجنبية. عند ذلك ادارت عناة، الخطابة، وجهها عنه وأفهمته أن «القاضي الذي يُذَلُّ» سيأتي ليسقط التاج الذي وضعه على رأس المحظية، ـ وانها، هي عناة، لن تستجيب بعد الآن لندائه. . . (نقص في النص) . . .

أصبح الملك ـ الكبير وحيداً بعدما تخلى عنه الجميع. صحيح انه قاتل أتباع عشيرات، ببسالة وقتل العديد منهم في معارك بالسلاح الأبيض أو في قتال العربات؛ لكنه استمر بعد ذلك في ضلاله فقربت ساعة موته. كان يستطيع التخلص من أخطائه، فيبعدها بالسيف أو يحرقها بالنار أو يسحقها تحت المسحق أو يدفنها في الحقول، أو ينثرها في البحر. ـ غير ان الملك تردد وراوغ واستمر في طريق الخطأ. . . (نقص في النص). . .

. . . أصبح مؤكداً ان الملك ـ الكبير سيموت، بسبب أفعاله الشنيعة، بسبب كل ما فرضه على شعبه. سيموت بسبب جريمة قتل إخوته السبعة. ـ شعر الملك ـ الكبير فجأة بالندم، فأخذ يتوسل الى بعل لعله يعيد اخوته الى الحياة. لكن الشعب ثار عند سماع ذلك. كرر الملك صلاته لإله الجحيم، فتحركت مشاعر الجمهور المحتشد. أخذوا يرجمونه كما ترجم الجواميس قبل ذبحها؛ ثم

هاجمه الجمهور، فعضّه البعض كما يعضون «من يعيش في العار»؛ ألقوا به أرضاً وداسوه بأقدامهم كما تداس جبهة العظاية (أو الأفعى). أصيب بجراح قاتلة، وهو يستمع الى سخرية الجمهور، . . . (نقص في النص) . . .

وقد يكون ان أشفق عليه أحدهم فنقله الى مكان منزوٍ حيث يمكنه أن يموت بسلام.

. . . كانت لحظات الملك ـ الكبير الأخيرة رهيبة. لم يجد من يداوي جراحه؛ وإذا ما تناول الخبز ليأكل، يصبح الخبز مدوداً في يده. نصحوه بالخمر، فكانت النهاية. رفض العلاج والطبابة. مات. أصبحت الأموات تحيط به، وهو الذي عاش برفقة الآلهة. لا رفيق له في العالم الآخر إلّا الشياطين من حراس الموتى ولا يعرف منهم إلّا مرشد الأموات. أصبحت روحه تعيش في الظلمات، في أعماق البحر. هناك، في أعماق المهاوي، يستطيع الآن أن يفكر بالزواج والانجاب، كما يستطيع حارس الموتى ومرشدهم أن يعلمه تقاليد وأعراف العالم الآخر.

يتضمن هذا النص وصفاً لعهدين مختلفين: عهد الملك ـ الكبير وعهد نقمد. حضارتان مختلفتان تماماً عن بعضهما، رغم قلة الفاصل الزمني بينهما. لابدّ من التوقف عند هذه النقطة الهامة، وأخذها بعين الاعتبار عند تقييم المعطيات الواردة في هذا الفصل:

البلاد والناس: الملحوظة الواردة في آخر النص تذكر اسم البلاد التي كان يحكمها الملك «نقمد» حيث كان العثور على هذه اللوحات: انها أوغاريت «راس شمرا». إن هذا التعبير ـ التسمية يعني «الحقول» لذلك فإنه من الصعب معرفة ما إذا كان تعبير «ي ر ج» يعني «كل الأرض»، أم انه يعني «الأرض الصالحة للزراعة» (= مرادف لفظة أوغاريت)، أم انه ينطبق على البلاد بأسرها. أما شيمرون (؟) فهي على الأرجح، بلد نقمد الأصلي. هذا ويمكن ـ وهي مجرد فرضية ـ أن تكون شيمرون عبارة عن تحريف لاسم إحدى المدن القبرصية (CURIUM, CITTIUM?). نلاحظ على أي حال انه لم يرد ذكرلوالد نقمد، كما أن هناك مؤشرات تجعلنا

نعتقد ان هذا العاهل لم يكن ينتمي الى العرق السامي.

في عهد الملك ـ الكبير كان سكان البلاد من الكنعانيين، «شعب السيد»، «شعب إيل»؛ وكان يعيش بينهم عدد من الغرباء لهم نفوذهم في الحكم. من المرجح ان الملك ـ الكبير اتخذ لنفسه خليلة أجنبية لأسباب سياسية؛ مما أثار شعور الكراهية لدى الكنعانيين (أمثال ٥/٢٠). أما شعب بن ـ داغون (دمشق؟) الذي جاء لنجدة الملك ـ الكبير، فيبدو انه هزم بدوره. كان الدمشقيون كثيري النشاط والجلبة، مما لم يألفه الكنعانيون، فأدت كثرة المشاكل إلى إنهاك الملك ـ الكبير. الاشيرتيم يرد ذكرهم بالاسم خلافاً لغيرهم من أعداء الملك ـ الكبير، وبدأ تمردهم مع اعتلاء العاهل عرش البلاد.

الحكم والادارة: لا يأتينا هذا النص بجديد حول أسلوب الحكم في عهد الملك ـ الكبير. عندا اعتلى «نقمد» العرش كان قد تم اقتطاع الكثير من أراضي البلاد. يتردد كثيراً في النص، أن «منزل» السيد تم تقسيمه. يبدو ان نقمد، المقاتل الأجنبي، لم يمارس صفة الكاهن التي كانت ترتبط بالعاهل «السيد الأعظم»، أيام حكم الملك ـ الكبير؛ وكأنه تم فصل السلطة الروحية عن السلطة الزمنية في عهده. بقي «نقمد» سيد بلاده الأصلية ولكنه في أوغاريت كان الملك فقط، بينما أصبح إيلي ميلكو، رئيس مقدمي الذبائح والمطهرين. وعلى ذلك فإن نظام «نقمد» يختلف تماماً عن نظام سلفه، القائم على السلطة المطلقة؛ هذه السلطة التي لا يحد منها إلّا ضجيج تظاهر الجماهير. مبدأ استمرار الحكم بقي قائماً صورياً، رغم تغيير السلالة، مما جعل العاهل الجديد يقوم بتكريم ذكرى سلفه. ـ وقد يكون بالغ في ذلك أكثر مما لو كان والده (مزامير ١٠٩/٨).

الجيش: كان الملك ـ الكبير «يجمع جنوده جمعاً». يبدو انه كان يقاتل على عربة (؟) ويحمل سلاحاً يستطيع معه «تحطيم» كتف خصمه. الخصوم كانوا يحملون سيوفاً. يبدو ان المعارك كانت دامية.

موارد البلاد: كثيراً ما يتردد ذكر الخبز والدقيق والرحى ومواسم الزرع. يرد ذكر «الرفش» كأداة زراعية. ورد ذكر الحدائق بالمعنى المجازي. يبدو ان البلاد كانت

تعرف نوعين من الملكية العقارية: الحقول التي يمتلكها الأفراد وحقول «إيل» التي تعود ملكيتها الى الهيكل أو الى الملك. إذا كانت إيرادات هذه الحقول غير كافية، يصار الى تسديد العجز عن طريق فريضة يدفعها الأفراد (؟).

في عهد الملك ـ الكبير كانت الجواميس حيوانات نصف متوحشة يصطادونها عن طريق رجمها، على الأغلب، مثلما كانوا يرجمون الثيران (انظر IIIRP, IIAB . وأيضاً أشعيا ٣٤/٦-٧). العظايا (الحراذين) أو (الأفاعي؟) حيوانات ضارة يتم قتلها بسحق جبهتها. في عهد «نقمد» يرد ذكر خمس حيوانات داجنة أو شبه داجنة يمكن تقديمها كأضاحي: الثور، الخروف، الأيل، الظبي، الوعل.

المسكن: مما يلفت النظر انهم كانوا يرصفون الساحات العامة. يستعملون تعبيراً مثل «باتس كالحجارة». في أحد المقاطع يرد ذكر المسكن ويعبرون عنه بلفظة «خيمة» وهو المكان الذي تقيم فيه خليلة الملك ـ الكبير؛ وقد يكون ورد هذا التعبير هنا بمعناه المجازي.

الأثاث: ورد في النص ان الملك ـ الكبير يسند رأسه، ولكنه لم يرد ذكر لمسند ما.

الحليّ: يبدو ان الملك وضع تاجاً على رأس خليلته. وقد يكون المعنى مجازياً (مزامير ٣١/٤؛ ٨٩/٤٠؛ أيوب ١٩/٩).

الحياة العائلية:

آ ـ **الولادة**: ولادة ذكر كانت تعتبر فألاً حسناً، وقد تلغي لعنة الآلهة. تعتبر هذه الولادة حدثاً عظيماً بدليل ان الجداول، في خريرها، كانت تنقل النبأ السار.

ب ـ **الزواج**: الآلهة عناة هي التي تعقد الزواج بين البشر. يستعملون تعبير مثل «كل من تزوجهم العذراء عناة» للاشارة الى النساء والرجال معاً. أولئك الذين لم يتزوجوا على الأرض، يتزوجون بعد موتهم، في الجحيم، بين الظلال. المحظية

التي تأتي من طبقة اجتماعية أدنى، ولو كانت رئيسة العبيد، لا تقيم في منزل السيد؛ بل تقيم تحت الخيمة(؟).

ج ـ **البنوّة**: ينتسب الأبناء لآبائهم، غير انهم يأخذون أيضاً بعين الاعتبار نسب الأمهات. أبناء أم واحدة يعتبرون أقرب لبعضهم البعض مما لو كانوا من أب واحد فقط. قتل الأخوة الأشقاء يشكل جريمة أفظع مما لو كانوا أخوة لأب واحد.

العالم الخارجي: حجارة الطرقات، كما رأينا، تصلي وتبكي وتنوح (أيوب ٣٨/٣١). الجداول (كالأنهار) تتنبأ وتنقل الأخبار الطيبة مع خريرها، الى الأماكن البعيدة. نلاحظ التقارب بين لفظتي «تدفق» و«تنبأ» (أمثال ١٨/٤).

الجسد البشري: يبدو انهم كانوا يعتبرون الكتف مركزاً حيوياً هاماً في الجسد. بغية استنطاق الميت، يحملونه (!) على الكتف (؟) (أيوب ٣٦/٣١) (أو يحملون نصبه؟)؛ يضربون العدو على كتفه أيضاً عندما يريدون قتله. والجبهة أيضاً كانت مركزاً حيوياً، فيقتلون «الحردون» بضربة على جبهته. القلب مركز بعض العواطف: «قلب تائه»، «قلب حزين»، «قلب بائس». يضعون أقدامهم على منضدة للاستراحة؛ أما الراحة الفكرية فيعبرون عنها بقولهم «أسند رأسه».

الطبابة: المرض من فعل الشيطان؛ وهو على أنواع. فهناك «مرض الموت» كما ان هناك «الأمراض غير القابلة للشفاء». يقارنون بين الأطباء والـ «ي ل ن ي م»، وهو تعبير لم نستطع ترجمته بشكل مرضٍ. إذا استولى الرعب على الطبيب فإن ذلك يعني ان المرض لن يشفى. يعتقدون أيضاً ان المرض ينتقل الى كل ما يلمسه المريض، حتى ان الخبز يفسد إذا لمسته يد المريض (أيوب ٧/٦؛ ٢٠/٣٣). في مثل هذه الحالة ينصحون المريض بشرب الخمر لكي يموت وهو في حالة سكر. بالنسبة للجروح يرد ذكر للجرح الطري (الذي لم يلتئم).

أشكال الروح: الروح غريبة عن الجسد نوعاً. وقد تكون مرتعاً لبعض الشياطين، ممن يجب إكرامهم عملاً بمفهوم ظل غامضاً، عندما تكثر روح الانسان من الضجيج، تنزعج الآلهة؛ وعلى الانسان في هذه الحالة أن يذهب ويستريح قرب الأرض.

الموت: نلاحظ في النص وجود أفكار مختلفة كلياً عن بعضها البعض، بالنسبة للموت وللعالم الآخر.

آ ـ في عهد الملك ـ الكبير، عندما يدفنون الميت، يقولون انه «يستريح قرب محبوبته الأرض». وهناك تتوقف روحه عن الضجيج ـ على ان شكلاً آخر لروحه كان يعيش حياة ثانية في أعماق البحر، في مملكة بعل، جميع الأموات يصبحون شهوداً على تصرفاته وأفعاله (مزامير ٨٢/٦-٧؛ أشعيا ١٤/٩)؛ وحراس الموتى هم رفاقه؛ أما مرشد الأموات فيقوم بتعليمه حكمة جديدة. في العالم الآخر يستطيع الميت أن يخطب ويتزوج وينجب أولاداً، يكونون من عالم آخر، وأحدهم مثل الطرح، لا يرى النور إطلاقاً.

ب ـ أما المعتقدات التي أدخلها «نقمد» فإنها تتضمن طقوساً لعبادة الأموات، قد تكون أيونيّة الأصل. حسب هذا المفهوم الجديد، يرقد الميت تحت التراب تشده أفعى صلّ أو حيّة أسطورية). من المناسب دفن اليت وتقديم بعض القرابين (خبز، دقيق، خمر) إلى آلهة الأرض؛ وكذلك إطعام الميت الذي يقيم في الظلمات بتقديم الذبائح وصب الخمر على الضريح. يقدمون أيضاً بعض القرابين للنُصب الجنائزية في الغابات (أيوب ٣١/٣٩).

العدالة: عدالة البشر كعدالة الآلهة تتم بسرعة وبدون تروٍّ. الملك ـ الكبير قتل اخوته السبعة بدون تردد. عاد وندم على فعلته، فاعتقد الشعب أنه هو الذي يجب أن يكون أداة انتقام الآلهة فقضى على مليكه. يرجمون الانسان كما ترجم الجواميس، يضربونه على جبهته كما يحطمون جبهة العظاية؛ يعضّون الضحية كما يعضّون من يكسوه العار (مزامير ٣/٨). هذا مع العلم ان إقامة العدالة على هذا الشكل، خطيئة تستوجب مغفرة الآلهة. يتصرفون تجاه الخطايا كتصرفهم تجاه الجاني، ولكن بشكل رمزي؛ فينصحون بردّها بالسيف، وحرقها بالنار، وسحقها تحت الرحى، ودفنها في الحقول، ونثرها في البحر (مزامير ١٨/٤٣) ـ وقد يذكرنا ذلك بعادة كانت متبعة بالفعل، تقضي بكتابة هذه «الخطايا» على لوحة ثم يمارسون على اللوحة الأفعال المذكورة أعلاه.

هذا ويبدو ان العبرانيين أخذوا هذه العادة عن الكنعانيين، ولكنهم اكتفوا بتحميل خطايا الشعب كافة، لتيس من الماعز يطردونه الى الصحراء. وبعد ذلك يصار الى غسل الأيدي والأرجل كما تقام عملية حرق وترميد ذبيحة (لاويين ٧/٦-١٠، ٢٠-٢٨).

الآلهة: هنا أيضاً يرد ذكر ديانة الملك ـ الكبير كما وردت في فصول سابقة. إيل يحكم بدرجة أعلى من الملوك، ولا يستقيم الحكم بدون موافقته. يفرض على الملوك «الأخبار السيئة» ولكنه يستطيع أن «يمحوها» ويستبدلها «بأخبار جيدة». وهو «القاضي الذي يذل»، والذي يستطيع أن يقلب عرشاً وأن ينتزع تاجاً. عناة تبدو هنا بثلاثة وجوه. عناة الخطّابة أرادت أن تزوّج الملك ـ الكبير فيُرزق ولداً. بصفتها آلهة زراعية، تملك «بالرفش» وتأتي المعجزات، فتنتج الحقول أكثر من حاجة الشعب. وهي أخيراً ترفض القيام بدور الوسيط لدى إيل، لأنها متعبة، كما تدعي، من «إضافة المزيد من العزّة». بعل، بصفته ملك الموت يُطلب اليه إعادة الحياة للفتيان الذين اغتالهم الملك ـ الكبير.

بالنسبة لديانة بن ـ داغون، تظهر آلهة اسمها «عشتار» وهي تبعث الرعب في النفوس وتسحق الملك ـ الكبير. قرّرت ألّا يذوق الملك طعم الراحة، قررت إنهاكه. ـ إن صورة عشتار هنا، لا تتفق مع ما نعرفه عن هذه الآلهة. يبدو أن المؤلف، رغبة منه في التركيز على الدور السلبي الذي تركه تدخّل دمشق (بن ـ داغون)، حمّل هذه الآلهة ما يناسب هواه.

ويبدو أيضاً أن ديانة «نقمد» تختلف بشكل واضح عن ديانة الكنعانيين. نرى الشاعر ـ المنشد ينصح الملك الجديد بتكريم آلهة البلاد القديمة، كما نلاحظ أن «سيد» شيمرون لم يكن أكثر من «ملك» أوغاريت؛ أما نصب رئيس المطهرين ومقدمي الذبائح فيعود الى أحد سكان البلاد الأصليين: إيلي ميلكو. ونقمد يؤمن بعبادة الموتى مما لم يكن معروفاً في ظل الحكم السابق، كما يؤمن بعبادة بعض آلهة الأرض بصفتها تقوم بالوساطة بين الأحياء والأموات. إن فكرة البحث عن آلهة في بطن الأرض ليست بالتأكيد فكرة كنعانية، كما وأن الاعتقاد بوجود أفعى تحت

الأرض تشد وتضيق على جثة الميت لا تصدر عن عقلية ساميّة.

الأوثـــان: كان نقمد يعترف بعادة إقامة تماثيل ونصب في الغابات. وهذه العادة كان يمارسها الفلسطينيون أيضاً، والملك ـ الكبير حاول أن يقضي عليها (I'AB). وهذه النصب كانت تقام، على الأرجح، للملوك (؟) بعد وفاتهم. كانوا يقدمون لهـذه النصب القـرابين، وقـد يحملونها على الأكتاف (؟) ويطوفون بها، عندما يرغبون باستحضار الأرواح ومناجاة الموتى.

الشياطين: بعض أبناء الايليم من الملائكة، يحملون معهم الموت. والموت في هذه الحالة يوصف «بالأبيض» (أو الأحمر)، ويأتي لتحطيم الكبرياء والمبالغة في تمجيد الـذات. ذلـك لأن روح الانسـان الحي يمكن أن ترتـع بداخلهـا بعض الشياطين التي ترتاح للكبرياء والعجرفة؛ لكن ذلك لا يكفي لتأمين حياة طويلة لمن يمجّد نفسه. ونجد بين شياطين بعل الشيطان الذي «يجلب العمى» أو ذلك الذي «يجعـل الشفـاء مستحيلاً». هذا الشيطان «يحطم بالتدمير المطهر»، ما أفسدته الشياطين الأخـرى. إن حراس المـوتى (بصيغـة الجمـع!) ومـرشـد المتـوفغين لا يظهرون إلّا في العالم الآخر، ومهمتهم تقضي بالسهر على الميت وإطلاعه على عادات وأعراف الحياة فيه.

العبـادة: التفـاصيل قليلة في هذا النص حول أصـول العبادة لدى الكنعانيين: صلوات وابتهـالات موجهـة الى الآلهـة والشياطين من قبل البشر وحتى من قبل الحجارة. هنا اشارة أيضاً الى التطهير بواسطة التدمير (مما يشابه التعبير الأكادي «تطهير بواسطة العقار». ـ أيضاً أشعيا ٤/٤). عبادة الجدود تنتقل من الأب الى الابن. شعلة المنزل لا تنطفىء مادامت عبادة الأجداد قائمة (IID).

بقيت طقوس العبادة القديمة مقبولة في عهد نقمد واستمر مقدمو الذبائح والمـطهـرون المحليون يمارسون عملهم برئاسة «رب» (RB)؛ علماً بأن العاهل الجديد كان يمارس عبادة الموتى. وهي تقضي بتقديم الخبز والدقيق للتماثيل في الغابات، وذبح الذبائح وصب الخمر على القبور لكي «يشرب» الموتى في العالم الآخر. ـ يرجح أن دم الذبائح كان يهرق أيضاً على القبر، كان للأضاحي أهمية

كبيرة: فالحيوانات تذبح سبعة أو بمضاعفة هذا الرقم. بالاضافة الى الثور والخروف يذبحون أيضاً الماعز البري (الوعل)، والأيل، والظبي (يصطادونها حيّة على الأرجح). نلاحظ هنا ان ذبح الوعل والأيل والظبي، لم يكن معروفاً، فيما نعلم، في عهد الملك ـ الكبير. هناك أيضاً اشارة لبعض الطقوس مما يصعب تفسيره (حرث شيء ما كما تحرث الحديقة الخ . . .). الصلوات غير موضحة هنا، علماً بأنهم كانوا ينشدون شكاوى الأموات (؟).

استحضار الأرواح: شاعت في عهد الملك نقمد، عادة استحضار الأرواح الى درجة يمكن معها القول بأن هذه العادة أصبحت جزءاً من الديانة الرسمية. يعملون على إيقاظ روح الميت (أشعيا ١٩/٨؛ ٣/٩١) ويقومون بالبكاء المصطنع، والشكاوى الخ . . . بينما كان الهدف الحقيقي هو الاستيلاء على قدرات الميت. وهذه الطقوس، التي يصعب فهمها، تختلف كثيراً عن استحضار الأرواح الذي يمارسونه في عهد شاوول (صموئيل الأول ٢٨ . ـ).

المعتقدات:

آ ـ **الكلمة**: للكلمة قوة تعادل قوة الحكم القضائي. الإله إيل نفسه، عندما تصدر عنه «أخبار سيئة» لابد له من القيام بعملية تطهير، قبل إلغاء مفعولها.

ب ـ **الدهان**: يستطيع إيل أن يحمي الانسان من السوء «بدهنه من جديد». يمكن البحث عن معنى هذا التعبير في بعض المقاطع الفاسدة من العهد القديم، وأيضاً في طريقة استخدام الألوان لدى الشعوب البدائية*؛ علماً بأنه لا يستبعد انهم كانوا يعتقدون ان بعض الألوان، مثل الأرجوان، تتمتع بقوى سحرية (راجع NS).

ج ـ **سر الأرقام**: رأينا أن أخوة الملك ـ الكبير كانوا سبعة، ونعثر على نفس الرقم في لائحة الأضاحي التي يقدمها نقمد. وهنا لابد لنا من الحذر، لأن نفس التعبير

(*) الفولكلور في العهد القديم فريزر (FRAZER) . باريس ١٩٢٤.

يمكن أن يعني سبعين. غير ان ذبح سبعين أيلاً من الأمور المستبعدة، كما وأنه من الصعب تقبل فكرة ذبح /٣٥٠/ ذبيحة، لذلك نميل الى ترجمة هذا التعبير «بمضاعفة السبعة» أو «بالكفاية». عدد أنواع الذبائح خمسة: نوعان منها هي من الحيوانات الداجنة (البقر والغنم)، وثلاثة من الحيوانات الطليقة (الوعل، الأيل، الظبي).

الأسلوب والشعر

إن هذا النص أجمل ما ورد في أخبار الملك ـ الكبير. إن الشاعر هنا يحلق، منذ المطلع الموجه الى العاهل الجديد حتى الخاتمة التي يخاطب فيها الميت مصوراً له ما آل اليه من سقوط في العالم الآخر. وهذا الفصل يلخص الفصول السابقة، فيبتعد عن أسلوب الرواية وينصرف الى الاعتبارات الفلسفية ليضعها على مستوى الغيبيات الإلهية. نلاحظ هنا تعاقب طلبات الشعب البطيئة والمكررة في صلواته، مع نبوءات الآلهة والشياطين الجازمة، كما نلاحظ معالجة ونمو موضوع عشتار، وكذلك موضوع عناة بموازاته. لا شك أن قصيدة ايلي ميلكو هذه يمكنها أن تحتل مكانها بين أروع درر الآداب القديمة.

إن هذا الفصل يتضمن أيضاً سياسة الملك ـ الكبير الداخلية بكاملها، وهي معروضة من باب الاصلاحات الدينية التي كان ينوي إدخالها الى البلاد. هذه الاصلاحات كانت ترتبط بمصير حركة عبدي ـ أشيرتا وما رافقها من فوضى. فالملك ـ الكبير من جهة، قام بتتويج عبدة من عبيده، فجعلها خليلته الرسمية، بقصد استمالة بعض العناصر الأجنبية اليه. ومن جهة ثانية تحالف الملك مع بن ـ داغون (من دمشق؟) الذي أدخل الى البلاد عبادة الآلهة عشتار. حاول الملك، في البداية، اعطاء الأولوية لعبادة الآلهة عناة، ولكنه سرعان ما ثبّت عبادة بعل، بغية استمالة عناصر الشعب غير المتعصبة لعبادة إيل وعشيرات، في الأغلب. قضى على اخوته خوفاً من معارضتهم لمشاريعه. ربما كان يستطيع إعادة توحيد

شعبه فيما لو حالفه الحظ في ألمعارك. لكن الحظ لم يحالفه، فمني بالهزيمة تلو الأخرى. قامت حركة عصيان ضده، فأدت إلى موته.

من الصعب معرفة ما كان عليه حكم الأجيال اللاحقة على تصرفات هذا الملك، وذلك لأن المعلومات التي وصلتنا لا تفي بالغرض. نراهم من جهة يكرمون ذكراه الى حد ما، ولكننا في نفس الوقت لا نعثر على أي شيء يدل على الرثاء لحاله، حتى ولا على تفهم لوضعه؛ وذلك رغم البكاء (الرسمي) عليه، ورغم الميتة الشنيعة التي ماتها. يلومونه على اضطهاد شعبه، وعلى خراب البلاد؛ ويرى إيلي ميلكو، بالنتيجة، أن الملك ـ الكبير كان يستحق المصير الذي آل اليه.

استطراد

إن أخبار الملك ـ الكبير تطرح عدداً من الاشكالات. قبل أي شيء، نلاحظ عدم ذكر اسمه. ويمكن الاعتقاد ان الكنعانيين قرروا إهمال ذكر اسمه بقصد أن يطويه النسيان؛ كما يمكن أن تكون هناك لوحات أخرى تأتي على ذكر اسمه، وقد يتم العثور عليها مستقبلاً. ثم ان الملك قاتل العبرانيين، وعاد فقاتل يهوذا، ومن المفروض أن يرد ذكره في النصوص التوراتية. ـ ان مراسلات تل ـ العمارنة، تسمح لنا الآن بتصور أكثر دقة من ذي قبل، ما كان عليه وضع فلسطين في نهاية القرن الخامس عشر. لكن النزاع لايزال قائماً حول ما إذا كان «الهابيرو» (الذين يرد ذكرهم في هذه المراسلات) هم نفس العبرانيين. أما اليوم فإن نصوص رأس شمرا تسمح لنا بمراجعة الموضوع من زاوية جديدة. ـ بالنسبة للبداية التاريخية المعروفة للعبرانيين. ـ زمن دخولهم أرض كنعان ـ يمكن الرجوع الى سفرين من أسفار العهد القديم هما: سفر يشوع وسفر القضاة. إذا عدنا الى هذه المجموعة الأخيرة نجد ان عناصر عديدة تأتي من التقاليد العبرانية؛ ولكننا نجد أيضاً عناصر مأخوذة عن التقاليد الكنعانية تم دمجها، مع تعديلات طفيفة جداً، في التاريخ العبراني. لوحظ فيما سبق وجود العديد من الروايات المزدوجة للكثير من الأحداث في العهد

القديم، كما لوحظ أن بعض الوقائع التي وردت وكأنها متتابعة، كانت في الحقيقة متزامنة. غير انه لم يكن بالامكان التوصل الى منهجية ثابتة نسبياً لتمييز هذه النصوص عن بعضها البعض. بالنسبة لكتابة العهد القديم كان هناك المحررون اليهويون (J) والايلوهيون (E)، بالاضافة الى الكهنوتيين (P, P2 الخ . . .). ولكن، ما هي المصادر التي استقوا منها معلوماتهم؟ هناك فرضيات مختلفة جداً حول هذا الموضوع، نتجت بسبب عدم وجود منهجية تسمح بالتعرف على أصول هذه التقاليد. أما الآن، بعد ترجمة نصوص رأس شمرا، فإن الطريق لمتابعة هذه الأبحاث أصبح واضحاً.

إن مدلول العدد، ظاهرة نفسية بالغة الأهمية، يفترض أن تسمح لنا بالتمييز بين عقليات مختلفة عرقياً، وذلك حسب العدد الذي يتمتع بالأولوية في النص، علماً بأن أهم هذه الأعداد هي: /٣، ٥، ٧، ١٠، ١٢، و٤٠/. ففي العهد القديم نستطيع أن نعتبر أن أي نص يتأثر بأحد العددين /٥/ أو /١٠/ نصاً يعود الى التقاليد العبرانية الصرفة. أما النصوص التي يأخذ فيها الرقم /٣/ أهمية فائقة، فإنها تعود الى عنصر غريب قد يكون حثياً أو حورياً؛ بينما يمكن القول ان العددين /١٢ و٤٠/ يدلان على أن هذه التقاليد ميزوبوتامية الأصل. أما تلك التي تعطي الأولوية للرقم /٧/، فمن الواضح اليوم انها كنعانية، أخذها وتبناها أسياد البلاد الجدد. ـ ونذكر هنا أن «التكوين» الايلوهي وكذلك بعض سمات قصة «قايين ولامك» (تكوين ٤/١٥، ٢٤؛ ٥/٣١) تعود الى مجموعة /٧/، كما إن هناك روايتين لقصة الطوفان، أولهما (تكوين ٦/١٠، ١٥، ١٦) تعود لمجموعة /٣/؛ بينما تعود الثانية (تكوين ٧/٢، ٤) للمجموعة /٧/. وقصة زواج اسحق (الذي تم في بلاد ما بين النهرين (ميزوبوتاميا)، ولكنه يعود الى التقاليد العبرانية الصرفة) (تكوين ٢٤/١٠، ٢٣، ٥٥) فإنه يعود الى المجموعة /١٠/، بينما يعود زواج يعقوب الى المجموعة /٧/ (تكوين ٢٩/١٨، ٣٠؛ ٣٠/٢٠-٢١)؛ علماً بأن بعض السمات المميزة لقصة يعقوب تعود الى المجموعة /١٠/ (تكوين ٣١/٤٠؛ ٣٢/١٤-١٥). وفي قصة يوسف نجد ان تفسير الأحلام الأول يقع

تحت تأثير المجموعة /٣/ (تكوين ٤٠/١٠، ١٢، ١٣، ١٦، ١٨ و ١٩)، بينما يقع الثاني تحت تأثير المجموعة /٧/ (تكوين ٤١/٢-٤، ٥-٧، ١٧-٢٤، ٢٦-٣١)؛ الخ . . .

في سفر القضاة نعثر على مصدرين غير عبريين، أحدهما تحت تأثير العدد /٣/ والثاني تحت تأثير العدد /٧/.

هذا ويعود الى المجموعة /٣/، بين ما يعود اليها، الآتي :

آ ـ لمحة عن سيرة شمجر الذي هزم /٦٠٠/ فلسطيني (٣/٣١)،

ب ـ لمحة أخرى حول «يايين» وعرباته التسعماية (٤/٣،١٣)،

ج ـ الاشارة الى «يائير» وأولاده الثلاثين وحميره الثلاثين ومدنه الثلاثين أيضاً (١٠/٤)،

د ـ ما ورد حول «أبصان» وأولاده الثلاثين الذين تزوجوا من ثلاثين أجنبية (١٢/٩)،

هـ ـ ما ذكر عن «عبدون» وأحفاده الثلاثين (١٢/١٤)،

و ـ في قصة شمشون، الأحجية المطروحة على ثلاثين شاباً، وكانت مكافأة حلها ثلاثين قميصاً وثلاثين ثوباً (١٤/١١-١٤)،

ز ـ قصة الثلاثماية ثعلب (١٥/١١؛ ١٦/١٥، ٢٧)؛ الخ . . .

أما ما يعود الى المجموعة /٧/ فهو كما يلي :

آ ـ ما ورد عن «أدوني ـ بازق» والسبعين ملكاً، المقطوعة أباهم أيديهم وأرجلهم (١/٧)،

ب ـ في قصة «جدعون»، تضحية ثور عمره سبع سنوات (٦/٢٥)،

ج ـ العقاب الذي حل بـ /٧٧/ رئيساً من رؤساء «سكوت» (٨/١٤)،

د ـ الغنائم البالغة قيمتها /١٧٠٠/ شاقل (٨/٢٦)،

هـ ـ قصة «جدعون» وأبنائه السبعين (٨/٣٠)،

و ـ قصة «أبي مالك» وهبة مقدارها /٧٠/ شاقلاً لأهالي شكيم (٩/٤)،

ز ـ وقتل اخوته السبعين (٩/٥، ١٨، ٢٤)؛ الخ . . .

واضح اننا هنا أمام عقليتين مختلفتين تماماً يسهل فصلهما عن بعضهما

البعض، مع انهما لا تنتميان الى الحضارة العبرية. ان اخبار ايلي ميلكو الكنعانية تعود الى مجموعة الرقم /٧/، وهي تقترب بالتالي من مصادر قصة جدعون وأبي مالك. قد تعود شخصية جدعون نفسه الى التقاليد العبرانية، لكنه تم دمجه بشخصية أخرى هي شخصية يربعل (قضاة ٧/١، والتفسير المتردد الذي أعطي في ٦/٣٢). ـ هذا مع العلم اننا من جهة أخرى نرى أن أبي مالك ويربعل، وفقاً للتقليد الكنعاني، كانا نفس الشخص، ولكنه شخص رويت قصته بطريقتين مختلفتين. غير ان الكاتب التوراتي، عندما دمج هوية يربعل بهوية جدعون، اضطر أن يبتكر له خلفاً يلصق به بعض السمات الواردة في القصة، مما لم يكن يتناسب مع شخصيته الروائية، فجعل من أبي مالك ابناً ليربعل. وأصبح، على ذلك، من العسير التوصل الى أصول التقليد القديم، استناداً الى النص التوراتي وحده، على اعتبار أن هذا النص تعرض للكثير من التحريف. هذا مع العلم انه، على الرغم من محاولات الكاتب، يتضح ان قصة هذا القاضي لا جذور عبرانية لها، وهي بالتالي لا تتوافق مع القصص التوراتية، وعلى العكس، نجد العديد من نقاط الالتقاء بين قصتي ابي مالك ـ جدعون من جهة، وقصة الملك ـ الكبير من جهة ثانية. فيما يلي بعض هذه النقاط:

آ ـ المعارك عند معابر الأنهار (٧/٢٤؛ ٨/٤)،

ب ـ نسج أفود من خيوط الذهب، بعد صهر الغنيمة (٨/٢٠)،

ج ـ محظية يربعل الأجنبية (٨/٣١)،

د ـ قتل الاخوة. وجاءت الرواية على شكلين:

١ - قتل أخوة يربعل لأمه (٨/١٩).

٢ - أبي مالك يقتل أخوته السبعين (٩/٥).

هـ ـ ردة أبي مالك، وعبادته لبعل (٨/٣٣)،

و ـ لجوء أبي مالك لاستخدام «أشقياء» و «معربدين» (مما يذكرنا بلجوء الملك ـ الكبير لخدمات الشيطان) (٩/٤)،

ز ـ شكيم، يرد ذكرها في وسط القصة،

ح ـ زبول (منزل الملك) يصبح شخصاً «حاكماً» (٩/٢٨، ٣٠)؛ الى ما هنالك من أخطاء في التفسير تضمنتها النصوص التوراتية،
ط ـ لا مبالاة الشعب لموت أبي مالك (٩/٥٤-٥٥)،
ي ـ تجدر الاشارة أيضاً الى الأشجار التي تبحث عن ملك (٩/٨-١٥)، مما يشابه كثيراً النصوص الأوغاريتية؛ الخ . . .

وعلى ذلك يمكن القول ان العديد من سمات قصة جدعون ـ يربعل ـ أبي مالك مأخوذ عن الأخبار الكنعانية، وانه لا يمكن إعادة تركيب هذه القصة، إلّا بالرجوع الى نصوص رأس شمرا، علماً بأن هذه النصوص لم يرد فيها صرحة اسم هذا القاضي.

أخبار عهد الملك ـ الكبير

٢ - هبوط الملك ـ الكبير الى الجحيم.

هذا الجزء من العمود الأول أو الرابع، قام بنشره السيد ش. فيرولّو بعنوان «ثورة كوشر، أو هيجان العناصر» في مجلة سورية عام ١٩٣٥ ص. ٢٩-٤٥. وهو معروف بالرمز (III AB,A)

III AB.

(نقص سطر أو سطرين بالاضافة الى سطرين مشوهين جداً).

. . . ويوم الراحة للتائه، اليوم الذي فيه الصدور . . .
. . . الفرح، خدع الشعب؛ بين صليل السيوف المرعب، افتقدت سلامة العقل
. . . على الأرض ستقع سنديانتي، وعلى التراب سيرتمي الشجر، يا

للأسف!

ـ من فمه لن تخرج صيحة، لن تخرج شكوى من بين شفتيه. ومن أجل أن يمنح الشفاء، يحرك الأعماق، عرش قاع البحر. أجاب، حارس الموتى ومرشدهم:

«اذهب الى مقر بعل! ـ كرر على مسامع راكب الغيوم، وليهاجم أعداءك.

«بالسر، فليهاجم أعداءك. بهجومه عليهم سيطيحهم، سيفنيهم، أولئك الذين يعادونك.

«ستتبع، أيها الملك، طرقك الخفية، شرائع الأزمنة القديمة.

«ولتبق خطوط السلوك مقيدة، لأنه يتطلع بمنتهى الرغبة الى آلام الفوضى. ولتكن لك دعامة تستند اليها،

«لأنه سوف يطرد طرداً، ـ لأنه يصطاد في البحر كما يصطادون في البحر، ـ ذلك الذي من على عرشه

«يقترب لكي يغريه بأساليبه. ستخشى النهاية! بعل مثل الكواسر من الطيور حتى لو كان معزولاً،

«يستطيع أن يسحق بين أصابعه. ـ جانب من مقر البحر يتواجد بين يدي

«قاضي البهجة. ـ وفي خشية النهاية، تم ربطه. ـ وبعل، حتى لو كان معزولاً، مثل الطير الكاسر

«يستطيع أن يسحق بين أصابعه. ـ جانب من مقر البحر هو في يد قاضي

«البهجة، الملجأ. ـ طوال حياتك، من أجل أن ينصحك بالحكمة، من أجل ألّا يتبلل وجهه بالدموع.

«امنحه ثقتك! ولتبق خطوط السلوك مربوطة، لأنه يتطلع برغبة إلى إعلان الفوضى.

«وليكن معـك ما تستند اليه، لأنه سيصبح مراً، ـ مراً كالبحر، مثل مرارة البحر،
«ذلك الذي يقترب من عرشه، لكي يخدعه بأساليبه. ستخشى النهاية!
«وبعل، حتى لو كان وحيداً، يستطيع مثل الطير الكاسر، أن يسحق بين أصابعه. وفي الهبوط الشديد
«الى مقر البحر، بين البؤساء، يتواجد قاضي البهجة. يود أن يخترق أقذار البحر
«ويخفف عن الأرض. ـ ولكنه في خشية النهاية يرتبط، لأن بعل المنعزل،
«مثل الطير الكاسر، بين أصابعه سيسحقه. في الهبوط الأخير من مقر
«البحـر، بين البؤسـاء، يقيم قاضي البهجـة. يود أن يخترق أقذار البحر، ويخفف
«عن الأرض. اجعله ينصحنا! امنحه ثقتك، لو كانت الدموع على وجهه».
سوف يقسو، بعل، ويحرض البحر على قتل قاضي الفرح. ـ
ـ أطلقوا صراخ التهديد في وجه عشتار، والرعب في نفوسهم. ـ العار للسيد الأعظم،
العار لراكب الغيوم، التي تحبس مقر البحر،
وتحبس قاضي الفرح! ـ ولتخرج . . .
وستنتهي (تجف) سلالة السيد الأعظم، و. . .
يوم الوفاة، ستملأ خفية . . .
(نقص في النص)
بطريق الصدفة، كما يحدث أحياناً، اطلعنا على نص، لمؤلف آخر، يعالج أيضاً موضوع عهد الملك ـ الكبير. انه نص مجزأ، وهو عبارة عن اسطورة من نوع

اسطورة «الهبوط الى الجحيم»، يبدو انها دمجت في قصة العاهل الكنعاني.

واضح ان الشعب الكنعاني ينوء تحت الكارثة. هناك اشارة الى يوم راحة، الى يوم كانت فيه الصدور ملأى بالحبور (؟). في ذلك اليوم تم خداع الشعب، وفقد حسه السليم. ـ لعل الموضوع يتعلق بردة الملك ـ الكبير، واللعنة التي حلت عليه، اثر ذلك: فالسنديانة تسقط أرضاً، وبقية الأشجار تسقط أيضاً على التراب. والملك ـ الكبير بدل أن يطلب العفـو، أخذ يستنجد بإله الجحيم الذي يتواجد عرشه في أعماق البحر. ظهر له حارس الموتى ومرشدهم وقال: ان بعل لا يخاطب مثل بقية الآلهة. يتلقى العاهل درساً في الأصول قبل أن يهبط الى الجحيم لتقديم طلباته. بعل يستطيع، بصفته راكب الغيوم، أن يحرر الملك ـ الكبير من أعدائه؛ يستطيع أن يغنيهم، ولكن على الملك ـ الكبير أن يتبع حرفياً التعليمات الصادرة اليه. (يبدو ان عبادة إيل جاءت في أعقاب زمن كانت فيه العبادة محصورة ببعل). على الملك ـ الكبير أن يعـود فيعتنق الديانة السابقة. عليه أن يتمسك بالشرائع القديمة، شرائع الماضي التي لاتزال تمارس في الخفاء. هذه الشرائع يجب أن تحدد خط سلوك العاهل، أن تكون «سنده» الذي يقيه الوقوع في الفوضى والبلبلة. بعـل قوي جداً وقـادر، هو يعـرف ما إذا كان الشخص ينوي خداعه. وإذا كان الشخص لا يخلص له، فإنه يطرده الى البحر، يجعله «مراً بمرارة البحر»، يسحقه. ذلـك ان بعـل، ولو كان منزوياً، يستطيع أن ي يسحق أياً كان بين أصابعه، تماماً كما تستطيع الكواسر من الطيور سحق ضحيتها بين نواجذها. لذلك فإن على من يقترب من بعل، أن يخشى النهاية. وبعل، يسجن «قاضي الفرح» في الجحيم، تحت الماء. على الزائر أن يحذر فيما إذا رأى قاضي الفرح، تعلو وجهه الابتسامة وهو يبادر الى تقديم النصح للزائر، وهو ينصحه بالتمسك بالحكمة مدى الحياة، على الزائر ألّا يصغي اليه، بعل سوف يستاء من ذلك. إن قاضي الفرح يريد أن يحترق غطاء الأقذار الذي يغطي سطح البحر، رغبة منه في العودة الى الأرض؛ وقد يحاول استعطاف الزائر الذي يرى الدموع على وجهه. لكنه، بالحقيقة، مكبل في أعمـاق البحـر، وإذا ما أفلت من قيوده، سيكون في ذلك نهايته. ـ غير ان

الشعب، عنـدما يعلم بأن بعلاً يهدد بالقضاء على قاضي الفرح، يتدخل فيهدد عشتار، وراكب الغيوم ومليكه على السواء. ان ذرية الملك ـ الكبير ستجف (لن ينجب)، ويوم وفاته، . . . (البقية غير متوفرة).

يبـدو ان هذا النص هو جزء من اسطورة قديمة، اندمجت بشكل أو بآخر بقصـة الملك ـ الكبير. وعلى ذلـك فإن المعلومـات التاريخية فيها قليلة جداً. الشعب يتمـرد، ويهدد صارخاً في وجه الآلهة المسيئة وفي وجه مليكه؛ ويموت الملك ـ الكبير دون أن يترك وريثاً. ـ غير ان هذا النص من جهة أخرى، يعطينا معلومات جديدة حول المعتقدات الكنعانية.

الآلهة: لا يرد ذكر في النص لآلهة ما، باستثناء بعل وعشتارت؛ غير انه يبدو ان الشعب الكنعاني كان قد تحول عن عبادتها، رسمياً على الأقل. ـ بعل هو ملك الجحيم، يقيم في أعماق المحيط، حيث يجلس على عرشه ويقابل الناس (أيوب ٣٨/١٦-١٧). يعيش وحيداً، لكن زوجته عشتارت تبقى قريبة منه كما وأن حارس الموتى ومرشدهم يساعده حتى كأنه رئيس تشريفاته. تشمل سلطة بعل كل ما هو تحت البحار. والبحر يطيعه ويغتال كل من يحاول دخول مملكته بالقوة. على أن بعلاً يبقى راكب الغيوم، وإله الحرب؛ وهو بهذه الصفة يستطيع القضاء على العدو.

الشياطين: أهم مساعد لبعل هو حارس الموتى ومرشدهم. من جملة مهامه توجيه من يرغب بالهبوط الى الجحيم لتقديم مطالبه الى الإله.

الجحيم: بعل يحكم قاع البحر (مزامير ٧٧/٢٠؛ ١٠٤/٣). البحر يمثل فكرة المرارة والذهاب بلا عودة (راجع IK ؛ تغطي البحر طبقة من الأقذار (راجع ID)، لابد من اختراقها قبل العوم. الجحيم ينقسم الى أقسام؛ وقاضي الفرح يشغل أكثر هذه الأقسام عمقاً، حيث يتواجد البؤساء.

قاضي الفرح: هو على الأغلب، ذلك الذي يشيرون اليه في نصوص أخرى بقولهم «ذلك الذي يحرر» (IID, IIK)، وهو إله أو نصف إله، يقيم في الجحيم، ويحق له التـدخـل عنـد محـاكمة الميت. بالطبع إذا ما استطاع قاضي الفرح العودة الى

الأرض، فإن الموت يصبح غير وارد على ظهرها. لهذا السبب يحرص بعل على سجنه مقيداً. يبدو انه كان من الصعب على الميت الذهاب الى هذا القاضي الطيب؛ ولكن الزائر الحي، لابد له من مقابلة هذا السجين. والسجين بدوره يستقبل الزائر ببشاشة أحياناً، وينصحه بالتمسك بالحكمة طوال حياته؛ ولكنه في حالات أخرى يستقبل الزائر والدموع في عينيه، رغبة في إثارة الشفقة لدى هذا الزائر. على الضيف ألّا يتأثر بأي من هذه المظاهر لئلا يغضب بعل.

العبادة: الصلوات وحدها هي التي يرد ذكرها في هذا النص: تكرارها يجعل الأمل بسماعها أكبر، الأمل «بإيقاظ» الآلهة. يبدو ان عبادة بعل التي سبقت عبادة إيل - يبدو انها استمرت في عهد الملك - الكبير، على شكل أسرار. كانت عبارة عن ديانة قديمة يمارسونها في «الخفاء» (أيوب ٨/٨؛ ١٥/١٨-١٩؛ ٢٢/١٥-٢٠). بالنسبة لأتباع بعل، كانت هذه الديانة تشكل «خط سير»، و«سند» بشرط الحفاظ على الرابطة مع هذا الإله دون سواه.

يرد ذكر عبارة بعل في العهد القديم، بشكل غريب بعض الشيء، لكن النص يحتاج الى اعادة نظر، والى اعادة ترجمة. على أي حال نرى النبي وهو يلوم الشعب على تعلقه بإله جهنمي، ويدخل في التفاصيل:

أشعيا ٥٧/ ٩-١٠: «وسرت الى الملك بالدهن وكثّرت أطيابك وأرسلت سفرائك الى بعيد وتسفّلتي حتى إلى الجحيم. لكثرة مسيرك أعييتي ولم تقولي يئست. أصبت معيشة يدك لذلك لم تبتئسي».

من أجل القيام بعبادة بعل، كان لابد من العراء (IVAB)، على المتعبد أن يدهن جسمه بالزيت أو بالدهن ثم يتصل بإله الجحيم إما مباشرة (يغطس في البحر)، وإما بإلقاء «تسيريم» في اليم (أشعيا ١٨/١-٢).

الأسلوب والشعر

في الجزء الذي تصدر فيه تعليمات الشيطان، من المرجح اننا أمام نص يعود

الى خرافة قديمة. يدل على ذلك التكرار وأسلوب معين. فالجمل في هذا الجزء طويلة والمفردات فيه قليلة إلى ما هنالك من بساطة في التركيب. أما بقيةُ الجمل، سواء أكان ذلك في مطلع النص أم في أواخره، فإنها تختلف عمّا ذكرناه، ويتضح الفرق بين أسلوب الخرافة وأسلوب القصة التي تم دمجها فيها.

غير انه من الصعب جداً، حتى ولو على وجه التقريب، تحديد زمن شيوع خرافة «الهبوط الى الجحيم». يمكن القول ان كتابة هذه اللوحة، جاءت بعد كتابة أخبار ايلي ميلكو بقليل. يبدو كذلك ان ايلي ميلكو، عندما أدخل في اللوحة (IIAB) قصة «ذلك الذي باع نفسه للشيطان»، أحدث سابقة اتبعه فيها الآخرون. ولابد أن ذلك كان يثير إعجاب مستمعي الشاعر ـ المنشد من الشبان. أما في النص التوراتي فنرى أن قصة الأشجار التي تبحث عن ملك تم دمجها في قصة يربعل ـ أبي مالك. والقصة الواردة في لوحتنا كانت تتضمن بدورها، على الأرجح، درساً أخلاقياً (عبرة)، مثل بقية هذه القصائد التعليمية، إلاّ أن التشويه الذي أصاب النص لا يسمح لنا بتأكيد ذلك.

II . ـ أخبار عهد ×

(وليمة العمالقة)

هذا الجزء من عمود ف لوحة (مؤلفة من أربعة أعمدة على الأغلب) تم نشره من قبل السيد ش. فيرولّو تحت الرمز (III RPB) ، بعنوان «الرفاييم»، في مجلة سورية عام ١٩٤١ ص. ١٦–٣٠. هناك أيضاً جزء من عمود آخر في نفس اللوحة (III RBA) لم نستطع الافادة منه بسبب التشويه.

III RP B

(نقص في النص).

. . . هذا هو ابنك، هذا . . .
اعلم ان هذا الابن هو ثروتك. البؤس قد استولى
على يديك. بشفتيك ستقبل الطفل. الخراب
دمر «شكيم»، على الرغم من أن الاخوة في «شكيم» يخلصون لإيل.
هناك بقيت العزة ولم تبق الكنوز؛ قوى إيل خارت؛
بركاته طويت، ومعها قوى إيل وعونه.
الدمار حل في «شينيك» (؟)؛ ابعث الشفاء، أيها السيد! أسرع، أيها السيد،
أسرع! ـ الكارثة حلت هناك. امنحنا قوة قتالية!
يا مقرّ الملك! أولئك الذين سأقتلهم، أنت الذي يهزمهم!
البؤس ينصب المكائد. لكي تشق ظلمات السماء،
اذبح الأبقار وحتى الخراف؛ ارجم الثيران
وحتى العجول التي اختيرت للآلهة، ـ من أجل أن تتبخر الأحقاد.
أصدر أوامرك بالاستيلاء، ملء اليدين، على ما يعود الى الشعب الغريب؛ لأن الفضة بالنسبة للعبرانيين، هي زيت الزيتون، ـ
والذهب بالنسبة للعبرانيين هو كل ما يسمِّن؛ ـ
من أجل أن يتم تحطيم منضدة «قعيلة» ـ الملوك
تتواجد في «قعيلة». هذا هو اليوم الذي سكب فيه خمر خرابك.
«ماريشا» يضطهدها الأمراء، يضطهدونها بأمر الآلهة،
اضطهاداً مهيناً. ـ مضطهداً ومدمراً،
أصبح لبنان؛ «ماريشا» سقطت أرضاً. الإله أدار وجهه. ـ
ـ يوم، يومان والعمالقة يأكلون،
ويشربون؛ ثلاثة، أربعة أيام، خمسة
ستة أيام والعمالقة يأكلون
ويشربون. غرفة الطعام تسودها البهجة.

لكن قلوبهم تنقبض في صدورهم وتخور قواهم في اليوم السابع.
. . . . السيد الأعظم.

(نقص في النص).

هذا النص يتعلق بأخبار عاهل محلي، كان على الأرجح حليفاً أو تابعاً للملك ـ الكبير، أيام حربه مع العبرانيين. هذا ويبدو أن قصة هذا العاهل، تكاد أن تكون خالية من الجو الاسطوري الذي أحيطت به قصة الملك ـ الكبير.

هذا العاهل الذي كان يعتبر أن ابنه هو ثروته، لا يتيسر له الاهتمام الكافي بهذا الابن، لأن واجبه يدعو الى أمور أهم. ذلك أن الكارثة حلّت بالبلاد. الملك يقبّل ابنه على جبهته، قبل أن يغادر الى إغاثة المدن المنكوبة، وفق تعليمات سيده. البلاد حلّ بها الخراب، لأن إيل طوى بركاته عنها، ورفض تقديم العون لها. غير ان الشعب بقي واثقاً بمليكه، وهو على استعداد للقتال. أولئك الذين سيهزمهم الملك، يستعد الشعب للقضاء عليهم في «شكيم» التي حل فيها الدمار، بقي «الأخوة» على ولائهم لإيل. ورغم ما أصاب المدينة، ورغم فقدان كنوزها، حافظ السكان على كرامتهم ولم يستسلموا. وفي «شينيك» (؟) أيضاً تكرر نفس الوضع. وعلى العكس، فإن بعض المدن مثل «ماريشا» تم تدميرها كلياً وأصبحت قاعاً صفصفا؛ لبنانم بكامله دمره الغزاة. أما «قعيلة» فإن العدو استقر فيها وجعلها مركزاً له.

كان الوضع على هذا النحو، عندما تقرر أن يذهب الملك (×) للنجدة. نصحوه بتقديم العديد من الذبائح، استعطافاً للآلهة: بقر، ثيران، عجول وخراف. اقترحوا عليه جمع ما كان بين أيدي الشعب من ذهب وفضة، لعله يستطيع الغزاة بالعدول عن الحرب. ذلك ان العبرانيين كانوا معروفين بتعلقهم بالمعادن الثمينة: الفضة في نظرهم هي الزيت والذهب هو كل ما يسمّنهم. ذهب الملك الكنعاني الى «قعيلة» حيث كان مقر ملوك الأعداء، راغباً في السلم. يرد ذكر هؤلاء في النص، على انهم من «العمالقة»، لكن الحقيقة، على الأرجح، هي ان الكاتب أراد إعطاءهم هذه الصفة مبالغة في تضخيم انتصار العاهل الكنعاني عليهم. مصير

كنعان كان سيتقرر في «قعيلة»، حيث كانت المائدة معدة وحيث كان سيصار الى صب خمر الدمار للمغلوب. ملوك العبرانيين وقادتهم العسكريين يحتفلون بالنصر، بانتظار اليوم الموعود؛ حول وليمة فاخرة. أكلوا وشربوا خلال ستة أيام، وفي اليوم السابع انقبضت قلوبهم وغلبهم السكر، فارتموا أرضاً. وجدهم العاهل الكنعاني على هذه الحالة. ولا يستبعد (النص هنا تعرض لتشويه كبير) أن يكون الملك ـ الكبير لبلاد كنعان، تواجد بنفسه في «قعيلة» هو الآخر. . . (الباقي مفقود). . .

يمكننا هنا أن نفترض ـ وفق نماذج أمثال هذه الروايات ـ أن الملك أمر بقطع رؤوس هؤلاء السكارى كافة. . . ثم غادر «قعيلة» الى جهة أخرى.

لا شك ان الخرافة أحاطت برواية انتصار الملك (×)، ولكن هذه القصة بنيت على أساس أحداث حقيقية. وقد يكون أن الملك ـ الكبير لم يكن سيئاً الى الدرجة التي صوره لنا فيها ايلي ميلكو. هذا ولابد انه خلال حروبه، استطاع أن يحقق بعض الانتصارات.

البلاد والناس: يرد ذكر عدد من المدن في هذا النص: «شكيم» قد تكون المدينة التي جمع فيها يشوع رؤساء وقضاة وقادة اسرائيل ولقنهم الشريعة (يشوع ٢٤/١-٢٧). يوضح النص ان كنز «شكيم» تم نهبه (يشوع ٢٤/٢٣)؛ وأن السكان حافظوا على ولائهم لإيل رغم كل ما حل بهم من دمار، وهكذا حافظوا على «عزتهم». ـ وأصبحت شكيم، وفق ما ورد في العهد القديم (يشوع ٢٠/٧) مدينة يلجأ اليها الناس في زمن الاحتلال العبراني؛ وقد يعني ذلك ان هذه المدينة حافظت على طابعها الكنعاني. ونلاحظ أيضاً أن قصة أبيس مالك (قضاة ٩. –) التي تشبه الى حد كبير قصة الملك ـ الكبير، تقع أحداثها في «شكيم». و«قعيلة» أيضاً ورد لها ذكر في أخبار الملك ـ الكبير (VAB)؛ كما يرد ذكرها أيضاً في العهد القديم (يشوع ١٥/٤٤). ونجد في صموئيل الأول (٢٣/١١-١٢)؛ أن حكام (أسياد) «قعيلة» كانوا من الكنعانيين في عهد شاوول. أما مدينة «شينيك»؟ فإنها قد تكون مدينة «شمير» (قضاة ١٥/٤٨). يبدو على أي حال، أن العبرانيين استولوا على كل هذه المدن من جنوب فلسطين. ـ هناك اشارة في النص الى ان لبنان

أصابه الدمار أيضاً (يمكن أن يكون تم ذلك على يد أتباع عبدي ـ أشيرتا).

لا شك ان هذا النص يعطينا صورة مثالية بعض الشيء عن الشعب الكنعاني، عندما يشير الى شدة تضامنه مع «الاخوة» واستعداده للقتال ولنجدة المدن التي دمرتها الحرب، هذا الشعب الذي ظل على ولائه لإلهه رغم ما أصابه من كوارث؛ لا بل الذي أخذ يعلن عن استعداده لتقديم المزيد من التضحيات. يبدو انه كان يعيش بين هؤلاء الكنعانيين، شعب غريب عنهم، واسع الثراء، يمكن الاستيلاء بسهولة على ما يملك من ذهب وفضة دون رادع. ـ إذا كان هذا الشعب هو نفس الشعب الذي قام الملك ـ الكبير بنهبه في سهل تسيف (VAB) فهذا يعني ان ايلي ميلكو لم يكن ليشارك في هذا الرأي، لأنه كان يلوم الملك ـ الكبير على فعلته، حتى بعد مماته. خلال حرب يهوذا، فكر الملك ـ الكبير من جديد بالاستيلاء على أموال الأجانب المقيمين في بلاده (IIAB)؛ غير ان ذلك اعتبر جريمة من جرائمه.

يصور لنا النص، العبرانيين، أعداء الكنعانيين، على شكل «عمالقة»، ويضيف ان الكنعانيين أحرزوا انتصاراً على هؤلاء الأعداء، عندما باغتوهم وهم مجتمعين في «قعيلة» للاحتفال بالنصر.

والعبرانيون، في رأي صاحب النص، يفرطون في المأكل والمشرب، الى ان تخور قواهم. يبدو أيضاً انه كان يمكن التوصل الى السلم مع العبرانيين، لقاء شيء من المعادن الثمينة. ذلك ان تعلقهم بالذهب والفضة كان مضرب الأمثال. هذا وليس في النص ما يدل على أن الأمراء الفلسطينيين تحالفوا مع العبرانيين، ولكنهم، على ما يبدو، كانوا يقاتلون، لتأمين مصالح خاصة بهم، (I'AB)، وهكذا سقطت «ماريشا».

الحكم: من حيث المبدأ كانت سلطة الملك ـ الكبير تمتد الى جميع المناطق التي يرد ذكرها في النص، ولكن في الحقيقة كان لكل مدينة حكومتها المحلية برئاسة ملك يكاد أن يكون مستقلاً. على ان الكنعانيين كانوا يعتبرون أي كنعاني «أخاً» لهم، ويتضامنون مع بعضهم البعض. الفلسطينيون كانوا تابعون لأمرائهم الذين

يتلقــون التعليمــات مباشـرة من الآلهـة. «رؤسـاء» العبـرانيين يصفهم النص «بـالعمـالقـة»، وحلفـاؤهم من «الملوك» كانوا، على الأغلب، عبارة عن حكام محليين، انضموا اليهم.

الحـرب: للملك الحق بتشكيل جيش عند الحاجة. من العادات المألوفة قبيل دخول الحرب (وهي عادة أخذها عنهم العبرانيون فيما بعد)، أن «يثير العاهل الروح القتالية» في جنوده (قضاة ٥/٢؛ مزامير ١١٠/٣)؛ ثم يسير على رأس هذا الجيش يحيط به أهـل «بيتـه»، بغية دحر العدو. وللجنود بعد المعركة اللحاق بالهاربين والقضاء عليهم (مزامير ٩/٤؛ ١٨/٤١).

السلم: يجتمـع قادة المنتصـرين حول مائـدة عامرة لتحديد مصير المغلوب في الحرب. يفترضون أن الغزاة يقضون وقتهم بتناول الطعام والشراب (تتكرر الاشارة الى ذلك في العهد القديم)، وإنه يمكن القضاء عليهم، فيما إذا تم الوصول الى المكان وهم مخمورون (أشعيا ٢١/٥). ورد في نصنا هذا ان العبرانيين اجتمعوا في قعيلة (وقد يعني هذا التعبير «مكان الاجتماع» فقط)، وفي العهد القديم اشارة الى اجتماع في «شيلو»، بعدما «تم إخضاع البلاد». وكان هدف هذا الاجتماع، حسب ما جاء في النص التوراتي، تقسيم بلاد كنعان بالقرعة، بين قبائل (أسباط) اسـرائيل «السبعـة» (يشـوع ١٨/١)، على ان تتم القـرعة أمام خيمة تخصيص الحصص. ولعل هذا هو المقصود في النص.

وفي العهد القديم أيضاً نجد عادة تحديد مصير المغلوب حول مائدة، حيث يترتب عليه أن يتجرع «كأس المرارة»:

مزامير ٦٨/ ٢٢-٢٣: والمقطع يعود الى الأعداء الذين يفتخرون بانتصارهم:

«وجعلوا في طعامي مرارة
«وفي عطشي سقوني خلاً
«لتكن مائدتهم قدّامهم
«فخاً وجزاءً وشركاً.

هذا واننا نجد نفس الفكرة في المزمور ٢٣/٥.

كان على المغلوب، عند عقد السلم، أن يدفع جزية أو فدية من المعادن الثمينة. والكنعانيون الذين يعتبرون الآلهة التي تنمو بالذهب والفضة (IIAB)، آلهة كاذبة، يقولون عن العبرانيين ان هذه المعادن تقوم لديهم مقام الزيت والدهن.

الموارد: هناك اشارة في النص الى الخبز والخمر؛ والى الثيران والبقر والعجول والخراف كحيوانات تذبح للقرابين؛ وإلى زيت الزيتون (الزيتون) كمادة دسمة تدل على الرفاه. كانت للمدن الكنعانية كنوزها؛ ويرد ذكر شعب ما، يعيش في البلاد، ولديه الكثير من المعادن الثمينة.

السكن: مكان اجتماع العبرانيين في «قعيلة» كان يحتوي على غرفة طعام، وهم يجتمعون حول مائدة.

الحياة العائلية: خلافاً للرأي القائل ان الكنعانيين كانوا يضحون بأوائل أطفالهم، نجد في هذا النص أن الأب يتعلق بابنه. نرى ان هذا الابن هو «كل ثروة الأب»، وأن هذا الأب يقبّل طفله قبل الذهاب الى الحرب أو في مهمة خطيرة.

الآلهة: إيل هو الوحيد من آلهتهم الذي يرد له ذكر في هذا النص. وإيل اله محسن، ولكنه يسمح لقواه أن تضعف، ولبركاته أن تجف وتنطوي، فلا يبادر الى العون. مع ذلك يستحسن التمسك به.

العبادة: يقدمون الذبائح من أجل أن «تتبخر الأحقاد». من أجل ذلك يذبحون البقر والعجول والخراف والثيران يرجمونها (كما يرجمون الجواميس) بغية انهاكها قبل ذبحها.

الأسلوب والشعر

تغلف هذا النص شاعرية قوية، وهو يختلف كثيراً عن أسلوب ايلي ميلكو. يخاطب الشاعر الملك بلسان شعبه ويشير اليه ـ متكهناً ـ بما يتوجب عليه أن يفعله. الجملة أطول من جمل إيلي ميلكو، وتتضمن العديد من المداخلات؛ التكرار نادر، وطريقة العد حتى الرقم /٧/ مبسطة. الأسلوب الروائي، غني

بالتفاصيل التاريخية، والمكان المخصص فيه للميثولوجيا قريب نسبياً، مما يعطي انطباعاً بأن القصة (رغم تجميلها) كمفهوم، أخذت تتبلور. الأحداث المذكورة هنا تتوافق مع الأحداث التي لمّح اليها ايلي ميلكو في (IVAB) ، علماً بأن تاريخ كتابة هذه اللوحة جاء بعد ذلك بفترة غير قليلة.

III أخبار عهد الملك نقمد

تمَ نشر هذا النص من قبل السيد فيرولّو تحت عنوان «نقمد وسوبيلوليوما» في مجلة «سورية» عام ١٩٤٠ ص. ٢٦-٢٦٦، استناداً إلى أجزاء اللوحات RS 11. 722,780,782,802

N S

(خمسة أسطر لم يبق منها إلا مطلع كل سطر.

والملك . . .

شعبنا . . .

رغم تحذيره . . .

لم . . .

ونقمد . . .

. . . شعبنا الذي خارت قواه . . .

الى سيده، السلم. . .

الملك - الرئيس، سيده . . .

نقمد، ملك أوغاريت . . .

أودت به الرياح.

وسوبيلوليوما، الملك . . .

المدمِّر، لنقمد، . . . فرض

مفتخراً، علي نقمد، جزية، لكي . . . نقمد،
ينتحب منهكاً. جزية مضاعفة:
عشرون شاقل ثقيل من الذهب
و . . . ملابس، و. . .
. . . . برفير أرجواني
. . . . برفير لازوردي.
جزية نقمد، ملك
أوغاريت، يحملها ذليلاً (وقد خارت قواه)
للملك ـ الرئيس، سيده:
كوب من الذهب، لباس برفير ارجواني،
برفير لازوردي، للملكة.
كوب من الذهب، لباس برفير ارجواني،
برفير لازوردي، للأوشرين (؟) (الأمير)؟
كأس من الفضة، لباس برفير ارجواني،
برفير لازوردي، للتاف نير (؟) (موظف؟).
كأس من الفضة، لباس برفير ارجواني
برفير لازوردي لهابرات نير (؟) (زوجة الموظف؟)
. . . .
. . . .
. . . .
. . . . . للحاكم . . .
. . . . . من البرفير الارجواني، لـ. . .
. . . .

يعـود هذا النص الى أخبار الملك نقمد. ويبدو أن كتابته تمت بعد موت العاهل بقليل.

قام نقمـد رغم تَحـذيره، بمغامرة ضد سوبيلوليوما ملك «هاتي». ولكنه، بعدما أنهك شعبه، اضطر لطلب الصلح، والقبول بالتبعية لخصمه.

شاء «سوبيلوليوما» إذلال نقمد، ففرض عليه جزية مضاعفة وقاسية، جزية خضوع (سنوية؟) توازي عشرين .شاقل ذهب، وكمية (كبيرة؟) من ملابس البرفير الارجـواني واللازوردي. يضاف الى ذلك جزية إذلال شخصية مخصصة لملك «هاتي» وحاشيته: كوب ذهب ولباس برفير ارجواني ولازوردي للملكة؛ ومثل ذلك للأوشرين (؟) (أمير؟). كذلك كوب من الفضة ولباس ارجواني ولازوردي لموظف كبير أو كاهن، ومثلها لخليلته (أو زوجته). يضاف الى ذلك حاجات وأشياء عديدة لحاكم البلاد، وأيضاً لباس أرجواني لشخصية ما، وأخيراً هناك مستفيد آخر في هذه اللائحة التي تعرضت للكثير من التشويه.

المعلومـات التي نحصـل عليهـا من هذا النص قليلة، اللهم إذا استثنينا اطلاعنا على ان الحرية التي كان يتمتع بها عهد نقمد تنتهي بانتصار «سوبيلوليوما» الذي يصبح ملك أوغاريت تابعاً له. عين «سوبيلوليوما» «حاكماً» من قبله يحكم البلاد. لا يرد ذكر لآلهة ما في هذا النص، الذي لا يمكن أن يقال عنه انه معاهدة سلم، وهو عبارة عن صفحة من أخبار أوغاريت. مما يلفت النظر اهتمام المنتصر بالحصـول على ملابس (صـوفية) بلون أرجواني. ذلك انهم في أوغاريت كانوا يجيدون صباغ الأرجوان. وكان ذلك على نوعين: الأول يميل الى الحمرة، وهو «بلون الجمـر المتـوقـد»، والثاني «بلون اللازورد». هذا وفي وقت لاحق أطلق العبرانيون على البرفير التسمية الأكادية (الحثية) للجزية «أ ر ج م أ ن». (ARGAMAN).

القسم الرابع

مزامير وصلوات

١ ـ المزمور الأول.
(لوحة صغيرة نشرها السيد ش. فيرولّو في مجلة «سورية» عام ١٩٣٣ ص. ٢٣١).

IBS.

شكوى أويرسار (؟)
الى «ذلك الذي يزن»،
صلاة:
أخاطبك مسلماً.
الخروف الذي يرتجف
وكلبي
لم تسمعهما. من كثرة الرجفان.
يرتجفون، يا للحسرة!؛ـ

أذهلتهم البلبلة ؛
يرتجفون وينحنون تحت البؤس
أبناء شعبي. يد الآلهة اقتربت
لأنهم سيموتون.
ذلك كثير!
شيئاً من العاطفة، ولتتجه إجابتك
نحو الخير!
والجيوش تصلي
من أجل أن تستمع
إلى الأسماء، وتكتب
في الكتاب، اسم شعبي.

لعل تعبير «استرحام» كان أنسب لهذا النص (ملوك أول ٨/٢٨، ٣٨) من لفظة «شكوى» الواردة في مطلعه. والمزمور في مجمله يشبه ابتهالات ايلي ميلكو. على أن المزامير، رغم الصبغة الدينية التي تكسوها، تعتبر وثائق تاريخية مثلما هي الحال بالنسبة لمزامير العهد القديم.

أما المؤلف «أويرسار» (؟)، فكان على ما يبدو، حاكماً مصرياً. وقد تكون هذه اللفظة نفسها تعبيراً مصرياً يعني «ذلك الذي يحل محل الأمير» أو «الأمير القادر» (نلاحظ وجود تعبير مشابه (و س ر س ر ت) على نقوش سانوسريت عنخ (؟) - مجلة «سورية» عام ١٩٣٤ ص. ١٣١-١٣٣)، وفي هذه الحالة يبقى الاسم مجهولاً.

الحكم: لا يرد ذكر لعاهل محلي. الشعب يشار اليه بلفظة «شعبي». من جهة أخرى يستعمل المؤلف تعابير مثل «الخروف المرتجف» و«كلبي» مما يدل على احتقاره لعامة الشعب.

الجيش: التعبير الذي ترجمناه بهذه اللفظة يمكن أن يعني أيضاً «جماعة» (قضاة

٥/١٤)، علماً بأن الأمر يختلف في بقية المزامير، عندما يطلب الجيش السلم، لأن المقصود عندئذ هو: قوات محاربة.

الآلهة: هناك اشارة الى أحد هذه الآلهة «ذلك الذي يزن» دون ذكر اسمه. يخيل للقارىء ان المقصود هنا، لأول وهلة، هو اوتوبيس، الإله المصري الذي يشرف على وزن القلوب؛ غير انه بعد بضعة أسطر، يطلب من نفس الاله «أن يضع في الكتاب» (اسم!) هذا الشعب، فيتجه الفكر بشكل طبيعي الى «توت» كاتب الآلهة. ويبدو ان هذه الصلاة، كانت موجهة الى إله كبير في العالم الآخر وليس الى أحد مساعديه. يمكن مقارنة هذه الصلاة بنصب «مامي» (MAMI)، الذي تم العثور عليه في رأس شمرا، حيث نرى المصلي يتعبد أمام «سيت زابونا». إن قصة عبادة «سيت» في مصر لايزال يحيط بها الغموض. يروى في هذا الصدد أن أوزيريس سرق مملكة العالم الآخر من «سيت» الذي كان في حوزته سلم الصعود الى السماء. كان «سيت» موضع تبجيل في عصور مختلفة. وبشكل خاص في زمن السلالات الخامسة عشرة والثامنة والتاسعة عشرة. السلالة الثامنة عشرة تتوافق مع أوج النفوذ المصري في أوغاريت، علماً بأن نصب «مامي» يعود الى ذلك التاريخ بحيث يظهر فيه «سيت» برأس انسان، بدلاً من رأس الحية كالمعتاد. وعلى ذلك فإن الإله «الذي يزن»، والذي «يسجل في الكتاب» ما هو إلاّ «سيت» المصري. وسيت على أي حال من آلهة الجحيم، غير انه يمكن أن تتحرك عاطفته دون أن يصرفه ذلك عن الشر تماماً. وكان لهذا الإله أكثر من نقطة تشابه مع الإله الذي كان الكنعانيون يسمونه بعلاً.

العبادة: صلاة أويرسارا (؟) جافة بعض الشيء. تصميمها بسيط: اسم المصلي، اشارة للإله المخاطب، صيغة السلام. ـ سرد الوقائع، طلب الرأفة، إشارة الى النتيجة المرجوة.

المعتقدات: بالنسبة للمعتقدات المصرية، جميع الشرور والآلام التي تحل ببلد ما، أو بشعب ما، هي من صنع إله محلي. عندما يكثر الموت في منطقة ما (بسبب مرض سارٍ؟)، يكون ذلك في نظرهم بسبب قدوم آلهة البلاد الى هذه المنطقة.

رأفة الإله المصري تظهر بإجابة تميل الى الخير (؟). يبدو ان «سيت» إله الجحيم كان يمسك كتاب الحياة حيث يسجل أسماء الأحياء كافة. وعند ذكر الأسماء كان هذا الالـه يجيب يقبول أو رفض بقـاء الاسم في السجل (مـزامير ٦٩/٢٦؛ ١٣٩/١٦؛ خروج ٣٢/٣٢؛ دانيال ١٢/١).

II مزامير: الثاني والثالث

نشر السيد فيرولّو هاتين اللوحتين، الأولى تحت رمز (TPI) في مجلة «سورية» عام ١٩٣٨؛ والثانية تحت رمز (TPII) في نفس المجلة ص. ١٤٢-١٤٦.

IIPS.

إلى الملكة
سيدتي،
أبتهل،
شكوى تالمين
خادمك.
على قدمي
سيدتي،
من أجل أن يكون ذلك حباً ببلادهم
ومن أجل نهاية المصاعب
على بلدانهم
تذلّ أمامك
شعوب سيدتي.
الجيوش تصلي

من أجل السلام. وليعد السلام
لخادمها.

IIPS.

إلى أمي، وهي سيدتي،
الصلاة،
شكوى تالمين
وشكوى شقيقة الملك. ـ خادماك
على قدمي من هي سيدتي.
بلادهم
أذلّتها الآلهة.
ستكونين تلك التي توقظ،
ستكونين تلك التي تعيد السلام.
انظري، ان «العموني»
أكثر من المذابح.
أعيدي السلام،
لأني، حقاً هزمت.
ستكونين المرشدة، تلك التي تسمى
الشعب، انت، من هي سيدتي.
الجيوش، من أجل السلام
تصلي. وليعد السلام
الى خادمك.

المؤلف: مؤلف المزمورين اسمه تالمين (TALMAYN). يذكرنا هذا الاسم بتلماي

الذي ورد ذكره في العهد القديم (قضاة ١-١٠ ـ يشوع ١٥/١٤)، والذي هزم في منطقة حبرون، خلال حروب يهوذا، قبل عهد الملك ـ الكبير (؟). كان تلماي، حسب ما جاء في العهد القديم من عمالقة العناقيين، علماً بأن صفة العملاق، كانت تطلق في ذلك الزمن على كل عدو مقتدر. هذا من جهة، ومن جهة ثانية نجد أن أكثر من شخص كان يحمل اسم تلماي في العهد القديم (صموئيل الثاني ٣/٣؛ ١٣/٣٧)؛ لذلك لا نستطيع الجزم بأن تالمين هو نفس تلماي.

الحكم: كان تالمين يحكم بمساعدة زوجته (يسميها أخته)، بلاد كنعان. يبدو انه تنازل عن لقب السيد من قبيل التواضع. بقيت البلاد تدار من قبل حكام محليين، كما كانت في عهد الملك ـ الكبير. نراهم هنا يستعملون تعابير مثل «بلدانهم» و«شعوب سيدتي»، بدلاً من تعبير «الأرض» الذي كان مستعملاً في عهد الملك ـ الكبير.

الوضع السياسي: محور المزمورين يدور حول المطالبة بإحلال السلام من جديد علماً بأن البلاد كانت في حالة حرب مع «العمونيين». في العهد القديم، نجد اشارة لحربين وقعا مع هذا الشعب: الأولى في فلسطين، في بداية حروب يهوذا (؟) (قضاة ٣/١٣-١٤) وانتهت باستعباد بني اسرائيل لمدة /١٨/ عاماً؛ والثانية (قضاة ١٠-١١.-) وقعت في أرض جلعاد، في عهد يفتاح. هذا ولعل المذابح التي تعرض لها الشعب الكنعاني، تمت خلال الحرب الأولى.

الآلهة: الوحيدة من بين الآلهة التي يرد لها ذكر، دون أن تسمى، في هذا النص هي عشيرات، ويلقبها العاهل بالقول «مليكتي»، و «سيدتي». والعاهل يعتبر ابناً لعشيرات بصفته ملكاً كنعانياً، وعليه أن يخاطبها بلفظة «أمي». عشيرات تستطيع «إيقاظ» البلاد وإعادة السلام كما تستطيع أن تسمّن الشعب الخ... يعد الملك عشيرات، على مايبدو، انه في حالة النصر، سوف تتسلم هي «قيادة» الشعب. غير انه يبدو كذلك، ان خلف الملك لم يتقيد بهذا الوعد، وأن عبدي ـ اشيرتا وأتباعه، احتكروا عبادة هذه الآلهة.

العبادة: مظاهر العبادة هنا هي: الصلاة، الشكوى، التمرغ على قدمي الإله.

الشعب والجيش يشاركان في هذه العبادة، والعاهل هو الذي يعبر عن شعور الجماعة.

III المزمور الرابع

نشر هذه اللوحة السيد فيرولّو في مجلة «سورية» عام ١٩٤٠ ص. ٢٥٠-٢٥٣.

IVPS.

إلى الملكة
أمي، الرجاء،
وشكوى الملك
ابنها
على قدمي أمي
أذل نفسي لأمي. -
فلتعد الآلهة السلام!
فتكونين أنت من يوقظ، - تكونين أنت من يعيد السلام.
أعيدي الي المجد. العموني
كثرت مذابحه. - أعيدي السلام،
وسمّني الشعب، يا أماه!
كيف يمكن أن ننسى نذر
ذبح شعبنا، أيتها الملكة،
وصلواتي الى . . .
من أجل الأمل، ومن أجل إيقاظ

الروح القتالية لدى الملك.

المؤلف: مؤلف هذا المزمور يلقب نفسه «بالملك». كان على الأرجح أحد هؤلاء الملوك المحليين. يمكن الافتراض انه عاش في زمن تالمين.

الحكم: لا يبدي الملك كبير اهتمام بمصير البلاد ككل، بل يحصر اهتمامه بالحالة الخاصة التي وجد نفسه فيها. «الشعب» الذي يذكره هو شعب منطقته. والجيش هو جيش المنطقة. رأينا (IIIRP) أنه كان على هؤلاء «الملوك» المحليين أن يقاتلوا العدو، وهذا «الملك» يستعطف الآلهة لكي تمنحه المجد والروح القتالية، ـ ونلاحظ هنا ان أمثال هذه الطلبات لا ترد في صلوات الملوك ـ الكبار.

الوضع السياسي: الوضع السياسي لا يختلف عن ذلك الذي وصفه تالمين في صلواته؛ الشعب يشكو مذابح العمّونيين.

الآلهة: هنا أيضاً، عشيرات هي الآلهة الوحيدةلا التي يخاطبها الملك ويعتبرها أماً له يسميها أيضاً «الملكة».

العبادة: الملك وحده هو الذي يذل نفسه خضوعاً للآلهة. شعبه يكتفي بالمشاركة في الصلاة وبوعد تقديم الذبائح. نلاحظ هنا (راجع IIK) أيضاً انه غالباً ما يتم تقديم الذبيحة الى الإله في حال تلبية الطلب فقط. غير انه لا يستبعد تقديم عربون في هذه الحالة.

إذا قمنا بمقارنة هذه الصلوات مع تلك التي رأيناها في أخبار ايلي ميلكو، نجد أن أسلوباً خاصاً، كان يستعمل في هذه الحالات، وقد يدمجون في هذه النصوص، نصوصاً قديمة تتوافق مع الظروف الجديدة. على انه من الواجب علينا الاعتراف بأن المزامير الأربعة التي وصلتنا، ليست من أجمل ما نعرفه في هذا المجال.

الـخـاتـمـة

إن التوراة الكنعانية، وهي مبنية على بضع لوحات مبتورة، تم اكتشافها في رأس شمـرا، ـ هذه التـوراة، لم تكتمل بعد. هذا بالاضافة الى أن ترجمة هذه النصوص لم تصل بعد الى الدقة المطلوبة؛ فهناك العديد من التفاصيل التي لاتزال تتـطلب دراسة أوفى. ولكننا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ان التوراة العبرانية تتكرر ترجمتها منذ ألفي عام، وهي لاتزال تتضمن، مع ذلك، بعض النقاط الغامضة، نجد انه لا يحق لنا أن نطلب أكثر من المعقول عندما يتعلق الأمر بترجمة نصوص كتبت بلغة مجهولة، وبتفسير أحداث جديدة كل الجدة علينا.

ومع ذلك يبقى الانسان مندهشاً أمام هذا الجمال في معالجة المواضيع، وهذا الغنى في التعبير؛ أمام القمة الأخلاقية العالية التي تنبعث من هذه النصوص. هذا مع العلم بأنـه أصبح لابد من إعادة النظر بالعديد من الآراء الشائعة حول الحضـارة الكنعـانية (ويسميهـا البعض الفينيقية)؛ ان عادات ومعتقدات شعوب سورية وفلسـطين، سوف تتم دراستهـا، بعـد اليوم، من زاوية جديدة وفي ضوء جديد. مهمـا كان حكم التـاريخ بالنسبة للكنعانيين، فلاشك أنهم كانوا شعراء كباراً؛ ولابد للانسان أن يتسامح أمام ضعفهم في الفن، عندما يطلع على مدى روعة كتاباتهم.

إن معرفة التوراة الكنعانية تفتح أمامنا طريقاً جديداً لدراسة العالم القديم. إلى أين ستؤدي بنـا هذه الطريق؟ ـ هذا ما لا نعلمه؛ ولكننا نشعر أن هوميروساً جديداً قد يولد من رماد ايلي ميلكو كما يلوح لنا في ظل الآلهة عناة، وجه العذراء «أثينا» (ATHENA) بخوذته المعروفة.

التعريف بالمترجمين

١ ـ جهاد الهواش

ـ ولد عام ١٩٢١
ـ نال اجازة الحقوق ـ من جامعة بيروت عام ١٩٤٣
ـ نال اجازة في العلوم السياسية والاقتصادية عام ١٩٤٨
ـ شغل منصب قائم بالاعمال في بغداد عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢
ـ انتخب نائباً عن دائرة مصياف الانتخابية عام ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤
ـ انتخب نائباً عن دائرة مصياف الانتخابية عام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٧
ـ عين وزيراً مفوضاً في تركيا عام ١٩٥٧ ـ ١٩٦٠
ـ عين سفيراً في البرازيل عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦٧
ـ يعمل الآن محاضراً في كلية الحقوق وفي كلية الآداب في الجامعة السورية

من أعماله:

١ ـ المساهمة في تأليف كتاب التحكيم الصادر عام ١٩٨٣
٢ ـ المساهمة في تأليف كتاب قاموس المصطلحات الحقوقية عام ١٩٨٤

٢ ـ عبد الهادي/احمد عباس

ـ من مواليد عام ١٩٢٥
ـ نال اجازة الحقوق من جامعة دمشق عام ١٩٤٩ وانتسب لنقابة المحامين
ـ شارك في المجلس التأسيسي لحزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٤٧
ـ انتخب نائباً عن دائرة مصياف عام ١٩٥٤
ـ انتخب عضواً في القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٥٨

ـ شغل وظيفة مدير عام الاصلاح الزراعي للاقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦١

ـ انتخب نائباً عن دائرة مصياف عام ١٩٦٣

من أعماله:

١ ـ الارض والاصلاح الزراعي في سورية عام ١٩٦٣

٢ ـ المساهمة في كتاب التحكيم عام ١٩٨٣

٣ ـ الاختصاص القضائي واشكالاته عام ١٩٨٤

٤ ـ المرأة والاسرة في حضارات الشعوب (في ثلاثة اجزاء عام ١٩٨٧)

٥ ـ ترجمة كاملة لكتاب الافكار والمعتقدات الدينية (في ثلاثة اجزاء عام ١٩٨٧)

٦ ـ ترجمة لكتاب المقدس والمدنس ـ تأليف مرسيا الياد ـ عام ١٩٨٧

الفهرس

هذا الكتاب

هز اكتشاف حضارة اوغاريت العالم في الربع الاول من هذا القرن ـ العشرين ـ . . .

ومن اهم ما نشر من مخطوطات اوغاريت المكتشفة هذا الكتاب ـ «التوراة الكنعانية» . . . الذي يعبر عن قيمة اجمل ما تعبير ما اورده مؤلفه العالم الكبير هـ . ا . ديل ميديكو في خاتمته للكتاب . . . حيث يقول :

. . . . . . يبقى الانسان مندهشاً امام هذا الجمال في معالجة المواضيع وهذا الغنى في التعبير؛ اقام القيمة الاخلاقية العالية التي تنبعث من هذه النصوص . . . التى اصبح معها من الضروري جداً اعادة النظر بالعديد من الآراء الشائعة حول الحضارة الكنعانية (الفينيقية) . . .

ومهما كان حكم التاريخ بالنسبة للكنعانيين، فلا شك انهم كانوا شعراء كباراً . .

إن معرفة التوراة الكنعانية تفتح امامنا طريقاً جديداً لدراسة العالم القديم . . . اننا نشعر ان هوميردساً جديداً قد يولد من رماد ايلي ميلكو، كما يلوح لنا في ظل الآلهة عناة وجه العذراء اثينا . . . بخوذته المعروفة . . .

الناشر